مُلاحظات حَوْل تاريخ الأدارِسَة

دراسة : محمود اسماعيل

تدور هذه الملاحظات حول قيام دولة الأدارسة ، وأحوالها الداخلية وعلاقاتها الخارجية ، وقد سبق لدارسين كثيرين تناول تاريخ الأدارسة بالدرس والتحليل بما يغنينا عن معاودة بحثه من جديد لتقديم عرض كرونولوجي شامل ، ومن ثم نكتفي بتدوين بعض الملاحظات التي عنت لنا وخاصة فيما يتعلق بنواحي التفسير والتأويل .

وننوه في هذا الصدد بالتفسير الاقتصادي الاجتماعي الذي أخذنا به في جل دراساتنا السابقة ، والذي أثبت كفاءة فذة في وضع الأحداث والوقائع في سياقها التاريخي الصحيح . ولعل ملاحظاتنا في هذا السبيل تستهدف تنبيه الدارسين إلى أهمية الرؤية السوسيولوجية في إجلاء الكثير من غوامض التاريخ المغربي الاسلامي ، وهو ما عجزت عنه الرؤى القبلية والعنصرية والايديولوجية التي هيمنت على كافة الدراسات السابقة .

والملاحظة الأولى تتعلق بقيام دولة الأدارسة في إطار حركة التاريخ الاسلامي العام إبان ما يمكن أن نطلق عليه « الصحوة البورجوازية » التي عمت العالم الاسلامي شرقا وغربا . وقبل إثبات تلك الحقيقة نلاحظ أن معظم الدراسات في هذا الصدد تصور قيام الدولة كحدث فجائي تمّ بمحض الصدفة على إثر هرب إدريس بن عبد الله العلوي الزيدي من مذابح العباسيين في الشرق ، وتقلبه ما بين مصر وبلاد المغرب حتى رمت به المقادير إلى المغرب الأقصى حيث تلقفته قبيلة أوربة فآزرته على تأسيس دولة علوية سنة 172 ه .

ولا شك أن هذه الدراسات اعتمدت على روايات أسطورية وقصص منقبي لمؤرخين سابقين معظمهم من المغاربة المشايعين لآل البيت ، فتفننوا في إضفاء الكرامات والخوارق والمعجزات على أعمالهم ، بحيث أصبح أفراد الأسرة الادريسية أشبه بأبطال الملاحم أكثر من كونهم قادة لأحزاب سياسية تحتوي قوى وطبقات اجتماعية حاولت أن تقوم بدورها التاريخي في سياق حركة التاريخ الاسلامي العام .

واذا كان المؤرخون المغاربة ـ قدامى ومحدثون ـ عولوا على إبراز النظرة الاقليمية في تكوين قيام الدولة باعتبارها دولة مغربية قحة معزولة الصلة عن أحداث الشرق ، فإن المشارقة بدورهم أسهموا في إثارة الغموض حول هذا الحدث الهام حين أحجموا عن التاريخ التفصيلي له أو تلوين مدوناتهم العابرة بصدده بمسوح التشويه المبيت .

وتفسير ذلك كامن في أن التدوين التاريخي تم في الحقبة المعاصرة للأدارسة وبتوجيه مباشر أو غير مباشر من خلفاء بني العباس خصوم العلويين عموما والأدارسة على وجه الخصوص .

إن التفسير الموضوعي لقيام دولة الأدارسة لا يتأتى إلا في إطار فهم معمق للصورة البورجوازية التي شهدها العالم الاسلامي

شرقا وغربا حول منتصف القرن الثاني الهجري والتي استمرت إلى منتصف القرن الثالث على وجه التقريب . وتلك الصحوة التي تمثلت في ضعضعة هياكل الانتاج الاقطاعية وبنياتها السياسية الاستبدادية المستترة وراء الحكومة البيوقراطية ، وكذا فكرها الجبري النصي الأثري التسليمي ، ليحل محله علاقات إنتاجية بورجوازية سادت بين المجتمعات الاسلامية ، وأفرزت أنماط حكم جديدة اتخذت أشكالا متنوعة وفق المعطيات الاقليمية الخاصة برغم عدم تحررها النهائي من طابع البيوقراطية وبالمثل تمخضت عن فكر عقلاني متفتح وحياتي يساير ويواكب سيادة القوى البورجوازية على الصعيدين السياسي والاقتصادي .

لقد أفضى اتساع الامبراطورية الاسلامية إبان سيادة الاقطاعية الأموية بطابعها العسكري وسياستها الاستغلالية والعنصرية وفكرها الجبرى التبريري إلى إفلاس النظام الأموي في مواجهة المشكلات التي افرزتها الاقطاعية . بمعنى أن الظروف الجديدة أتاحت للقوى البورجوازية فرصة الحركة والعمل السياسي الدعائي والثوري تحت قيادة أحزاب المعارضة وبالذات الحزب العلوي . ولقد كانت القيادة العلوية بماضيها السياسي وإديولوجيتها المستنيرة قادرة على تبني طموحات المعارضة الثورية وقيادتها نحو تحقيق أهدافها . إلا أن هذه القيادة حصدتها سيوف الأمويين ، فآلت إلى البيت العباسي قيادة الجهاز الثوري الذي سبق أن أحكم العلويون تنظيمه . وقامت الثورة بالفعل وأجهز على النظام الأموي ، واعتلى العباسيون دست الحكم .

ونظرا لكون القيادة الجديدة ليست ثورية أصلا بحكم انتماءاتها الارستقراطية ، فقد وقفت حجر عثرة أمام طموحات الثورة وإنجاز أهدافها البعيدة إنجازا نهائيا ، واكتفت بتحقيق إجراءات إصلاحية تحت الحاح وضغوط القوى البورجوازية . وفي الوقت نفسه عمدت إلى إقصاء القيادات الثورية العلوية التي تصدت من جديد لتبني طموحات القوى الثورية البورجوازية ، ونجح العلويون في استمالة بعض القيادات المعتزلية البورجوازية وتنظيم دعوة سرية جرى الاعداد لها على صعيد العالم الاسلامي بأسره من الهند حتى المغرب الأقصى .

وقامت ثورات متوالية ضد العباسيين في الشرق لم يقدر لها النجاح نظرا للانشقاقات في البيت العلوي من ناحية ، ووقوع القيادات الجديدة في أخطاء إستراتيجية سهلت من مهمة العباسيين في قمع حركاتهم الثورية في قلب العالم الاسلامي من ناحية أخرى .

عندئذ عمد الثوار إلى نقل نشاطهم السياسي إلى الأطراف ـ إلى حين ـ مفيدين في ذلك من تجارب الحركة الخارجية الثورية . وقد أسفرت الاستراتيجية الجديدة عن قيام دولتين علويتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب الأقصى وهي دولة الأدارسة .

لم يكن قيام دولة الأدارسة إذن حدثا فجائيا عفويا ، كذلك لم يكن حدثا مغربيا قحا معزولا عن حركة التاريخ الاسلامي العام كما تصور الدارسون . ولاثبات ذلك وجب أن ندرس طبيعة الدعوة الزيدية العلوية الاعتزالية التي انبثقت منها الدولة الادريسية كذلك معرفة الانتماءات الاجتماعية للمعتزلة الذين أسهموا بدور أساسي في صياغة الاديولوجية الثورية الجديدة للقوى البورجوازية .

معلوم أن الحزب العلوي تبنى القضية الاجتماعية منذ ظهوره في شخص علي بن أبي طالب ، ومعلوم أيضا أن القيادات العلوية تبنت نفس القضية إبان سيادة الاقطاعية الأموية ، وقامت ثورات اجتماعية إنتهت جميعها إلى الفشل نظرا لاستئساد العسكرية الأموية في مواجهتها ، وأسفر الفشل المتكرر عن انشقاقات في الحزب العلوي وظهور اتجاهات متباينة في إديولوجيته ما بين التطرف والاعتدال .

وكما هو الحال بالنسبة لفرق الخوارج ، حيث قضى على الأجنحة المتطرفة بينما أحرزت الفرق المعتدلة نجاحات أسفرت عن قيام دولة مستقلة خارجية ، فإن التشيع المتطرف فشل على صعيد العمل السياسي بينما كان التشيع المعتدل أحسن حظا في إنجاز نجاحات سياسية على الصعيد العملي .

ومعلوم أن الفرع العلوي الزيدي كان يمثل هذا الجناح المعتدل في العصر العباسي ، ومن مظاهر اعتداله رفضه فكرة الوصية وحكر الامامة على أبناء علي وفاطمة كذلك الاعتراف بإمامتي أبي بكر

وعمر على خلاف فرق الشيعة الأخرى ، وبديهي أن هذا التطور في الفكر السياسي الشيعي على يد الزيدية جاء نتيجة وإفرازا للواقع الاجتماعي الذي شكلت فيه القوى البورجوازية مركز الثقل .

وبديهي أيضا أن روح الاعتدال تلك بالإضافة إلى تبني قضية العدل الاجتماعي بشكل أكثر وضوحا كانت من أسباب رواج دعوة الزيدية السياسية وتغلغلها في قطاعات جديدة كانت سلفا لا تميل إلى المذهب الشيعي دليلنا على ذلك انضواء المعتزلة في الدعوة الجديدة ، واعتراف الامامين مالك وأبي حنيفة بشرعيتها ، بل انضم إليها جماعات كانت من قبل موالية للأمويين .

كانت الإيديولوجية الجديدة إذن أكثر استجابة لمتطلبات الثورة البورجوازية التي أجهضها العباسيون ، فقد استجاب للدعوة جماهير عريضة في العالم الاسلامي برمته ، يذكر ابن خلدون أن دعاة الزيدية وكانوا من الطبقة البورجوازية مارسوا نشاطا في خراسان وبلاد السند فضلا عن العراق والشام وشبه الجزيرة العربية ومصر ، ويشير نص لابن أبي زرع يُؤيده سياق الأحداث التالية ـ إلى أن هؤلاء الدعاة وصلوا حتى بلاد المغرب الأقصى .

وتلت مرحلة الدعوة والتنظيم السري مرحلة الثورة ، واندلعت الثورة الأولى في الحجاز سنة 145 ه بقيادة محمد النفس الزكية ، وفي نفس الوقت اندلعت في العراق بزعامة أخيه إبراهيم . وكان الفشل مصير الثورتين معا نظرا لوقوع القيادة في خطإ استراتيجي وهو تمركز الأولى بالحجاز حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح . وكان الأحرى أن تندلع من مصر ولو حدث ذلك لكان لنتائجها شأن آخر . وقيام الثانية بالعراق معقل القوة العباسية فمزقتها فرق الجند الخلافي شر ممزق .

آلت زعامة الزيدية إلى الحسين بن علي بن الحسن المثلث ابن علي بن أبي طالب الذي لم يدخر وسعا في تطبيق العدل الاجتماعي بين أنصاره في الحجاز ، حيث أعتق العبيد ووزع الأموال على الفقراء وأخذ بتلابيب الطبقة الارستقراطية ، لكنه وقع في ذات الخطإ الاستراتيجي حين أعلن قيام الثورة بالحجاز ، فلم يستفد من الدرس السابق ولم يع كافة الدروس الأولى التي ألمت بالحركات الثورية الحجازية في العصر الأموي ، فلقي حتفه وبطشت الجيوش العباسية بأنصاره ، وقتلت في مذبحة فخ سنة 169 ه كل القيادة العلوية ، ولم ينج من المذبحة إلا يحي بن عبد الله الذي هرب إلى بلاد الديلم وأخوه إدريس الذي لاذ بالمغرب الأقصى ليؤسس دولة الأدارسة .

وغني عن القول أن المعتزلة كانوا قاسما مشتركا في كافة تلك الأنشطة الثورية دعائيا وسياسيا وعسكريا . كما كانوا كذلك من وراء النجاحات التي أنجزت في المرحلة التالية مرحلة تأسيس الدولة الزيدية ومعلوم أن أعلام المعتزلة كانوا من بورجوازية الموالي ، حيث شكلوا في العصر الأموي شريحة « الانتلجنسيا » المعتدلة التي عولت على التنوير العقلي وبث الوعي الثوري دون أن تقدم على الخوض في الميدان السياسي وفي أوائل العصر العباسي اقتحموا هذا الميدان جنبا إلى جنب الزيدية فاشتركوا في كافة الثورات التي قامت في الحجاز والعراق ، وهربوا مع من هرب من الزيدية إلى بلاد المغرب بعد معركة فخ المشهورة وقاموا بالدور الأكبر في التمهيد الدعائي لقيام دولة الأدارسة .

ويخيل إلينا أن واصلا بن عطاء شيخ المعتزلة أسهم إسهاما كبيرا في خدمة الحركة الزيدية على الصعيدين الإيديولوجي والتنظيمي ذلك أنه تتلمذ لمحمد بن الحنفية ، كما تتلمذ عليه زيد بن علي مؤسس الفرقة الزيدية .

يذكر الشهرستاني أن الزيدية تحولوا تماما إلى عقائد المعتزلة ويضيف جولدتسيهر أن أفكار الاعتزال كانت أساسا لصياغة الادبولوجية الزيدية ، وفي قول الملطي « المعتزلة هم الفرقة الرابعة من الزيدية » ما ينم على الاندماج الفكري بين عقائد الفرقتين وهو أمر يؤكده توحيد جهودهما في العمل السياسي الثوري .

ولم يجد المعتزلة غضاضة في ذلك طالما تبنى الزيدية آراءهم في « إقامة دولة العدل والتوحيد » ، ومن ثم انبرى شيوخ المعتزلة في أجهزة الدعوة الزيدية السرية ، وكان دعاتهم ينتشرون في كل الآفاق متسترين وراء النشاط التجاري والثقافي يدعون للإمام الزيدي المنتظر ولا حاجة بنا لسرد نشاط هؤلاء الدعاة في الشرق الإسلامي ونكتفي بجهودهم في الغرب حيث قامت دولة الأدارسة .

كان نشاط الدعاة سابقا لقيام الدولة ، ومن ثم تسقط آراء كارلو الفونسوللينو القائلة بأن الأدارسة هم الذين جلبوا مذهب المعتزلة إلى المغرب ، إذ تثبت النصوص أن دعاة الزيدية والمعتزلة كانوا يعملون جنبا إلى جنب في بلاد المغرب منذ وقت مبكر .

يقول ابن أبي زرع إن الداعية الزيدي « عيسى توجه إلى إفريقية ببلاد المغرب فأجابه خلق كثير من قبائل البربر وبقي هناك إلى أن توفي ولم يتم الأمر » ونعتقد أن الامر تم بفضل جهود الدعاة المعتزلة ، فيذكر البكري أن قبيلة أوربة التي ناصرت إدريس بن عبد الله كانت على مذهب الاعتزال . ومعلوم أن دعاة آخرين سبقوا إلى نشر المذهب في المغرب الأوسط وإفريقية . لكن هذين الإقليمين لم يكونا ممهدين لإقامة الدولة المنشودة ، فإفريقية كانت خاضعة للنفوذ العباسي ، وبها تحتشد الجيوش العباسية المؤازرة لولاة القيروان من قبل بغداد . أما المغرب الأوسط فكان تحت نفوذ الدولة الرستمية الخارجية .

لذلك ركز الدعاة جهودهم في أقاليم المغرب الأقصى ليكون مهدا للدولة المنتظرة ، فاعتنقت مدن بأكملها الاعتزال مثل طنجة والبيضاء أما طنجة « فكان أهلها معتزلة » والبيضاء « كان بها مائة ألف معتزل يحملون السلاح » على حد قول البكري .

والنص الأخير لا يخلو من مغزى سياسي فحواه أن دعاة المعتزلة مهدوا السبيل على المستوى الدعائي والعسكري لإقامة دولة الأدارسة ومن ناحية أخرى يقيم الدليل على أن قيام هذه الدولة كان أمرا مدبرا مخططا ولم يكن محض حدث عفوي فجائي .

فبعد مذبحة فخ اتجهت أنظار الزيدية إلى بلاد المغرب وفق سياسة مدروسة ، وعمل دعاة الزيدية والمعتزلة في مصر وبلاد المغرب على إنجاح هذه السياسة ، وليس الحال كما تصور الدارسون الذين نسجوا روايات متضاربة حول هرب إدريس ومولاه راشد ، وكذا حول إقامته بمصر ، وأخيرا رحلته عبر الشمال الإفريقي إلى المغرب الأقصى ، تلك الروايات التي تعتمد الصدفة والمغامرة والكرامة والأسطورة في تفسير الاحداث . والصواب هو أن دعاة الزيدية مهدوا له إقامته في مصر وخروجه منها في التوقيت المناسب صوب الغرب ، مصداق ذلك الرواية التي تقول بأن صاحب بريد مصر كان متشيعا وهو الذي دبر له أمر الهروب إلى إفريقية . وكذا النصوص الجديدة التي تثبت وجود تنظيم سري زيدي بمصر كان على صلة دائمة بالأدارسة في المغرب الأقصى ، والرسائل المتبادلة بين الأدارسة ورؤساء التنظيم بشأن الإعداد والتمهيد لإقامة دولة زيدية كبرى نواتها مصر وتضم الشرق والغرب على السواء .

ونعتقد كذلك أن دعاة المعتزلة في إفريقية قد مهدوا لإدريس أمر مروره بها متخفيا من عيون العباسيين ، كما قام دعاة المعتزلة في المغرب الأوسط بنفس الدور أثناء جوازه إلى المغرب الأقصى ، يشهد على ذلك نصوص توضح ولاءات معتزلة المغرب الأوسط للأدارسة وقيامهم بثورات على الحكم الرستمي لصالح الأدارسة .

على كل حال ما إن وصل إدريس إلى طنجة حتى قام زعيم أوربة إسحق بن عبد الحميد المعتزلي بمبايعته ، ثم انصرف إلى وليلى وأخذ له البيعة من قبيلته وسائر القبائل الأخرى مثل مغيلة وصدينه وزناته ليعلن قيام الدولة عام 172 هـ . ولم يكن ذلك ليتم دون عراقيل لولا جهود سابقة قام بها الدعاة سلفا في إقليم متعددة القبائل متنوع التضاريس . وهذا ينفي قول بعض الدارسين بأنه لم يكن ثم علاقة للمعتزلة بقيام دولة الأدارسة . يشهد على ذلك أيضا نص هام اكتشف في الأعوام الأخيرة وهو عبارة عن دعوة إدريس وندائه الذي وجهه إلى المغاربة عقب قيام الدولة . والنص مستمد من مخطوط لأحد أيمة الزيدية هو الامام عبد الله بن حمزة في كتابه « المرجع الشافي » ويستفاد من فقراته الربط بين قيام الدولة في المغرب الأقصى والنشاط الزيدي المعتزلي المنسق في الشرق ، كذلك ينطوي النص على الكثير من تأثيرات الاعتزال الفكري في الايديولوجية الزيدية ، كالقول بالعدل والتوحيد ووضوح البعد الاجتماعي في الإيديولوجية الجديدة وفق نظرية المعتزلة في الامامة العادلة ، وأخيرا طموح الدولة الادريسية نحو تحقيق دولة كبرى تضم المشرق والمغرب .

قصارى القول أن قيام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى عام 172 هـ ارتبط بحركة التاريخ الاسلامي العام ونتيجة من نتائج الصحوة البورجوازية التي غمرت العالم الاسلامي شرقا وغربا .

والملاحظة الثانية تتعلق بالأوضاع الداخلية لدولة الأدارسة ونعتقد

في هذا الصدد أن العامل الاقتصادي هو الذي وجه السياسة الادريسية في تحقيق وحدة المغرب الأقصى ، وهو الذي كمن وراء الموانع الأخرى الشكلية سواء ما تعلق منها بالجوانب المذهبية أو العصبية ومن ثم نسقط الكثير من تفسيرات المحدثين الذين تعلقوا بآراء ابن خلدون عن تأثير الايديولوجية والعصبية في سياسة الدولة « عظيمة الملك كبيرة الاستيلاء » وحسبنا أن الأمراء الأدارسة لم يحفلوا في قليل أو كثير بنشر المذهب الزيدي بين البربر . فقد ظل معظمهم على مذهب مالك وبعضهم على مذهب المعتزلة والبعض الآخر على المذهب الخارجي الصفري . كما أن الحملات المتتالية التي قادها إدريس الأول والثاني في الشرق والجنوب لم يقصد بها نشر الاسلام كما تذهب المراجع ، فالثابت أن الاسلام كان منتشرا بين كافة قبائل المغرب الأقصى قبل قيام دولة الأدارسة ، إنما درج المؤرخون على إبراز الغطاء الديني لإخفاء الأسباب الحقيقية الاقتصادية التي استهدفها الأدارسة من الاستيلاء على محاور طرق تجارة الجنوب مع إفريقيا جنوبي الصحراء وبالذات مدينة تارودانت التي كانت تتحكم في طريق تجارة الذهب وكذا الاستيلاء على تلمسان « باب إفريقية » وأهم مراكز التجار الوافدين من الشرق .

ولسوف نلاحظ أن المحاولات التي جرت في هذا الصدد جرت على الأدارسة صراعات حادة مع الدول المجاورة سنتناولها بعد بالدرس والتعليق . كما نعتقد أن طموحات الأدارسة تلك كانت من أسباب فزع الخلافة العباسية خشية تمكن الدولة الفتية بسيطرتها على المقدرات الاقتصادية الهائلة من أن تحقق أحلامها في الاستيلاء على المغرب ثم التوسع صوب الشرق .

لذلك لم تدخر وسعا في الكيد للأدارسة ، فبعثت بصنيعة من لدنها لاغتيال إدريس (1) الأول ، كما أقامت دولة الأغالبة في إفريقية لتكون « ثغرا » يحول بين الأدارسة وبين تحقيق مشروعاتهم السياسية الكبرى .

أما عامل العصبية فلا محل له في تفسير التطور السياسي الداخلي للدولة الادريسية . ودراسة الأوضاع الاثنولوجية في المغرب الأقصى تثبت وجود عناصر وعصبيات شتى ، فهناك العرب والبربر ، والبربر ينقسمون الى برانس وبتر ، فقبائل صنهاجة البرنسية كانت على خلاف دائم مع قبائل زناتة البترية ، وهما معا تصارعا منذ الفتح مع العناصر العربية الوافدة .

وفي عهود الأمراء الأدارسة لا نجد أدنى مبرر لتفسير الأحداث الداخلية على أساس العصبية ، إذ الثابت أن مواقف القوى المختلفة من الأسرة الحاكمة ولاء او عداء ارتباط بالوضعية الاجتماعية لتلك القوى في قربها من السلطان والنفوذ او تنحيتها عنه .

وحسبنا أن الأدارسة لم يدخروا وسعا في محاولة كسر روح العصبية العنصرية والقبلية ، وتراوحت نجاحاتهم في هذا السبيل بقدر نجاحهم أو فشلهم في دعم سلطة الدولة وتقوية قبضتها على المناطق الاستراتيجية ذات الصلة بالنشاط الاقتصادي في الشرق والجنوب .

مصداق ذلك أنه برغم كون أوربة هي التي لعبت الدور الهام في قيام الدولة ، لم تتطلع إلى السلطة بعد اغتيال إدريس الأول وآل الحكم إلى راشد مولى الأدارسة الذي لم يكن له عصبية تسنده وتشد أزره .

وتقلد إدريس الثاني الحكم وهو لا يزال طفلا ، وبايعته كافة القبائل دون مشكلات ، وكفله الياس العبدي ، بعد اغتيال راشد على يد صنائع الاغالبة في وجود إسحق بن عبد الحميد الأوربي . وحين شب إدريس عن الطوق لم يتقاعس عن الاستعانة بالعناصر العربية الوافدة من القيروان والأندلس فاتخذ منها وزراءه وبطانته . وأعطى ظهره للعناصر البربرية إلى حين . ولما تآمرت أوربة وزعيمها عليه لم يجد صعوبة في قتله والتنكيل بأتباعه . واستعان في هذا الصدد بقبيلة مظغرة رغم اعتناقها المذهب الخارجي الصفري ثم تخلص من زعمائها وهرب منهم من هرب لائذا بالأغالبة .

هذه الأمثلة وغيرها تقيم الدليل على خفوت صوت العصبية طالما كانت سطوة الدولة قوية ، وتكمن تلك القوة في المقدارت الاقتصادية الهائلة التي توفرت من جراء نجاح إدريس الثاني في السيطرة على تلمسان مفتاح التجارة إلى الشرق من ناحية ،

وهيمنته على طريق تارودانت معقل تجارة الذهب في الجنوب بعد نجاح حملاته الموفقة على برغواطة .

وهذا يفسر أيضا لماذا قرر الانتقال إلى مدينة فاس واتخذها عاصمة لدولته (2) فموقعها المتوسط بين مصدري النشاط التجاري في الشرق والجنوب أهلها لتصبح مركزا اقتصاديا مرموقا ، وبالتالي لتكون عاصمة سياسية لدولة موحدة الأركان .

فلما اغتيل إدريس الثاني آلت الامارة إلى ابنه محمد وفقا لوصية إدريس وإن دل ذلك على شيء فعلى أن الأدارسة تنكروا للايديولوجية الزيدية في رفض فكرة الوصية في تقلّد الامارة .

على كل حال انفرطت وحدة الدولة بعد إدريس الثاني وتمزقت بين أولاده إلى « اقطاعات » متناحرة متصارعة حتى سقطت في النهاية فريسة في يد الفاطميين .

ونحن في غنى عن عرض التفصيلات المملة والمعقدة في هذا الصدد ، وما يعنينا هو تفسير ظاهرة الانهيار والسقوط تفسيرا اقتصاديا بالدرجة الأولى إذ ليس من المقبول التعويل على الروايات المتواترة التي ترجع التمزق وتقسيم الدولة إلى نصيحة كنزة أم إدريس الثاني . فمن المستبعد أن يحدث الانهيار والضعف بإرادة عليا من سيدة هرمة ، ومن غير المنطقي أن تتأتى هذه الارادة على شكل نصيحة .

المعقول إذن أن نبحث في الأسباب « التحتية » الحقيقية التي قادت إلى هذا التمزق والانهيار . واذا ما أدركنا أن وحدة الدولة وقوة السلطة المركزية ارتهنت بصحوة القوى البورجوازية المنتعشة بفضل السيطرة على تجارة الشرق والجنوب ، انتهينا إلى أن نضوب الموارد الاقتصادية من هذين المصدرين كان كفيلا بعودة « الاقطاعية » بمدلولاتها السياسية والاجتماعية . فالتجزئة السياسية وظهور العصبيات المحلية وطغيان الاقليمية كلها ظواهر مصاحبة للاقطاعية .

والمراجع تثبت أن برغواطة استطاعت بعد وفاة محمد بن إدريس أن تسترد مكانتها وتعيد سيطرتها على تارودانت فحرز الأدارسة من تجارة الجنوب . كما أن تلمسان استقلت عن تبعيتها لأمراء فاس وظل يتوارثها أبناء عمومتهم من آل سليمان ، فحرم الأدارسة من موارد تجارة الشرق . ولما كانت البحرية الأندلسية تسيطر في ذلك الحين على القطاع الغربي من حوض البحر المتوسط ، اختنقت دولة الأدارسة إقتصاديا ، وعولت على الاقتصاد الزراعي الرعوي الاقطاعي القائم على الاكتفاء الذاتي .

لذلك كله تهاوت قبضة الدولة المركزية وظهرت مجموعة من الامارات الصغرى شغلت بالتناحر فيما بينها كما برزت النزاعات العنصرية والقبلية والمذهبية ، وظهر دور من أطلق عليهم ابن خلدون « الأولياء والحاشية والعرب والبربر وصنائع الدولة » في عزل الأمراء وتوليتهم والوصاية عليهم . وباستعراض خلفاء محمد بن إدريس نجد أن معظمهم افتقر إلى الحنكة والدربة السياسية فكانوا بين عابد متبتل وماجن سكير . وكل ذلك أفضى إلى سقوط الدولة في النهاية لقمة سائغه في يد الفاطميين سنة 309 هـ .

قصارى القول : أن تطور الأحوال الداخلية في دولة الأدارسة ارتهن بتطور أوضاعها الاقتصادية الاجتماعية ، الأمر الذي يثبت صدق الرؤية السوسيولوجية بما لا يدع للشك سبيلا .

والملاحظة الأخيرة تتعلق بتطبيق تلك الرؤية كذلك على سياسة الأدارسة الخارجية ، وقد سبق لنا دراسة الموضوع بشكل مستفيض في مؤلفاتنا السابقة عن تاريخ المغرب . وفي هذا المجال نكتفي بإبراز تأثير العامل الاقتصادي في توجيه العلاقات السياسية الادريسية الخارجية .

وأول ما يلاحظ في هذا الصدد أن الدارسين المحدثين أحجموا عن معالجة هذا الموضوع ، واكتفوا بأحكام سريعة جاوزت الصواب ، كقول البعض بان علاقات الأدارسة الخارجية كانت تتسم بطابع « التعايش السلمي وحسن الجوار » مع الدول المحيطة بها ، وذهب البعض الآخر إلى أن العلاقات كانت عدائية نظرا للخلاف الايديولوجي بين تلك الدول جميعا ، فالأدارسة كانوا على المذهب الزيدي المعادي للمذهب الخارجي السائد في دول برغواطه وبني مدرار وبني رستم ، وكذا المذهب السني المالكي الذي ساد دولتي الأغالبة وأمويّي الأندلس .

والذي نعتقده أن الخلافات الايديولوجية لم تشكل العامل الحاسم في العلاقات الدولية عموما في هذا العصر الذي اصطلحنا

على تسميته بعصر الصحوة البورجوازية . مصداق ذلك التقارب السياسي بين دول إسلامية ودول مسيحية في مواجهة دول إسلامية وأخرى مسيحية ، كالتحالف الذي وقع بين العباسيين والفرنجة ضد البيزنطيين وأمويّي الأندلس . وتسحب نفس المقولة على دول المغرب الاسلامي ، فقد عقدت محالفات مع أموي الأندلس والدول الخارجية الثلاث في مواجهة الأغالبة والأدارسة وفي كل الأحوال كانت المصالح الاقتصادية تشكل حجر الزاوية في تحديد طبيعة العلاقات ، الأمر الذي يسقط من الاعتبار الخلافات الايديولوجية .

وثمة دليل آخر يؤكد صدق ما نذهب إليه وهو على جانب كبير من الأهمية وهو أن العلاقات الاقتصادية لم تتأثر قط بعوامل الخلاف السياسي والايديولوجي إلا في الأوقات التي استوجبت ضرورة الصراع حول طرق ومفاتيح حركة التجارة العالمية برا وبحرا . فتجارة الشرق كانت تصل إلى بيزنطة عن طريق العباسيين ، وسلع الشمال الافريقي كانت تصل إلى إمبراطورية الفرنجة عن طريق الأغالبة ، ورغم الحصار الاقتصادي الذي عانت منه الدولة الأموية بالأندلس ، تثبت المراجع أن وارداتها من الشرق وصادراتها إليه لم تنقطع بأي حال من الأحوال .

ونفس الشيء يقال عن دول الشمال الافريقي ، إذ رغم خصوماتها السياسية وخلافاتها المذهبية ، فقد أسهمت جميعا في سيولة حركة التجارة العالمية بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب . لكن الصراع حول طرق ومنافذ التجارة هو الذي شكل طبيعة العلاقات إن ودا وإن عداء . لذلك لم يخطىء « إيف لاكوست » حين ذهب إلى أن محور تاريخ الشمال الافريقي يرتكز حول طرق التجارة ومراكزها .

وبتطبيق تلك القاعدة على سياسة الأدارسة الخارجية نلاحظ أن فاس ظلت تمارس صلات اقتصادية وثقافية بشكل مباشر أو غير مباشر مع شتى مراكز التجارة في المغرب الاسلامي برغم عدائها السياسي وخلافها المذهبي مع كافة تلك الدول .

وهنا يصدق قول « أرشيبالد لويس » يبدو أن مسلمي شمال إفريقيا نقلوا بضائع الشرق إلى بلاد المغرب وربما بلاد الأندلس كذا قول الاصطخري بأن الأدارسة كانوا يزودون دول الشمال الافريقي بالرقيق الأسود المجلوب من بلاد السودان . وهذا يتسق مع قول خرداذبة بأن « أغلب ما على ظهر الأرض من الرقيق الأبيض إنما ورد من الأندلس » .

سبق أن أشرنا إلى أن الحياة الاقتصادية في مجتمع الأدارسة ارتبطت بتجارة الشرق التي كانت تلمسان أهم مراكزها في طريق وصولها إلى المغرب الأقصى ، وتجارة الذهب المجلوب من غانة عن طريق سجلماسة وتارودانت ووعي تلك الحقيقة يلقي أضواء جديدة على طبيعة العلاقات الادريسية الخارجية إذ نلاحظ أن الصراع بين الأدارسة من ناحية وبين الأغالبة والرستميين والمدراريّين تمركز حول السيادة على تلمسان ، وأن الغزو المتواصل لأراضي برغواطة استهدف الوصول الى تارودانت . كما أن « العداء السياسي الصامت » - على حد تعبير بروفنسال - بين فاس وقرطبة جاء بسبب السيادة البحرية الأموية على القطاع الغربي من حوض البحر المتوسط .

نفسر ذلك فنقول إن نجاح الأدارسة في السيطرة على تلمسان أثار فزع الأغالبة ، لما ترتب عليها من إضافة موارد اقتصادية وبشرية واستراتيجية لحكام فاس قمينة بأن تؤهلهم لتحقيق أحلامهم في التسرب شرقا . فتلمسان كما ذكر ابن أبي زرع « هي باب إفريقية ، ومن ملك الباب أوشك أن يدخل الدار »

لذلك عول الأغالبة على تدبير المكائد لاغتيال أفراد الأسرة الحاكمة في فاس ، وكذا محاولة استمالة رجال دولتهم لاثارة السخائم والخلافات بين عناصر السكان .

بل تذكر بعض المراجع أنه جرى الاعداد لتجريد حملات أغلبية على دولة الأدارسة لأن « الأدارسة تجاوزوا حد التخوم » ولم تتوقف إلا لانشغال الأغالبة بالمشروعات الاقتصادية الطموحة في البحر المتوسط من ناحية ، وتراجع الأدارسة في مخططاتهم التوسعية صوب الشرق من ناحية أخرى ثم تقلص نفوذ الأدارسة على تلمسان نفسها ، حيث استأثر بها آل سليمان أبناء عمومتهم « الذين آثروا المسالمة والاستكانة » على حد تعبير فندرهيدن

ونفس الشيء يقال عن موقف الأدارسة من بني مدرار ، حيث

كمنت دوافع العداء في الصراع حول تلمسان من ناحية ، ورغبة الأدارسة في السيطرة النهائية على طرق التجارة إلى الجنوب بحرمان سجلماسة من الوصول إليها . ولقد نجح الأدارسة بالفعل في الحيلولة دون وصول النفوذ المدراري الى تلمسان على إثر حملات إدريس الأول الأولى التي انتهت باستئصال شأفة بني يفرن من زناتة الموالين لبني مدرار . ويبدو أن المدراريين استعادوا نفوذهم على المدينة إلى حين حتى نحاهم عنها إدريس الثاني حيث « محا آثار دعوة الخوارج الصفرية » كما ذكر ابن خلدون .

تطلع الأدارسة بعد ذلك لحرمان المدراريين من مصدر اقتصادهم الأساسي وهو تجارة الذهب مع غانة ، وهو ما عبر عنه جورج مارسيه بأن الأدارسة كانوا عازمين على استئصال شأفة الصفرية من « تافيلالت » لكن جهودهم في هذا الصدد باءت بالفشل ، إذ لم توفق حملاتهم المتتالية في تحقيق أهدافها وإن كانت قد نجحت في الاستيلاء على بعض الحصون والقرى - مثل تامدلت - المجاورة لسجلماسة وقد ذكر اليعقوبي أن الأدارسة الأواخر كانوا يطمعون في مناجم درعة الغنية بالفضة . وهذا يثبت أن الأهداف الاقتصادية كانت الدافع الأساسي للصراع بين فاس وسجلماسة .

وتتجلى نفس الأهداف في تفسير الصراع الادريسي البرغواطي ، فمعلوم أن برغواطة كانت تسيطر على إقليم تامسنا الغني بمنتوجاته الزراعية ، فضلا عن تحكمها في الطريق الثاني لتجارة الذهب الذي يبدأ من مدينة تارودانت عبر أراضي صنهاجة اللثام حتى يصل إلى غانة السودانية .

وقد حاول الأدارسة مرارا تجريد حملات تذرعت بأسباب دينية واهية مؤداها نشر الاسلام في ديار برغواطة « الملحدة » حيث زعم بعض المؤرخين أن بلاد برغواطة « كانت على دين النصرانية واليهودية والاسلام بها قليل » ، وقال بعضهم إن وجود « المجوسية » في تلك الأنحاء حدا بالأدارسة إلى شن حملات ذات طابع « هادي » على برغواطة

ويتضح خطأ هذا التفسير إذا ما علمنا أن الاسلام كان سائدا في بلاد تامسنا ، وأن البرغواطيين كانوا خوارج صفرية (3) ومن ثم يظل الدافع الاقتصادي وحده سببا منطقيا لتفسير حملات الأدارسة على ديار برغواطة التي استأسدت في الدفاع عن استقلالها . وقدر للأدارسة تحقيق أطماعهم إلى حين فمدوا نفوذهم حتى ديار الملثمين ، وتحكموا لبعض الوقت في طريق تارودانت الموصل لذهب غانة ، إلى أن نحاهم عنها أبو عفير البرغواطي الذي تمكن من تحرير بلاده من خطر الأدارسة

واستعراض علاقات الأدارسة العدائية ببني رستم يكشف كذلك عن الدوافع الاقتصادية في سياسة الأدارسة العدوانية إزاء حكام تاهرت ففضلا عن أطماع كل من الدولتين في السيطرة على تلمسان ، وحسم القضية لصالح الأدارسة ، حول إمداد فاس على محاولة حرمان الرستميين من موانيهم الشمالية على ساحل البحر المتوسط وقطع الطريق على تجارتهم الرائجة مع امو يي الأندلس . واستطاعوا بالفعل الاستيلاء على بعض الموانى الساحلية كميناء الخضراء وسوق إبراهيم ومع ذلك لم تعدم الدولة الرستمية وجود مراكز برية أخرى كانت سفنهم تخرج منها إلى موانى الأندلس . وحسبنا أن الأمويين بالأندلس تعاونوا مع بني رستم في تأسيس ميناثي تنس ووهران ، وبذلوا جهودا متصلة لحمايتها من خطر الأدارسة ، فقد ذكر البكري أن جماعات من « البحريين الأندلسيين كانوا دائمي الاقامة بالثغرين لضمان سلامة الاتصال التجاري »

وهذا يفسر لماذا كانت العلاقات الادريسية الأندلسية متوترة وعدائية : فالبحرية الأندلسية كانت تسيطر على شواطىء القطاع الغربي من البحر المتوسط ، وكذا السواحل المغربية على الأطلس بالتعاون مع برغواطة . وكان ميناء أصيلا شأنه شأن تنس ووهران بمثابة قاعدة بحرية أندلسية تشحن منها السلع المغربية . وخاصة الذهب والرقيق الأسود ، إلى موانىء الأندلس ، كذلك كان مستودعا للمنسوجات والمنتوجات المعدنية الأندلسية التي يحتاج إليها حلفاؤهم البرغواطيون والمدراريون ولسوف ينجح الأندلسيون - فيما بعد - في اقتطاع سبتة من الأدارسة بحيث اختنق الأخيرون اقتصاديا ، فعولوا على سياسة الاكتفاء الذاتي التي كانت كما ذكرنا من قبل من أسباب انهيار الدولة الادريسية وسقوطها .

فالخلاصة : إذن ـ ان تاريخ الأدارسة برغم ندرة معلوماته يمكن إجلاء الكثير من غوامضه بنهج رؤية سوسيولوجية لأحداثه ووقائعه في إطار حركة التطور الاقتصادي الاجتماعي للتاريخ الإسلامي العام●

محمود اسماعيل

التعاليق

(1) لا نجد مبررا لتشكك بعض الدارسين في حادثة اغتيال إدريس الأول فقد ذهب أحدهم إلى أن انصار إدريس نسجوا قصة موته شهيدا استدرارًا لعطف الجماهير على الأسرة العلوية التي يهدر دم أفرادها غدرا بالمغرب ، وقال آخر بأن هذا الموت التراجيدي نسج قصته كتاب عباسيون لإضفاء طابع أسطوري حول بطولة الرشيد وطول يده في التخلص من أعدائه حتى لو كانوا في أقصى الأرض . ونعتقد أن ما حدث كان أمرا طبيعيا يتمشى مع طبيعة الأحداث وصراع القوى في تلك الفترة الهامة من التاريخ العباسي . إذ سيقوم الأغالبة افصار العباسيين بمحاولات مماثلة للتخلص من إمداد الأدارسة ووزرائهم جريا على سنة بني العباس.

(2) لعل تأسيس مدينة فاس يحتاج لوقفة متأنية نظرا لما أثير حولها من روايات متضاربة ، فقد نسجت أساطير خرافية حول أسباب تسمية المدينة أوردها ابن أبي زرع وابن القاضي والجزنائي وغيرهم . كما أن هناك خطأ شائعا حول تاريخ تأسيسها مؤداه أن إدريس الثاني هو الذي أسس المدينة بربضها القروي والاندلسي ، الاندلسي سنة 192 هـ والقروي سنة 193 هـ. وقد كشف العلامة بروفنسال عن هذا الخطإ وأتى بنظرية جديدة مؤداها أن إدريس الأول هو الذي أسس المدينة سنة 172 هـ في الموضع الذي تقوم عليه عدوة الاندلسيين وأن إدريس الثاني أسس بعد ذلك عدوة القرويين سنة 192 هـ غربي مدينة أبيه وعلى الضفة اليسرى من وادي فاس . اذ استبعد أن يؤسس إدريس الثاني مدينتين متجاورتين منفصلتين في آن واحد . كما دعم نظريته ببراهين منطقية وادلة مستمدة من العملات التي ضربت في فاس قبل عام 192 هـ فضلا عن نصوص تاريخية وردت عند الرازي وابن الابار وابنه سعيد والقلقشندي والعمري وغيرهم ، وكلها تشير الى تأسيس إدريس الأول مدينة حملت اسم فاس هي التي أسكن فيها إدريس الثاني أهل الربضين الاندلسيين الذين قدموا عليه سنة 192 هـ وكان قبل ذلك بعام قد أسس عدوة القرويين لايواء الجند العربي القادم من القيروان ، فأصبح اسم فاس يطلق على العدوتين معا .

(3) راجع حقيقة المسألة البورغواطية في كتابنا : مغربيات

المراجع

1) ابن ابي زرع : القرطاس
2) ابن خرداذبة : المسالك والممالك
3) ابن خلدون : العبر
4) ابن عذارى : البيان المغرب
5) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية
6) بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس
7) البكري : المغرب
8) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي
9) السلاوي : الاستقصاء
10) عبد الوهاب بن منصور : وثائق مغربية
11) الكتامي : الازهار العاطرة
12) لاكوست : العلامة ابن خلدون
13) مجهول : الاستبصار
14) محمود اسماعيل : الاغالبة
15) محمود اسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب
16) محمود اسماعيل : مغربيات
17) اليعقوبي : البلدان
18) Altamira : A History of Spain
19) Dosy : Spanish Islam
20) Fournel : Les Berbères
21) Heyd : Histoire du Commerce
22) Lattie : Traités de paix et de commerce
23) Marçais : L'Afrique du Nord française dans l'Histoire
24) Partenne : Mohammed and charlemagne
25) Vonderheyden : la Berbérie Orientale



الثورة

شعر : أنور سالم سلوم

لأنك من ألمي جئت حين اغنيك أبكي .
وتعرف سر غنائي ، وسر بكائي الحقول
ويعرف سر التوحد ، والحب ، من هده الانتظار ،
وكانت لياليه عبر الحنين تطول

انتظرتك تحت السياط مواسم جوع طويله
انتظرتك خلف العيون التي قاومت طعنات الحراب
وكانت رؤاك تطل على قطرة العرق المتصبب
تعجنها آهة مرة بالتـــــراب
تنبات أنك آتيـــــــــــه
فارتقبت النهــــــــــار
وبشرت أهلــــــــــــي
فعاشوا اشتعال الرغائب حينا من الدهر غاب
يطالعني بعضهم بالتحية والبشر :

هذا زمان التعادل والقسـط
فاملأ لنا منه في كل يوم جـراب

ولكنني بت أخشى عليك افتراق الدروب اليهم
وأخشى عليك افتعال الرغــــــاب
لأنك من ألمي جئــت

حين أغنيك أبكـــي ..
وأطلب منك الكثيـــر

طويت على العهد عامين من بعد عشرة أعوام درب
أؤمل أن يبلغ الحب مني ومنك التوحـــــد
ما زلت أذكر يوم التقينـــا
أمانيـــك كانت تعـــرش
تورق عبر دمائـــــــي .
وكانت تمد الى المستحيـــــــــل الجسور
لذلك :
حين أغنيك أبكـــــــــي
ويؤلمنـــي فيك هذا القصـــور .
لماذا استمر الشتـــات ؟
وأنت هنا ....
وهنـــاك
وفي كل قطر لديك ذراع طويله
أمن مأمن مثلك اليوم يؤتـــــــى ؟
وأنت لدي كلام كثير ......
ولكنني أمسـك اليوم نفسي ..
كي لا أقولـــه

لأني أحبك أطلب منك رؤى مستحيله
ترى !
كيف جرت خطاك المسالك عن مستقيم الطريـــق ؟

وكيف ابتعدت عن النـــاس ؟
كيف تنازل لحمـك عن عظمه ؟
فتهاوى .

وكان (حزيران) ملحمة للشتات
وطرقة باب على النائمين ليصحوا
وليلا لأبناء آوى

ومنه انطلقنا ....

انتزعنا النصال عن القلب شيئا فشيئا
وعكسنا اتجاه ذباباتها ، ومشينـــا ،

أمام السراة حداة حزينـــة ...
ونخل قصي المنــــــــال
تــــرى !

كيف كان الخروج من الكهف ؟
كم طال حتى خرجنـــــا ؟

وكم شارد في بهيم الدجى ما يزال يحدق بالخيط
أسود ؟ !
أبيض ؟ !

لا فــرق ...
فالفجر جد بعيد .
تجمعت السحب من كل فرس ، فلا ملمس من طريق يجـــس ..
ولا أثر من جريد .

ثم أشرق (تشرين) صبحا من المجد ،
يرفل بالحب والمكرمات ...
ضحاه الجميل ،
وأصداؤه ما تزال تغلغل فينا .
لأني أحبك حين أغنيك أبكي
وأطلب فيك وفاء .... ودينا .

أراك محجلة بالرؤى ..
والدروب أمامك مشرعة بالحديد ..
فارجو غدا ..
والأماني معطرة بالهوى والنشيد ..
أراك وأصرخ :

أين الخيول الصوافن ؟
أين الخيول الصوافن ؟
يا من يربي المهور ليمسخها غنما للثغاء ..

ولحم القديد .
لأنك من ألمي جئت حين أغنيك أبكي ،
فالقاك واعدة من جديد .

أنور سالم سلوم دمشق

السّينما سنة 1979
قراءة في لاوعْي السّينما العالمية

(II)

دراسة : عبد الكريم قابوس

السّينما الاشتراكية : العمالقة يحقون الشبّان

رغم أن السينما في البلدان الاشتراكية لم تتجه في أي مرحلة من تاريخها إلى فرض نفسها على المستوى العالمي تجاريا ، فهي لم تنفك عن تقديم أعمال كبيرة عبر مراحل تطور السينما في بلدان أوربا الشرقية .

ولا نستطيع أن نتكلم عن امكانية أزمة داخل السينما في البلدان الاشتراكية من ناحية الانتاج . فالبنيات الاقتصادية في جل البلدان الاشتراكية مرتبطة بسياسة الدولة . والانتاج السينمائي في تلك البلدان مرتبط بمخطط اقتصادي عام وبخطة سينمائية لها علاقة بالسياسة الثقافية ودروها في مجتمع تختلف فيه الثقافة وطبيعتها عن مفهوم الثقافة في البلدان الرأسمالية .

وللسينما في البلدان الاشتراكية محوران : محور يتجه لانتاج أفلام موجهة إلى السوق المحلية وسوق بلدان حلف فارسوفيا . ومحور ثان مختص بالأفلام التي تتجه للعالم . وفي كلتا الحالتين يبرز من سنة إلى أخرى مخرج هام .

غير أن السينما في بعض البلدان الاشتراكية تمر بأزمة . فبالنسبة لسنة 1979 لم تقدم السينما التشيكوسلوفاكية أعمالا تذكر في حين أن السينما المجرية تفرض أفلامها في جل التظاهرات في أكبر المهرجانات العالمية ولم تقدم السينما اليوغسلافية إلا أعمالا قليلة في حين يواصل المخرج البولندي « أندري فايدا » العزف المنفرد حيث لم تقدم على المستوى العالمي في سنتي 1976 و 1979 إلا أفلام لهذا المخرج تمثل السينما البولندية . وتقلصت السينما البلغارية التي لم تجد منفذا للخروج من أفلام الحرب العالمية الثانية وشحّت علينا المانيا الديموقراطية رغم تقدم هذا البلد في انتاج الأفلام التسجيلية ربما يرجع ذلك لأهمية مهرجان « لايبزغ » الذي ينظم كل سنة في ألمانيا الديمقراطية . ولم نسمع منذ عدة سنوات بانتاج سينمائي يذكر في « رومانيا »

غير ان الاتحاد السوفياتي يقوم حاليا بخطة لفرض الانتاج السينمائي على مستوى عالمي وكانت أول مبادرة تتمثل في شراء قاعة « الأرلكان » في باريس حيث اختصت في عرض الأفلام السوفياتية .

لكن توجد بعض الأرقام التي تعطي فكرة عن أهمية السينما في البلدان الاشتراكية نذكر منها أن بعض الأفلام السوفياتية تطبع في أكثر من ألف نسخة وأن بالمجر الذي لا يتعدى عدد سكانه أكثر من عشرة ملايين توجد أكثر من 500 3 قاعة عرض ، في حين أن

ثمن تذكرة السينما في بلغاريا لا يفوت ما يعادل 60 مليما تونسيا . فكل هذه المعطيات تعبر عن اهتمام الدولة بقطاع السينما الذي تضمن من خلاله استقرار الفنان والفني في ميدان السينما وتؤمن فيه القدر المطلوب من الأفلام عبر شبكات القاعات التي تصل إلى كل القرى والأرياف .

وسوف نقتصر ، في اعطائنا فكرة عن انتاج السينما في البلدان الاشتراكية على أربع حالات .

*** الملحمة السيبيرية : والجيل الجديد :**

من يعرف شريط « المعلم الأول » المقتبس عن قصة الكاتب الأوكريني « أيتماتوف » يعرف بداية المخرج « اندري ميخالوف كونشالوفسكي » هذا المخرج الذي اكتشف عام 1965 والذي برهن على شعور قومي كبير وعلى معرفة وحب للأدب . حيث أن أفلامه الموالية كانت اقتباسا لأعمال « تورغنياف » و « تشيكوف » .

وفي عام 1979 أقدم على انتاج ملحمة جميلة عن سيبيريا برهن فيها كيف يستطيع المخرج السينمائي استغلال المساحات الشاسعة .

ففي فلمه « ملحمة سيبريا » يقدم المخرج عبر تاريخ قرية « ايلان » وتطور العلاقات بين العائلتين الهامتين في القرية وتطور الأجيال فيها فكرة حول المجتمع في تلك المنطقة .

هذا الفلم الذي يدوم ثلاث ساعات ونصف يشكل ملحمة على طريقة « الألياذة » ـ على حد قول مخرجه ـ تسجل حقبة من تاريخ منطقة هامة في الاتحاد السوفياتي .

ويمثل هذا الشريط نوعا من السينما التي تنتمي إلى جيل ما يسمى بالخمسة الكبار حاليا داخل السينما السوفياتية . وتقول أخبار الأوساط السينمائية السوفياتية أن المخرج الكبير « اندري تاركوفسكي » الذي أبهر كل مرة يقدم فيها فلما مثل : « اندري روبلاف » ، و « سولاريس » و « المرآة » تقول تلك الأخبار إن هذا المخرج أتم شريطا هاما لكنه لم يعرض لحد الآن ربما ينتظر عرضه في مهرجان « موسكو » الذي سوف ينظم في شهر أوت المقبل .

*** « رابسودي مجرية » والعمق التاريخي عند « ميكلوش يانكشو »**

« ميكلوش يانكشو » مخرج اشتراكي ملتزم وهو مجري حتى النخاع وهو كذلك سينمائي له نظرة منفردة وأسلوب خاص جدا .

اللغة السينمائية عند يانكشو هي وسيلة للتعبير عن معضلة أو لاستقراء التاريخ دون أن تكون حبيسة تركيبة معينة أو سرد مبسط للحركة ، وتركيبة اللقطة والموسيقى وادارة الممثلين والايقاع تتشابك في المشهد الواحد .

والفلم عند « ميكلوش يانكشو » ليس بتتالي مشاهد بل هو عملية تعبير ديالكتيكية ترتبط فيها المعطيات الفنية بطبيعة الخطاب .

وأشعر شخصيا ـ كل مرة أشاهد فلما من أفلام يانكشو ـ أنه يواصل الحوار النظري المطروح في أروبا الوسطى منذ نصف قرن حول مفهوم الفن ودوره وطبيعة التعبير لدى الفنان وعلاقته بالتاريخ والمجتمع .

ذلك الحوار الذي انطلق بين « بلابالاز » و « جورج لوكاش » و « برتولت بريشت » .

والجزءان من الثلاثية التي يحاول تقديمها ميكلوش يانكشو عام 1979 يشكلان مواصلة في بحثه الذي بدأه منذ « الحمر والبيض » وواصله في « التراتيل الحمر » و « من أجل الكترا » الثلاثية تأخذ عناوين لمختلف اجزائها من عناوين قطع موسيقية مشهورة للموسيقار المجري العالمي ـ بيلابارتوك ـ وهي « رابسودي مجرية » و « الغرو باربارو » و « كونشرتو مجري » لكن هذه الأفلام ليست أفلاما موسيقية بل هي كتابة جديدة لتاريخ المجر الحديث عبر حياة أسرتين ، الأسرة الأولى هي أسرة « زادني » تنتمي إلى ملاك أرض كبار وأسرة « أندري باسكا » التي تنتمي الى طبقة الفلاحين الصغار وعبر تطور تاريخ الأسرة نتعرف على مراحل تطور تاريخ

المجر الحديث .

لكن كل مكونات « ميكلوش يانكشو » متواجدة في هذا الشريط أي الحركات الدائرية ، الحمام ، الريف الأخضر ، الخيول ، طلقات النار ، وحركة الكمرا في لقطات مطولة . يضيق بنا هنا المجال لتحليل مراحل هذه الأفلام لكن ننتظر الجزء الثالث الذي ربما يمس فيه المخرج مراحل ما زالت على بساط النقاش وخاصة مرحلة 1945 وأحداث 1956 بالمجر .

المجتمع البولندي يشرح بدون بنج

المخرج البولندي « اندري فايدا » يحاول عام 1979 ، ومنذ عام 1978 ، تشريح المجتمع البولندي في هذه الفترة الأخيرة ونعلم أن بعد تشيكوسلوفاكيا وأحداث ربيع براغ .. يعتبر المجتمع البولندي أكثر المجتمعات الاشتراكية تحركا . فالنقاش مطروح على مستوى العمال كما هو متواصل في وسط المثقفين .

وبداية المرحلة الجديدة في مسيرة « اندري فايدا » السينائية هي شريطه « رجل الرخام » الذي ينتقد فيه المرحلة الستالينية وعملية تطوير الانتاج على المستوى الكمي .

ويواصل عام 1979 تحليله في شريط « بدون بنج » الذي يتناول فيه حيرة مثقف : أستاذ جامعي وصحفي شهير يجد نفسه وبدون أن يعرف الأسباب الحقيقية محاطا باحتراز زملائه سواء في العمل أو في اتحاد الكتاب ، وحتى حياته العائلية تنقلب تماما ، الشريط يقدم صورة واضحة للبيروقراطية التي كثر الحديث حولها في المجتمعات الاشتراكية وينادي بمفهوم انساني لتطبيق كل قرار سياسي .. وهذا الفلم يعكس مشاغل الفرد وعلاقته بالآخرين داخل المجتمع الاشتراكي .

هذه عينات من أفلام البلدان الاشتراكية عام 1979 ، غير أن هنالك عديدا من الأفلام الأخرى التي تعطي فكرة حول ما وصلت إليه هذه السينما كفلم اليوغسلافي « لوردان زافرانوفيتش » الذي يحمل عنوان « الاحتلال في 26 صورة » وفلم « عنبر رقم 6 » المأخوذ عن قصة تشيكوف الشهيرة التي اقتبسها اليوغسلافي « لوسيان بانتي » وفيلم « كوابيس » للبولندي « فويجيك ماركزفسكي » وشريط المجري « بال غابور » « تعليم فيرا » الذي يطرح فيه قضية التكوين داخل الحزب . غير أن السينما الاشتراكية رغم تطور السينما المجرية في السنوات الأخيرة ما زالت تبحث عن طريقة لفرض نفسها على مستوى عالمي لأن طبيعة المواضيع المطروحة وعلاقة الفنان بالسلطة في المجتمعات الاشتراكية تجعل السينائي يتجه إلى مخاطبة الجمهور حول المشاكل اليومية .

سينما العالم الثالث والاستقالة المخيفة

يشكل ما يسمى بالعالم الثالث (افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية) نوعا من الفسيفساء السياسية والثقافية . وبلدان القارات الثلاث تحاول سنة بعد أخرى العمل على بروز سينما وطنية جادة وهذا مع اختلاف انماط الحكم والاتجاهات السياسية في مختلف تلك البلدان .

وإذا لاحظنا أن في السنوات الأخيرة بدأت تبرز من حين لآخر سينما يتقبلها نقاد الغرب بالتهليل والتكبير ، فانه في الحقيقة لم نصل في أي بلد من بلدان العالم الثالث إلى تحقيق سينما باتم معنى

الكلمة .

وفي بلدان القارات الثلاث يرتبط مصير السينما بنوعية الحكم .

وفي العالم الثالث يوجد سينمائيون ، وفي العالم الثالث العديد من المواضيع الجاهزة والصالحة لأن تكون أفلاما .

وفي العالم الثالث جمهور يستطيع استهلاك الانتاج الثقافي .

لكن السؤال المطروح منذ أن فكر بعضهم في بعث سينما في مختلف بلدان القارات الثلاث هو : لماذا بقي الانتاج على ما هو عليه في هذه البلدان ؟

لماذا لا يصل الشريط القادم من بلدان القارات إلى الجمهور ولا يجد مكانا حتى في قاعات البلد المنتج ؟

وفي عام 1979 نستطيع الحكم على سينما القارات الثلاث وخاصة منها العربية والافريقية من خلال الانتاج فماذا قدمت هذه السينما في هذه السنة ؟

السينما العربية والمرحلة الراهنة

من الواضح أن السينما العربية ما زالت في طور البحث عن الطريق الصالح لانتاج سينما جادة .

وإذا استثنينا الجزائر والعراق ، أين توجد سياسة سينمائية واضحة فإن باقي البلدان العربية تشهد انتاجا سينمائيا فوضويا ومبنيًّا على الصدفة والجهود الفردية .

ففي مصر وصلت لنا الأخبار أنه في عام 1978 لم ينتج أكثر من عشرين فلما مقابل 65 فلما سنويا في السنوات الماضية ويرجع هذا الانخفاض في الانتاج السينمائي المصري إلى عدة أسباب :

ـ أولها أن المؤسسة العامة للسينما والمسرح تحولت ـ بعد أن ازدهر القطاع العام في الستينات ـ إلى ادارة لا تفكر لا في الانتاج ولا في التوزيع

ـ أنَّ القطاع الخاص أصبح لا يفكر إلا في المواضيع التي تضمن له الأرباح في أقل وقت وبدون اعتمادات كبرى .

ـ أنَّ المثقف المصري أصبح في موقف صعب بعد زيارة السادات الى اسرائيل وبعد امضاء معاهدة السلام .

ـ ومن بين الأسباب الأخرى هجرة الفنانين والفنيين المصريين الى مختلف انحاء العالم وخاصة الى دول الخليج التي تشهد تطورا كبيرا على مستوى انتاج المسلسلات التلفزيونية .

وتعتمد هذه المسلسلات في انتاجها أساسا على الفنيين والفنانين المصريين .

كل هذه العوامل ادت بالسينما المصرية إلى طريق مسدود .

فكيف ستكون حال السينما المصرية عام 1979 ؟ أي عندما قررت البلدان العربية كاملة مقاطعة مصر وانتاجها واذا اعتبرنا أن السينما قبل كل شيء صناعة وتجارة فان طبيعة المعاملات المالية والبنكية سوف يكون لها وقع على توزيع الأفلام المصرية في مختلف الأقطار العربية علما وأن السينما المصرية لا تغطي تكاليفها في مصر بل تعتمد أساسا على السوق العربية .

وإذا انطلقنا من الانتاج المقدم في مهرجان « كان » لهذه السنة نلاحظ أن حضور مصر في مهرجان « كان » ، كان عن طريق بعثة هائلة من الصحفيين في حين لم يعرض أي شريط مصري في أي تظاهرة من التظاهرات ما عدا « كمال الشيخ » الذي قدم إلى هذا المهرجان وفي حقيبته شريطه « الصعود الى الهاوية » الذي عرضه في السوق على أساس أنه الشريط الذي يتناول أول خطوة إلى محادثات السلام وهي قصة الطالبة المصرية التي التقت في باريس بـ « موشي ديان »

العـراق والجـزائر وبوادر سينما وطنيـة

بعد القرار الفريد من نوعه في العراق والمتمثل في الغاء كل أنواع الضرائب على الحفلات السينمائية ، وبعد الدعم الكامل من طرف الدولة للمؤسسة العامة للسينما والمسرح بالعراق ، وبعد وضع خطة انتاج تضمن حدا أدنى من الأفلام الطويلة والأفلام القصيرة في السنة تصبح السينما العراقية من بين السينماءات في البلدان العربية ، الأكثر حظوظا وتنبىء ببروز سينما جادة في القطر العراقي .

وإذا كان الانتاج في عام 1978 وصل إلى حد ثلاثة أفلام روائية طويلة في العراق بعد أن صدر كل من « بيوت في ذلك الزقاق » لقاسم حول و « التجربة » لفؤاد التهامي و « النهر » لفيصل الياسري أعطت السينما العراقية في الثلاثة أشهر الأولى من عام 1979 شريطين روائيين طويلين وهما : شريط « الأسوار » للمخرج محمد شكري جميل المأخوذ عن قصة القمر والأسوار « لعبد الرحمان مجيد الربيعي » وفلم « يوم آخر » للمخرج صاحب حداد .

كما ينتظر إتمام عدد آخر من الأفلام الروائية الطويلة التي هي بصدد الانتاج أو التركيب .

أما بالجزائر فإنه من بين المشاريع المقترحة في عام 1978 علما بأن الجزائر وصلت لحد الآن إلى انتاج أربعة أفلام في السنة لم يتم الا إنتاج شريطين : « النهلة » للمخرج فاروق بلوفه وهو عن حرب لبنان و « علي في بلاد السراب » من اخراج احمد الراشدي

ولنتوقف عند هذا الشريط قليلا نظرا لأهميته :

« علي في بلاد السراب » هو الشريط المنتظر الذي تناول قضية الهجرة على وجهها الصحيح من خلال تحليل جاد وعلمي .

كتب السيناريو الكاتب الجزائري « رشيد بوجدرة » ومثله « جلول بقورة » الذي سبق أن مثل دورا رئيسيا في شريط عن المهاجرين لحساب التلفزيون الفرنسي .

علي شاب جزائري يعمل في فرنسا بدون تعقيدات ، يعمل سائقا لحاملة بناء ، تلك الآلة الضخمة التي لا تتنقل بل تقوم بحركات حول محورها وترفع مواد البناء إلى أعلى طوابق العمارات الجديدة وعند ما يشعر أنه في عزلة يشتري منظارا مقربا ويبدأ في مشاهدة حياة الفرنسيين من خلال منظاره فيجدها حياة سريعة الزوال ، مستغلين في حياتهم ، متعبين فيها ، واقعين في فخ الاستهلاك ، وفي عزلة مخيفة .

ويربح ذات يوم 000 11 فرنك فرنسي عن طريق ورقة يانصيب ويسمح له هذا المال أن يدخل ويتعرف على الطبقة الثرية ولكن سرعان ما يضيع منه المال ويعود الى عمله السابق .

غير أنه في أحد الأيام يكتشف من خلال منظاره أن شيخا يحتضر فيسرع علي تاركا عمله لانقاذه ، لكن الجيران يتهمونه بقتله .

وككل المهاجرين ، لا يسلم عليٌّ من الحتمية الشاقة التي يعيشها العمال الأجانب اذ لا يوجد مهاجر سعيد على الاطلاق .

يمتاز هذا الشريط عن بقية كل الأفلام التي انتجت حول العمال المهاجرين بعدة ميزات :

- الخطاب الذي يسوقه الشريط يختلف عن الخطاب المعهود في الأفلام الخاصة بالمهاجرين . فهو يتوجه للمهاجر ، وللمواطن الفرنسي يتكلم لغة الند للندّ بعيدا عن التعميات والاتهام الاجمالي .

- يحلل مشكل الهجرة انطلاقا من المشاكل المطروقة والتي ينطلق منها المهاجرون ومن التناقضات الموجودة في البلدان المصنعة التي تستقبل المهاجرين

- يطرح مشاكل المهاجر بأسلوب حي ، تسوده النكتة ولا يقع في الخطابات الجوفاء

يستحق هذا الشريط دراسة كاملة حيث أنه يشكل نموذجا من السينما التي تطرح المشاكل الكبرى دون السقوط في « المثقفاتية » متجها الى الجمهور العادي .

وبالجزائر مشاريع أخرى هي الآن في طي الانجاز منها ما

سوف تنتجه الاذاعة والتلفزة ومنها ما سوف يموله الديوان القومي للصناعة والتجارة السينمائية .

السينما الافريقية والجفاف المفزع

بعد تجارب بعض السينمائيين الأفارقة وخاصة في السنغال والنيجر والكامرون ومالي وفولتا العليا بدأت تنمو الصناعة السينمائية في افريقيا ومنذ سنتين تشهد الصناعة السينمائية في القارة الافريقية ركودا ملحوظا .

ولا تعرف لحد الآن أسباب هذا الركود هل هي أزمة خلق ؟ أم أزمة تمويل ؟

وفي عام 1979 لم يعرض من الأفلام الافريقية إلا شريطٌ واحدٌ جديد من اخراج السينمائية السنغالية «صافي فاي» وهو شريط انثربولوجي عن احدى القرى بالسنغال تستجوب فيه هذه المخرجة شيوخ القرية بحثا عن الموروث الثقافي محللة العوامل المهددة للكيان الثقافي للقرية الافريقية .

أمريكا اللاتينية والطغمات والفن المغتال

أمريكا اللاتينية هي قارة الدماء والنيران تواصل الطغمات الفاشية في هذه القارة تعسفها على الشعوب ومن ذلك قمع الفنانين . واذا كان الضغط في بعض الحالات يؤدي إلى الانفجار فإن السينما في أمريكا اللاتينية لم تنفجر بعد .

فالسينما في أمريكا اللاتينية إذا استثنينا السينما البرازلية التي لها انتاج متواصل بفضل المؤسسة القومية للسينما فإن جل بلدان أمريكا اللاتينية لم تقدم أعمالا تذكر .

وعام 1979 يشهد أول شريط انتجته سينما « بنوشي » في الشيلي وهو يتناول قضية الملاكين في أول القرن .

غير أن دعاة السينما الثالثة ومنهم « جيتينو » و« سولاناس » لم يجدوا اذنا صاغية للنضال من أجل سينما ثالثة .

آسيا الانتاج الضخم بدون قيمة

إذا جمعنا عدد الأفلام المنتجة في الهند وفي « هونغ كونغ » تحصلنا على أرفع نسبة من الأفلام المنتجة في العالم سنويا .

غير أن هذا الانتاج في مجمله لا يحمل أية قيمة .

وببساطة شديدة نستطيع أن نلخص الأفلام المنتجة في هونغ كونغ بأنها تمجد العنف المجاني عن طريق الكاراتي تقدم للطبقات السفلى حتى تنسى مشاكلها اليومية ، والفلم الهندي ما زال يشكل نفس الطبخة الغنائية الغرامية خاصة وان الظروف السياسية التي تمر بها الهند لا تسمح بانتاج سينمائي جيد .

الخاتمة :

ليس من السهل أن نقدم نظرة شاملة على السينما العالمية عام 1979 لكن المعلومات المتوفرة لدينا تؤدي بنا إلى عدة استنتاجات :

ـ إن تخلص السينما الأمريكية وخاصة هوليود من الازمة التي حلت بها منذ عام 1969 يبرهن على عزم أمريكا على مواصلة بث الفكر الامبريالي عن طريق وسائل الاتصال وخاصة منها السينما .

ـ إن ما يجد حاليا في أروبا من محاولة الوحدة التي بدت ملامحها تبرز جليا بعد الانتخابات الأوروبية سوف يكون له وقع على طبيعة السينما الأوروبية وهذا يبدو جليا من خلال ارتفاع الانتاجات المشتركة بين مختلف بلدان أوروبا الغربية .

ـ ان السينما في البلدان الاشتراكية سوف تشهد ، خاصة بعد إمضاء اتفاقية « سالت » ، نوعا من التفتح على العالم نتيجة

التقارب بين الاتحاد السوفياتي وأمريكا .

ـ ان الصين سوف تدخل حلبة السينما العالمية بعد مراجعة سياستها الثقافية وهذا بارز في أن 1979 هي أول سنة تحضر فيها لصين مهرجان « كان » كملاحظ .

ـ ان التحولات السياسية في افريقيا سوف لن تساعد السينما الافريقية على الخروج من ركودها .

ـ وختاما ان اتفاقية « كامب دافيد » و « معاهدة السلام » والقرارات المتخذة والتي تتخذ على صعيد المنظمات الثقافية العربية سوف يكون لها وقع هام على خارطة السينما العربية وأن اسطورة السينما المصرية اندثرت تماما .

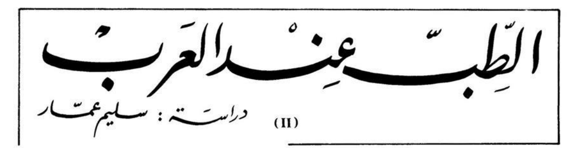
وهذا بارز من خلال المبادرات الأولى التي سوف يكون لها تأثير على توزيع الفيلم العربي في الوطن العربي.

عبد الكريم قابوس



12 « بدون بنج » أو تشريح المجتمع البولندي
13 « النهاية الآن » ومنعرج في تاريخ السينما
14 « ملحمة سيبيريا »
15 « ثلاثية يانكشو أو استقراء تاريخ المجر الحديث »

16) » الاحتلال في 26 صورة » واحتشام السينما اليوغسلافية .
17 ـ 18 » علي في بلاد السراب » وسينما جزائرية جادة



■ الجراحة :

أخذ العرب الجراحة عن اليونان والهنود وبلغوا فيها شوطا بعيدا وأول من اهتم بها الرازي أبو بكر . وللرازي وصف جيد لعملية ازالة جزء من العظام المريضة أو استئصالها كلها واستخدام الماء البارد في علاج الحروق وهي طريقة حديثة جدا لم يمض عليها غير سنوات قلائل وتستعمل في الوقت الحاضر كاجراء اسعاف أولي لحَرقِ الاطراف حيث يوضع الذراع أو الساق في ماء بارد لمدة دقيقتين وقد ثبت ان هذا يؤدي الى تقليل الألم وفقدان البلازما وتقليل نسبة الوفيات .

كما شرح علي بن عباس المجوسي الشق العجاني عن الحصاة
Opération de la pierre de la vessie

وفي اوائل القرن الحادي عشر للميلاد ازدهر العصر الاندلسي بابي بكر محمد بن أبي مروان بن زهر الذي جمع بين الطب والجراحة ، لكن اكبر جراحي العرب هو بلا شك ابو القاسم الزهراوي (القرن 11) الذي اعتبره الغربيون من اعظم وأمهر الجراحين الذين عرفهم التاريخ وقد بقي كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف منهلا لكثير من أطباء أوروبا طيلة العصور .

وقد برع الزهراوي في جراحة اليد وعلاج كسر العظام وخلعها وتفتيت الحصاة داخل المثانة Calculs de la vessie وكذلك في جراحة العين والاذن والاسنان والفتق وجراحة علل النساء خاصة عند الولادة وفي استعمال القساطير Cathèters في المجاري البولية والمثانة وجراحة الغدة الدرقية Thyroïde وأورام الاوردة وجراحة قصبة الرئة وجراحة اصابة العمود الفقري بمرض السل الخ .

ولقد وصف واخترع عديدا من الآلات الجراحية نجد رسمها لأول مرة في التاريخ في كتاب التصريف وهي تفوق المائة وكان الزهراوي ذا خبرة واسعة حصلها من ممارسة فنه وملاحظة سير مرضاه بعناية ودقة وكان يوصي باهمية علم التشريح لكل من يتعاطى الطب ولا سيا الجراحة ولقد قال : والسبب الذي لا يوجد صانع محسن في زمننا هذا لان صناعة الطب طويلة وينبغي لصاحبها ان يرتاض قبل ذلك في علم التشريح » ... هذا وقد قال ابن رشد بعد بقليل « ان من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله » .

هذا ودفعت الجراحة العرب الى استخدام المخدرات فيها كالحشيش والافيون وست الحسن Hyoxyamine وربما كانوا مخترعي الاسفنجة المخدرة Eponge anesthésique التي كثيرا ما استعملت في القرون الوسطى كما انهم اخذوا خيطان الجروح من امعاء القطط والحيوانات الاخرى وكذلك هم اول من استخدم الاوتار الجلدية Catgut في تخييط الجروح بعد العمليات الجراحية .

هذا وحينا كانت المدارس الطبية تتحاشى تعليمها من القرن الحادي عشر الى القرن الخامس عشر بدعوى انها لا تليق بالاطباء المحترمين . كان العرب يعتبرون الجراحة قسما منفردا وممتازا في الطب .

المستشفيات :

لقد وجه العرب الكثير من عنايتهم للمستشفيات وكما يقولون البيارستانات فأقاموا في ايام الامويين بعض المستشفيات

للمجذومين والعميان كما ان الامير الوليد بن عبد الملك الاموي قد أسس قبل ذلك اول مستشفى يأوي المختبلين سنة 777 م بدمشق .

أما في العصر العباسي فقد شيد ببغداد اول المستشفيات الجديرة بهذا الاسم وكذلك بدمشق والقاهرة والقيروان ثم بفاس وقرطبة وغيرها من العواصم وكان موقع المستشفى يختار بعد الدرس والبحث الدقيق .

ولقد جاء في كتاب طبقات الاطباء . ان عضد الدولة استشار الرازي ليختار له المكان لبناء مستشفى يحمل اسمه فطلب الرازي ان يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم واعتبر الناحية التي لم يتغير فيها اللحم فاشار باقامة المستشفى عليها .

والمستشفيات عند العرب نوعان منها ما هو خاص ببعض الامراض العقلية والجذام كما كان الامر بمدينة القيروان مثلا ومنها ما هو عام لجميع الامراض . فانشأوا مستشفيات للمجذومين والعميان والايتام والنساء والعاجزات وللمرضى في السجن وكذلك للجيش .

وفي هذا الصدد اسست لاول مرة في التاريخ البيمارستانات المحمولة او المتنقلة Hopitaux ambulants ou de campagne وهي مصحات مجهزة بجميع ما يلزم المرضى من عتاد وادوية وادوات واطعمة واشربة وملابس واطباء وصيادلة وكل ما يعين على ترفيه وعلاج المرضى .

ولقد امر الوزير علي بن عيسى الطبيب سنان بن ثابت في القرن الحادي عشر باحداث اول مستشفى محمول لفائدة الجيش وجاء في كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام للدكتور احمد عيسى ان هذه المؤسسات كانت تسير على نظام محكم وعلى اصول رفيعة لا تقل عن الاصول الحديثة ولو كانت هذه تفوقها اليوم من حيث الآلات والادوات والاساليب .

هذا وكانت المستشفيات العربية تنقسم الى قسمين : قسم للرجال وقسم للنساء وكل قسم يحتوي على غرف وقاعات منها ما هو للامراض الباطنية ومنها ما هو للعيون والجراحة والكسور والتجبير بينما قسم الامراض الداخلية ينقسم الى قسم الحميات وحوادث



○ صيدلية عربية (من مخطوط يرجع إلى القرن الرابع عشر م .)

الاسهال والامراض العقلية ولم تخلُ المستشفيات من اقسام خاصة للناقهين فهكذا ازدهرت المستشفيات عند العرب في القرون الوسطى بينما كانت في اوروبا وكرا للامراض والجراثيم في حين ان بعض الملوك كانوا في اوروبا يحرقون المجذومين ويعذبون المختبلين ولا يكترثون لصحة المساجين او حتى لحياتهم .

الصيدلية :

والعرب اول من أنشأ حقائق الصيدلية وتحضير الاقرباذين Pharmacopée واقامة الرقابة على الصيدلية وذلك انطلاقا من تحكمهم في علم الكيمياء والنبات والاعشاب منذ عهد جابر بن حيان الى عهد عبد الله بن البيطار وكان الصيادلة لا يتعاطون صناعتهم الا بعد الترخيص لهم وتسجيل اسمائهم في الجدول الخاص بهم . كما كان في كل مدينة مفتش خاص للصيدليات ولاعداد الادوية .

وأتى العرب بالعقاقير من الفرس ومن الهند ومن المغرب ومن بلاد الزنج فاستنبطوا انواعا كثيرة من العقاقير والحشائش تدلنا على ذلك اسماؤها التي وضعها العرب . والتي لا تزال على وضعها عند الغربيين الى يومنا هذا منها : البشمط Bismuth والقلي Alcaline والسوداء Soude والابازير Epicerie والنطرون Natron

والاقسير Elixir والانلين Aniline واللبن الجاوي Benjoin والعنبر Ambre والبورق Borax

ولقد كشف العرب ادوية جديدة منها السنمكة والكافور Camphre والصندل Santal والرواند والسمك Musc والمروجوز القي Myruche والتمر الهندي Tamarin والحنظل والقرفة وحانة الذئب Aconit وجوز الطيب Noix muscade وغيرها كما اخترعا الاشربة Sirops والكحول Alcools والمستحلبات Julep والخلاصات العطرية Extraits وتوصل ابن سينا الى تغليف الحبوب التي كان بعضها للمريض Pilules

وكذلك توصل العرب الى عمل الترياق المؤلف Thériaque من عشرات بل مئات الادوية وحسنوا تراكيب الافيون والزئبق وتوسعوا لاستعمالها ولقد قلنا انهم اول من استعمل الحشيش والافيون وغيرها للتخدير .

ووضع علماء العرب من الاطباء وغير الاطباء مصنفات ورسائل قيمة في الادوية المفردة والاغذية وفي تركيب الادوية وساروا في بعضها على ترتيب خاص ليسهل على المشتغل والقارىء التقاط منافع كل دواء واختياره ... Tableaux Synoptiques نخص بالذكر من ذلك تصنيف الادوية لابن سعيد ابراهيم الصقلي التونسي (القرن 14) وما جاء في كتاب ابن جزله وابن بطلان ويتبين في هذه المصنفات والمؤلفات ان العرب ادخلوا جملة من المواد الطبية في العقاقير والمفردات الطبية وقد جمعها ليكلارك Lucien Leclerc في بعض مؤلفاته واتى عليها بنصها العربي وما يقابلها من نص لاتيني وفي مقابلة النصين يتجلى بصفة واضحة الاقتباس عن النص العربي .

5) القيم والعبر

هذا بايجاز ما قدمه العرب في الطب للبشرية في العصور الذهبية التي ازدان بها العالم المتمدن حينذاك ولعل ما بقي اليوم من اهم هذه المكاسب هي القيم والعبر التي كان اعلام الاطباء العرب يرددونها ليمهدوا السبل لمن يتتلمذ على أيديهم وما احوج الشباب العربي المتطلع اليوم نحو تشييد مجتمع افضل يرتكز على الاصالة والاخلاق الفاضلة ان يتشبع بها في كل زمان ومكان ولا سيا الشباب الطالبي الذي اختار مباشرة صناعة الطب وقد قال علي بن عباس المجوسي « ان العلم بصناعة الطب لافضل العلوم واعظمها قدرا واجلها خطرا واكثرها منفعة لحاجة جميع الناس اليها » وأضاف يقول في شأن المشتغلين بمهنة الطب .

« ومما ينبغي لطالب هذه الصناعة ان يكون ملازما للبيمارستانات ومواضع المرضى كثير المداولة لامورهم واحوالهم واعراضهم . متذكرا لما كان قد قرأه عن تلك الاحوال وما يدل عليه في الخير والشر فاذا فعل ذلك بلغ في هاته الصناعة مبلغا حسنا . لذلك ينبغي لمن أراد ان يكون طبيبا فاضلا ان يلزم هذه الوصايا ويتخلق بما ذكرنا عن الاخلاق ولا يتهاون بها فانه اذا فعل ذلك كانت مداواته للمرضى مداواة صواب ووثق به الناس ومالوا اليه ونال المحبة والكرامة » .

وقال محمد الشريف الصقلي التونسي صاحب المختصر الفارسي (القرن 14) « اعلم بان من تعاطى صناعة الطب عليه ان يتمسك بامر يكون دوما نصب عينيه وهو ان يريد لغيره ما كان يريده لنفسه ولا تستهين باقل الاخطاء ، فان المطر الهاطل يبدأ قطرة قطرة . » واشتهر محمد الشريف الصقلي بنصائحه الثمينة وتوجيهاته القيمة التي تتعلق بوصف الادوية ومسؤولية الطبيب امام العليل المسكين الذي وضع كل ثقته فيه كما وضع الصيدلي ثقته في دوائه . قال : « على من يباشر الطب ان يستشيق الناس به على ان يكون حاذقا محترزا يخاف الله والعباد » ويقول علي بن رضوان (القرن 14) : « على الطبيب ان يكون تام الخلق صحيح الاعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الروية عاقلا ذكورا خير الطبع وان يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة ، نظيف البدن والثوب وان يكون كتوما لاسرار المرضى لا يبوح بشيء عن امراضهم وان تكون رغبته في ابراء المرضى اكثر من رغبته فيا يلتمسه من اجرة ورغبته في علاج الفقراء اكثر من رغبته في علاج الاغنياء ويكون حريصا على التعليم والمبالغة في منافع الناس ويكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه .

وقال الرازي : « اذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما اقل لبث العلة » وكذلك « الاطباء الاميون والمقلدون . والاحداث الذين لا تجربة لهم ومن قلت عنايتهم وكثرت شهوتهم قتالون » وقد

قال كذلك : « ان قدرت ان تعالج بالاغذية فلا تستعمل الادوية وان قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تستعمل دواء مركبا واخيرا فان من تطبب اطباء كثيرين (بدون استشارة بعضهم بعضا) اوشك ان يقع في اخطاء كل واحد منهم » .

وكذلك « من لم يعن بالامور الطبيعية والعلوم الفلسفية والقوانين المنطقية وعدل الى اللذات الدنياوية فاتهمه في علمه لا سيا في صناعة الطب والحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم بداية خطر وكذلك ما اجمع الاطباء عليه وشهد عليه القياس وعضدته التجربة فليكن امامك وبالضد .

واختم الكلام بهذا القول العربي الشائع المعروف :

كان الطب معدوما فاحياه جالينوس وكان متفرقا فجمعه الرازي وكان ناقصا فاتمه ابن سينا .

الخلاصة

هذا بايجاز ما وصل اليه الطب العربي في العصور الذهبية واليوم وبعد مضي السنين علينا ان نتساءل :

1) ما هو سر هذا البعث العظيم الذي ازدهرت به العلوم الطبية وصناعة الطب عند العرب ؟

2) ما بقي من هذا التراث اليوم ؟

3) ما هي العبرة التي ينبغي استخلاصها من كل ذلك ؟

1) فمن السؤال الاول لا يكون جوابنا الا بالصورة الآتية :

ان سر هذا البعث يتوقف على قوة الايمان ووحدة الصفوف التي انبثقت من الرسالة السماوية المقدسة التي بعث بها الاسلام للعالمين ، تلك الرسالة المتمثلة في العمل المثمر والبر والتقوى والصدق والامانة والكد والجد والجهاد المستميت لاعلاء كلمة الحق على اساس الرفق والعدالة والانصاف ونكران الذات وتلافي الملذات الدنياوية .

وكل هذه الخصال هي التي وحدت صفوف العرب وحققت لهم العز والمجد والكرامة والرقي في كل ميادين الحياة بما فيها ميادين العلم والثقافة والعرفان .

2) وعن السؤال الثاني ما بقي اليوم من هذا التراث فالجواب هو اننا لا نزال نكسب كنوزا غالية كامنة تحت غبار الجهل والنسيان فبالاضافة الى القيم الرفيعة والعبر العليا التي يمكن استخلاصها من تاريخ الطب العربي نحن نجد في حقيقة الامر انفسنا امام تراث ثريّ ينبغي استغلاله مهما كانت الصعوبات والتكاليف . فالأعشاب والعقاقير والحشائش التي تستعمل الى حد الآن بدون دراية في البلاد العربية الاسلامية تكن في اعماقها اكتشافات واختراعات هائلة اذا درسناها على ضوء المخبر والمجهر وحللناها تحليلا علميا صحيحا وهذا ميدان شائع واسع النطاق مفتوح امام الأجيال العربية الصاعدة يمكن للأمة العربية ان تستفيد منه استفادة كبيرة بفضل ما تكسبه من طاقات وامكانيات مالية مكبوتة او مصروفة في غير محلها .

3) اما عن السؤال الثالث فالجواب هو انه علينا ان نفكر مليا اليوم في نجاعة الطرق العلاجية التي كان يستعملها اسلافنا القدامى .

وهي الطرق المرتكزة على الثقة المتبادلة والايمان والرفق بالبشر وبصفة موضوعية على قواعد العلاج النفساني الحق المنبثق من التبرك والاعتقاد كانت الصعوبات وشهوتهم قتالون د في الشفاء على بركة الله بما حول هذه الاعتقادات من طرق تقليدية مختلفة اكدت نجاعتها التجارب في عديد من المناسبات .

واليوم لقد نرى مباشرة الطب كانها اصبحت جافة قاسية مجردة من طبعها الانساني مقتصرة على استعمال الآلات الميكانيكية والحبوب والحقن وكأن الناس قد اصبحوا آلات جامدة بدون روح ولا تفكير ولا احساس وان دراسة الطب العربي تذكرنا اليوم بهذه الاخطاء وتمكننا من اجتنابها .

وفي الختام نقول ان الطب العربي لا يزال يكن كنوزا وافرة من القيم والعبر ومن الامكانيات الثقافية والعلمية من جهة من حيث الاكتشاف والابتكار ومن جهة اخرى من حيث الخصال التي ترتكز على العلاقة البشرية القويّة التي ينبغي ان تقام ما بين الطبيب والمريض لبلوغ الهدف المقصود ألا وهو تعيين التشخيص المرضي الحق والعلاج الحق الذي يتمثل في الرسالة الطبية المقدسة على اختلاف المكان والزمان .

سليم عمار

الحصان الجامح

قصة : بوراوي عجينة

ما بال صاحبه مهموما هذا الصباح على غير عادته ؟ طريق العودة معبدة ملساء تحت حوافره ، وقد أزالت عنها شمس الصباح اللينة تلك القشرة الرقيقة من الندى التي كانت تغشيها والتي وطئها فجرا .

ها هو يعود الى الحقل يدق الأسفلت الأسود بحوافره الأربعة دقات منتظمة سريعة ، جارا العربة الفارغة خلفه ، تاركا وراءه سوق الخضر الكبيرة في المدينة الكبيرة . ولكن صاحبه يلوح بالسوط الغليظ في الفضاء وقرب اذنيه ، يلسع به أحيانا ظهره وجنبيه بضربات مؤلمة مبرحة ، محدثا نفسه بصوت عال :

« لن يطردوني أبدا .. لن يقدروا على ذلك أبدا .. أبدا !! » .

وصلا الى الحقل الذي ولد فيه وتربى ، وأخرج من بثره طوال فصول السنة ماء عذبا صافيا ، تنزل الدلاء فارغة ، وتصعد مملوءة ، وتفرغ في حوض يسقي شجرات البرتقال والخضر والبقول .

وصلا فلم يفك عنه صاحبه النطاق واللجام ، ولم يبعد عنه العربة - ولم يطعمه بيده ، بل ولم يضع حتى المخلاة في عنقه .

سمعه يحدث زوجته وهي منشغلة برش الحبوب لدجاجات حولها

- لقد انتهى كل شيء

- ماذا انتهى ؟ ألم تذهب الى السوق ؟

- بلى ، لقد كنت هناك قبل بزوغ الشمس فأنزلت البرتقال الذي جنيناه أمس والخضر ، وكان الربح وافرا والحمد لله .

- إذن ما الذي يشغلك ؟

قال بنبرة حزينة :

- اعترضني صديق قديم في السوق ، وأخبرني أن ابنه حضر اجتماعا مضيقا تقرر اثناءه افتكاك الأرض .

قالت :

- وكيف تم ذلك ، وهي تواصل رش الحبوب ؟

- لقد قرروا افتكاك أرضنا ليبنوا نزلا ومنازل للسواح ، وأشياء أخرى يتسلون بها

- أرضنا نحن ؟

وتوقفت عن الحركة

- نعم ! احضروا بعد الخرائط ، ورصدوا الأموال ، وسطروا الطرق ، وبنوا النزل بالورق المقوى في شكل صغير ، وهو موجود الآن في الادارة .

قالت باسمة وخائفة :

- لا تهزأ مني هذا الصباح

- سيفتكون حقلنا قهرا ، وسيطردوننا .

- ما هذه الفاجعة التي حلت بنا هذا الصباح !

غابا عن ناظريه متجهين نحو المنزل الأبيض الصغير ؛ فأحس بوحشة وألم واقتراب زوبعة أو إعصار ، وبعد برهة ظهر الرجل ، وقد نزع سترة العمل الزرقاء ، لابسا سترة عصرية جديدة ، حاملا تحت إبطه مجموعة من الأوراق الملفوفة .. اتجه الرجل نحو الباب الخارجي ، شاقا الأشجار الملتفة الأغصان ،



المثقلة برتقالا ناضجا ، وسمع خطواته السريعة تطأ البقول المزروعة بين صفوف الأشجار .

لف ضباب كثيف عينيه ، وضغط الألم على بطنه ، وسمع دوي الخيول وهي تعدو في أذنيه بينما العربة ما زالت مشدودة اليه ، فحرك رأسه وعنقه وعرفه في كل الاتجاهات ، ودق الأرض بحافريه الاماميين دقات عنيفة وصهل عاليا .

فنادى الرجل من بعيد :

ـ لا تنسوا أن تحكموا وثاق الحصان وتطعموه .



أشعة شمس الأصيل لينة دافئة ، والهواء رطب ، وروائح عطرة تسبح في فضاء الحقل . رفيقته الصغيرة تقوده برفق من لجامه فيصعد المنحدر في اتجاه قمة البئر ذي الحجارة الصلبة والجدران العالية ، وما إن يصل حتى ينزل جارا خلفه حبلا طويلا موثوقا الى دائرة حديدية تدور باستمرار مخرجة دلاء الماء من قاع البئر تفرغها في حوض مربع كبير وتعيدها من حيث خرجت .

وتتم العملية بسيطة ممتعة : يخرج الماء من أعماق الأرض حلوا صافيا ويسيل في السواقي الملتوية فيروي الأرض العطشى فتنبع الخضر والثمار والغلال .

ومن حين لآخر تفك الفتاة الصغيرة الوديعة عنه الأحزمة . تطعمه بيدها ، وتأخذ في الأثناء تمسح بكفها اللطيفة على جبهته ، وعرفه الطويل ، وجنبيه . وتحرك أصابعها برفق على صدره ، وتهمس له مرافقته بصوتها الناعم قصة الرحلة التي تعتزم القيام بها مع صديقاتها في المدرسة . وتحدثه عن ثوب جديد ستخيطه لعروستها ، وتصف له الزهور الفواحة التي قطفتها ، والقمر المنير الذي يرعاها ليلا .

وهناك ـ في ركن بعيد من الحقل ـ يظهر طيف الفلاح الطيب منحنيا ، وقد شمر عن ذراعيه ورجليه ، رافعا مرة مسحاته عالية في الفضاء ، ضاربا بها مرة أخرى كومة صغيرة من التراب الجاف ، أو حاملا الطين بين كفيه ، فيزول الحاجز ويتدفق الماء منسابا مسرعا يجري على التراب الأسمر الجاف تعلوه رغوة بيضاء ، ويتسلل الى جذوع البرتقالات يرويها والى الخضر يحييها بعد ذبول .

وقرب المنزل الناصع البياض تمد المرأة يدها الوديعة نحو الأغصان المتدلية ، وقد أثقلتها الغلال الضخمة التي تكاد تلامس الأرض ، فتقطف البرتقال الناضج بعناية وتملأ به سلة كبيرة حذوها .

ويسمع من بعيد نباح الجرو وهو يجري جذلان خلف دجاجة هاربة فيشعر الحصان رغم العمل والتعب بالرضى والهدوء والاطمئنان .



هدير محركات غريبة بدأ يقترب رويدا رويدا من الحقل ... رفع أذنيه عاليا منصتا ، وتوقف عن الجذب حين رمت البنت الحبل من يدها وهربت . ترك الفلاح مسحاته غائصة في التراب ، كفت المرأة عن الجني . اتجه الجميع نحو المنزل الأبيض . تقابلوا هناك والتحموا جسدا واحدا منتظرين .. انتشرت حوله رائحة القلق والتوتر مؤذنة بحدوث أمر جديد غريب .

وضجت المحركات أكثر فأكثر فصهل صهيلا عاليا ومتقطعا ، أصوات رجال عديدة وغليظة بدأت تقترب ، ارتطمت اقدامهم بالأرض . وصاح صوت قوي النبرات :

ـ ازيلوا الحواجز بسرعة ، أقلعوا الأشجار . هدموا المنزل والبئر ولا تتركوا شيئا على هذه الأرض !! أريد أن أراها جرداء . تلك هي الأوامر ... فطبقوها بسرعة .

اقتحم الحقل عديد من الرجال يلبسون ثيابا زرقاء حاملين فؤوسا ومعاول وحبالا وقفافا .. تقدمت كاسحة الى وسط الحقل تحرث الأرض ، وتدوس بعجلاتها المعدنية العريضة الخضر اليانعة .. اقتفت إثرها كاسحة أخرى متجهة نحو الصنوبر

المحيط بالحقل .. أحاط رجل جذع برتقالة بحبل معدني غليظ ، عقده ثم ربطه إلى مؤخرة الكاسحة . وصعد رجال على سطح المنزل وفي أيديهم الفؤوس .

نادى الفلاح بصوت باك :

« انزلوا من على بيتي . بأي حق تعتدون علينا ! ! »

عندئذ علا صراخ المرأة يشق الفضاء مولولا حادا كأنه الموت ..

زال عنه الذهول .. ذعر من الألم .. فهم أن أمرا فظيعا يحدث أمام عينيه ، أحس ببركان يغلي في أذنيه .. دق التراب بقدميه .. ارتفع غبار كثيف حوله زاد في اضطرابه .. رفع صدره نحو الشمس الدامية .. حرك رأسه وعرفه بعنف ونزل على الأرض مقطعا الحبل واندفع بجنون نحوَ الغرباء .

وصل بسرعة أمام كاسحة فتوقف أمامها كالصخرة مانعا اياها من التقدم .. نهره السائق .. نزع خوذته ولوح بها نحوه .. صاح فيه بأعلى صوته :

ـ ابتعد عن طريقي .. هيا

لكنه كان رافعا صدره وقدميه الى السماء يئن ويصهل .

نزل السائق من مقعده وفي يده حديدة رقيقة يشير بها نحوه لكن حوافره ازدادت ارتفاعا نحو الشمس الدامية . وفي لمح البصر نزلت فانغرزت في وجه الرجل الغريب .. انغمست فيه .. أسقطته أرضا بينما صرخ السائق مذعورا متألما مغطيا وجهه بكفيه والدم يسيل منه .

« وجهي ! ! وجهي ! ! اغيثوني .. »

وعلا ضجيج العمال وصخبهم واتجهوا جميعا نحوه .

ـ اقبضوا على هذا الحصان الجامح ، إنه خطير .

اندفع يركض بكل ما أوتي من قوة في كل الاتجاهات ، مالئا عينيه من ألوان البرتقال والخضر الزاهية ، متذكرا أياما كان ينعم فيها بالرضى ، غير مصدق أن كل ما يراه يمكن أن يزول بسرعة ، شاما عطر الثمار والبقول والزهور والتراب كأنه في حلم .

بدأوا يضيقون عليه الخناق ، فشق جمعا من الرجال مندفعا نحو العائلة الحبيبة يريد لقاءها .

وحين لم يعد يفصله عن العائلة المضطربة سوى مسافة قصيرة اعترض طريقه كهل بدين ببدلة زرقاء أنيقة وربطة عنق ، أدار في الفضاء مطرقة حديدية ضخمة لتهديم المنازل ، سددها نحوه ، فحاول أن يتجنبها ما استطاع بانعطافه قليلا مبتعدا عنه ، لكنه أحس بارتطام الحديدة القوية على جبهته . ذعر من المفاجاة . لم يتألم كثيرا ، ارتخت مفاصله ، لفه دوار أفقده توازنه فتعثر بعض الخطوات ثم سقط مائلا على التراب قرب ارجل افراد العائلة وسائل فوار كثيف أحمر يتدفق بغزارة مغشيا عينيه ، وأصابه ذهول وانهيار لم يعهدهما من قبل ،

ومن خلال الغيوم المضطربة في رأسه رأى ثلاثة اشباح يعرفها تنحني نحوه ، وأحس بايد ثلاث تمسح برفق ومحبة على صدغيه وعنقه والجرح العميق الذي يسيل منه الدم .

وبينما اقتربت أشباح اخرى محيطة بهم جميعا ضاحكة شامتة ومنتصرة صاح الفلاح فيهم وفي نبراته نقمة وألم :

ـ لقد قتلتموه غدرا الويل لكم

وصاح الكهل الأنيق :

ـ اقبضوا على هؤلاء الثلاثة سنحقق معهم فيا بعد .

فاتجهت الأيدي القاسية نحو أفراد العائلة تجرهم جرا نحو الباب الخارجي وانتشرت حياته صورا سريعة أمام عينيه المغمضتين وسبح في الفضاء خليط من الروائح الربيعية العطرة فيها عبير الثمار الناضجة والأرض الخصبة والخضر الطرية والماء العذب وروائح طيبة أخرى لم يقدر على تمييزها .

وركض مسرعا تحيط به الغمائم والجياد العربية الأصيلة البيض متجهة جميعا نحو القرية الظالمة يتخطون كل ما يعترض سبيلهم ثم يصلون الى الساحة الواسعة متحدين بطء الزمن رافعين رؤوسهم نحو المشرق الذي تربعت فيه شمس ساطعة قوية . ولآخر مرة فتح عينيه بصعوبة على قرص كبير دامي اللون أخذ يتسع ويتسع حتى شمل لونه الأحمر كامل السماء .

وأخيرا فقد كل احساس وغاص كل شيء في قاع بلا نهاية .

الفنّ الشّعريّ عند ابن هانئ الأندلسي

دراسة : مصطفى المدايني

الفن « غناء وغبن » « وتزيين » وهو تعب يستولي على الفنان له باعث نفسي هو الغبن الناتج عن واقع ما ، وهدفه ابراز شيء في ثوب جميل . والفن الأدبي هو« طريقة خلق شيء ما حسب منهجية معينة » والخلق الشعري هو وسيلة تعبير عن تجربة ذاتية تنطلق من الفرد لتلتحم بالكل عبرها يهيج المؤلف قارئه ويثير فيه شعورا مشابها للمعاناة التي عاشها الكاتب .. فالفن .. إذن « إبداع » أساسه الفرد وهدفه التحام الكل .

ودراسة الفن الشعري تستدعي اهتماما خاصا بالشكل القالب .. غير أننا في هذه الدراسة المتواضعة سنركز الاهتمام على ربط الشكل بالمضمون خلافا لما قام به الكثيرون .

فما هي الخصائص الفنية في شعر إبن هانىء ؟

لقد درس القدماء هذه الخصائص وأعطوا أحكاما مختلفة فيها . فهنالك من مدح شعر ابن هانيء، وهنالك من حكم عليه ، وقد أورد زاهد علي اقوالهم في شرحه للديوان .

وقد اهتم بهذا الموضوع بعض المستشرقين فأعطوا أحكاما مختلفة فيه . وحديثا نجد « عارف ثامر » خصص له « كتيبا » عنوانه : ابن هانيء متنبي الغرب » منشورات دار الشرق الجديد ، وكذلك الدكتور منير ناجي في كتابه : ابن هانىء الأندلسي دراسة ونقدا .

وأحدث ما كتب حول ابن هانىء هو أطروحة الأستاذ محمد اليعلاوي : « ابن هانيء شاعر شيعي من الغرب » . وما من واحد من هؤلاء الا واهتم بالتقارب الموجود بين المتنبي وابن هانيء .

إن ما قام به القدماء وما قام به المحدثون وأخص بالذكر الأستاذ محمد اليعلاوي دعاني إلى البحث عن وسيلة أخرى لدراسة الفن الشعري عند هذا الشاعر ... خاصة وأن الدراسات ـ ما عدا القليل ـ لا تخلو من سطحية فهي لا تتعمق في تحليل الانتاج الشعري تعمقا يقرب إلى العلمية .. وقد دفعني لجوء هؤلاء إلى المقارنة بين ابن هانيء والمتنبي إلى إهمال هذه الطريقة التي تنمّ عن بحث عن المطايا السهلة أوَانَ الدرس والتمحيص .. فالدارس الحق هو الذي لا يهتم إلا بالأثر فيستنطقه في حد ذاته ثم يضعه في إطاره من السُّنَّةِ الشعرية عموما ...

فكيف يمكننا دراسة فنيات ابن هانيء الشعرية ؟

لعل الانطلاق من تحليل للخصائص اللغوية يعيننا في هذه الدراسة ، وستكون هي المستوى الأول .. فنرى خصائص المفردة نعني بذلك « القاموس الشعري » ثم ندرس في مستوى ثان التراكيب البلاغية والبيانية . ثم ندرس « النغمة الشعرية » فالصورة الشعرية لنصل الى « الرؤية الذاتية للشاعر».. ومنهـا نستقي بصورة أعم الكون الشعري لنبرز التلاحم بين الشكل

والمضمون أي بين هدف الكتابة والنمط المتبع عند التأليف ...

وفي البدء نؤكد ما قاله قوتة Gœthe « ما الأصالة ؟ إن العالم منذ أن نولد يؤثر فينا . فإذا بحثت عن الأصالة فلن تجد شيئا يذكر ... »

وقولة جيرودو Giraudoux

السرقة في الأدب دائمة أدب واحد لم يعرف السرقة .. وهذا الأدب الأول مجهول عندنا لذا فنحن إذا حاولنا في الأخير أن نضع ابن هانيء في منزلته في الشعر العربي فلن يكون ذلك مجرد مقارنة مع غيره بل محاولة لاتباع السنة الشعرية في تطورها عامة والشعر الشيعي خاصة .

ان الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير فالشعر إذن تركيب لغوي . مادته اللغة وأساس اللغة كوسيلة إبلاغية هي المفردة ، فما هي سمات المفردة عند ابن هانيء ..

ان المطالع للديوان يلاحظ استعمال ابن هانيء الأندلسي لنسيج معين من الكلمات ، فالكلمة عنده دالة ظاهريا وباطنيا . والبعد لفاصل بين المدلولين يبلغ حدا أقصى إذا كانت الكلمات تنتمي إلى المعجم المذهبي الشيعي . وتكون محدودة الطاقة إذا كانت من الكلمات الحوشية ...

وكثيرا ما استعمل ابن هانيء كلمات ذات رمز معهود :

أيـن المفـر ولا مفـر لهـارب
ولـك البسيطـان الثـرى والمـاء

إن مدى إتساع كلمة « الماء » هنا له بعد محدود . فالماء هو المادة السائلة وهو رمز « البحر » الذي تتسع مدلولاته إلى معنى الخصب والخلق والبعث من ناحية وإلى معاني الحرية والوحدة والحزن من نواح أخرى .. غير أننا إذا انطلقنا من السياق لاحظنا محدودية أتساع مدلولات الكلمة .. فالماء في هذا السياق يقابل الثرى .

غير أن ابن هانيء إن كان يستعمل كلمات دالة في حدود معينة فإنه في كثير من الأحيان يورد كلمات ذات طاقة تعبيرية عظيمة . وأساس هذه الطاقة مستمدّ في الواقع من سوء تفاهم يقع بين المتقبل من ناحية والباث من ناحية أخرى . وهذه الكلمات هي المصطلحات والمفاهيم الاسماعيلية التي وجدت في مجتمع سنّي .

لذلك خلقت هذه الكلمات والمفاهيم سخطا ونقمة وثورة عند اهل عصر الشاعر وحتى في عصرنا هذا يقول :

والله في علياك أصدق قائل
فكأن قول القائلين هُذَاء

ويقول عن الامام الاسماعيلي :

إمـام رأيـت الـدين مرتبطـا بـه
فطـاعتـه فـوز وعصيانـه خُسر

إن الدال يستمد قوته مما يثيره في سياق معين . وكلمات ابن هانيء التي استقاها من المذهب الاسماعيلي كانت ذات تأثير خاص . فهي تصدم وذلك لتباعد كبير بين الدال ، كلفظ لغوي ، والمدلول ـ كمعنى معهود .

إن تحديد مدى اتساع مدلول الكلمة هو ركيزة الأدب . فبقدر ما يتباعد الدال عن مدلوله تكون أدبية النص عظيمة . ولعل هذه النظرة لا توافق ما كان يرتئيه القدماء من أن الأدب وضوح وكشف وايضاح أي أن الابلاغ افصاح لا إبهام وإفهام لا إيحاء .

غير أننا نلاحظ أن ابن هانيء ينزع الى استعمال بعض الكلمات المستمدة من الشعر القديم . وهي كلمات حوشية كان الشاعر يرمي من ورائها إلى إبراز مقدرته على استيعاب القاموس الشعري العربي . وهو ما أدى بصاحب العمدة إلى القول : « وفرقة أصحاب جَلَبَةٍ وقعقعة بلا طَائِلٍ مَعْنًى إلا القليلَ النادر كأبي القاسم .. » وأضاف : « ليس تحت هذا كله إلا فساد وخلاف المراد »

إن الكلمة عند ابن هانيء تبلغ درجة من الكمال اذا كانت ذات طاقة تعبيرية ترتكز على الصدمة التي تحدثها . وبقدر ما تكون الكلمة حوشية تكون ذات مستوى واحد من المستوى المعجمي لا غير .

والعبقري هو من كانت لكلماته طاقة تعبيرية أوسع مما يعطيها هو لها لكن هل كانت تراكيب ابن هانيء كذلك ؟

إن دراسة التراكيب هي استجلاء للنغمة الشعرية في حد ذاتها . إذ الشعر نغم كما يؤكد ديدرو .

إن الايقاع هو صورة للروح (في اسمى مظاهرها) فلا تقل هذا

شاعر جاف جامد بربري لا يملك حاسة السماع بل قل هو لا يملك روحا (على الاطلاق)

إن النغم ـ الايقاع ـ هو الحد الفاصل بين نثرية النص وشعريته :

يستطيع الكثير من الشعراء كتابة أبيات عظيمة بمضامينها ولغتها ووزنها لكن ينقصها الايقاع كمحرك بديهي باطني « ب . كروسه » فما هي إذن خصائص التراكيب البلاغية عند ابن هانيء ؟

إن الطابع المميز لهذا التركيب هو المبالغة والغلو

والمبالغة وسيلة لتضخيم الأحداث وابرازها لتصدم . وهي ـ لذلك ـ ترتكز على الوصف . وابن هانيء ـ إذا وصف جيشا أو اسطورة ـ غالى في وصفه وأطنب . ويصل الغلو درجة قصوى عند الحديث عن الامام :

لا تسألنّ عن الزمان فإنه
في راحتيك يدور كيف يشاء

وهو الحاكم في الورى والكون :

أدار كما شاء الورى وتحيّزت
على السبعة الأفلاك أنمُلُه العشر

وهو ، أخيرا ، اله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فاحكم فأنت الواحد القهار

هذا الغلو والتعظيم والمبالغة ادت بالقدامى إلى القول :

لو لا ما في (شعره) من الغلو في المدح والافراط المفضي إلى الكفر لكان ديوانه من أحسن الدواوين (ابن خلكان)

إن المغالاة عند ابن هانيء عنصر قار . تستمد قرارتها من كونها تتماشى وما يصبو الشاعر إلى التعبير عنه . فهو بها يبلغ المراد نعني بذلك انه باستعمالها بقي وفيا لمعتقداته . وقد عبر الشاعر بذلك عن عودويّة ناضجة أي أنه يستمد الفنيات القديمة ويضفيها على مفاهيمه ليبلغ ما يبغيه من وصف وإطراء (مدح)

وقد استعمل الشاعر الطباق وهو يتعدى المفردتين إلى الأشطار فإلى الأبيات :

(عُبْدَانُ عبدانٍ وتُبَّعُ تُبّع)
(فالفاضل المفضول والوجه القفا
(أسفي على الاحرار قلَّ حِفاظهم)
(إن كان يغني الحرَّ أن يتأسفا

أو قوله :

(قد رآه (وهو ميت) فَبَكى
مَنْ رآه (وهو حَيٌّ فسجد)

وابن هانيء ينوع طباقه ، ويكثر منه بحثا عن موسيقى داخلية شفافة إخل الأبيات .. والطباق ـ إن شابه المبالغةَ من ناحية فتح المجال أمام الشاعر لتضخيم الأحداث ـ فهو يشبه المجاز إذ يخول للشاعر ايحاء مواطن أخرى للتعبير .

والمجاز ركيزة فنية أساسية « للأدبية » ذلك أن الكلام المعبر في حدود مضمونه الداخلي ـ إن استعمله المؤلف أدبيا خرج من ذلك المضمون ليبلغ مرادا أوسع نعني أن تصرف المؤلف في اخراجه للكلام مجازا يجعله يخرج من دائرة القاموس (الالفاظ التي ليست في سياق ما) إلى دائرة أوسع هي دائرة تضفي على الكلمة معاني جديدة . فالمجاز خروج من الحقيقة إلى التصور و « كلام ابن هانيء » مجاز في أغلبه فكاننا بمعتقداته كانت في صالح أدبه يقول واصفا كرم ممدوحه :

قد كنتُ قبل نَداك أزجي عارضا
فأشيم منه الزِّبرج المنجابا
آليت أصْدُر عن بحارك بعدما
قِسْتُ البحار بها فكن سرابا

ويقول في وصف شدة البطش :

ملك أناخ على الزمان بكلكل
فأذلّ صعبا في القياد جموحا

لقد تفطن القدامى إلى أهميّة المجاز . فدرسوه من خلال القرآن فكأن المجاز أساس أدبية النصوص . وهو ـ فعلا ـ خروج عن المعهود وبحث عن علاقات جديدة بين الكلمات . وبقدر ما تكبر الهوة بين الدالّ والمدلول تتسع المعاني وتتوالد .

وكثيرا ما يعمد ابن هانيء في غلوه وطباقه ومجازه إلى البحث عن

الجناس بنوعيه اللفظي والمعنوي لايجاد نغمة شعرية . ذلك أن الجناس اللفظي يعد خميرة موسيقية أوليّة .. ويطنب ابن هانيء في استعمال الجناس اللفظي حَدَّ الاسفاف :

هـذا المعـز بن النبـي المصطفى
سيـذب عن حرم النبـي المصطفى

ويقول عند مدحه لجعفر :

فيـا جعفـر العلياءِ يا جعفـر الندى
ويـا جعفـر الهيجـاء يا جعفـر النّصر
لنعم أخـا في كـل يوم كريهـة
تصـول به غـيرَ الهِدانِ ولا الغَمْرِ
كبـدر الدجى كالشمس كالفجر كالضحى
كصرف الـردى كالليث كالغيث كالبحر

وهذا الجناس بنوعيه يعطي موسيقية معينة هي في حقيقتها نوع من الرنة المتواترة غير أن هذا الجناس ـ إذا أطنب في استعماله ـ يؤدي الى حشو ممل :

ويستعمل ابن هانيء في بعض الحالات ما يسمى « بقلب العبارة » وهو بالفرنسية Le chiasme وهو نوع من التركيب الذي يضفي موسيقية على النغمة :

والشـام قد أوص وأوص أهلـه
إلا قليـلا والحجاز علـى شفـا

أ ب ـ ب أ

وهذا النوع طريف كصياغة فنية يستمد طرافتها من قلتها في الأدب العربي لقد درسنا الخاصيات البلاغية في شعر ابن هانيء ولم تكن دراستنا بمعزل عن هدف الشاعر . بل حاولنا أن يكون الارتباط جليا واضحا . لكن ما هي النغمة الشعرية التي يهدف الشاعر إلى خلقها ؟

لقد اهتم الأستاذ محمد اليعلاوي في فصله العاشر من أطروحته بدراسة « القافية والبحور » وحاول وضع الشاعر ابن هانيء في اطاره . واستنتج تقليدية الشاعر مبرزا خاصة إبتعاد ابن هانيء عن البحر الوافر (خص له قصيدة واحدة) الذي يأتي في المرتبة الثانية عند المتنبي ...

ولعل ما يميز النغمة الشعرية عند ابن هانيء هي صبغتها « العودية » فإذا ما حاولنا دراسة هذه النغمة داخل البيت أي أن نلج موسيقية الباطن فإننا سنلاحظ صفة العود على بدء ، وهي سمة دائرة الصورة .

يقول ابن هانيء :

وهـب الـدهـر نفيسـا فاستـرد
ربمـا جـاد لئيـم فحسـد

وقـال :

عجبـت لهذا الدهـر جاء بجعفـر
ويحيـى وليس الجود من شيم الدهر

إننا عند قراءة هذين البيتين نلاحظ تمازج المقاطع . فكل مقطع ينتهي بحرف شديد يتخلله حرف صفيري ، ما عدا المقطع الثاني والسادس فهما ينتهيان بحركتين طويلتين . والشدة قطع وهي تعاكس الحركات الطويلة التي تعد انفتاحا . وبداية البيت بحرف الواو (حرف حركة) ثم نجد حروف الصفير والهمس ، وينتهي المقطع بالحرف الشديد . ثم يقع الترجيع من جديد .

وهذا الترجيع يبرز من الناحية الدلالية ، فالدهر المعطي اصبح آخذا وهذا البيت يشبه في مجموعه الصوت وصداه .. وهي الصورة الترجيعية القائمة على النغمة العودية .. كما هو الشأن في الأبيات التالية :

ألا كـل آت قـريـب المـدى
وكـل حيـاة إلـى منتهـى
ومـا غـر نفسا سـوى نفسهـا
وعمـر الفتـى مِن أمـانـي الفتـى

ان الصبغة العودية التي لونت نغمته ليست في الحقيقة الا تعبيرا عن التوافق بين الشكل والمضمون . وهي من ناحية أخرى تخدم صورته الشعرية ورؤيته الفنية . وتساهم بخلق « الكون » الشعري للأديب .

فما هي سمات هذه الصورة عند ابن هانيء ؟

ان الصورة الشعرية هي نتيجة حتمية لكل الخصائص السابقة وهي كيفية تصور حدث ما وتصويره وابرازه للوجود كتابة . وهي

تنطلق من الوصف كمادة اولية . والصورة الشعرية ـ رغم ان الخيال ركيزتها ـ فهي ذات خميرة واقعية ولابن هانيء منزع الى تقليد الطبيعة واستخلاص صورة منها . فالماء والبحر والسحاب والمطر وهي عناصر الطبيعة يصور بها الشاعر معاني الجود والكرم :

جود كأن اليمّ فيه نُفَاثَةُ
وكأنما الدينا عليه غُثَاءُ

وأيضا :

ليس التعجب من بحارك إنَّنِي
قست البحار بها فَكُنَّ سرابا

وقال :

وَهْوَ الْغمام يَصُوبُ مِنْهُ حياتنا
لا كالغمام المستهلّ دَلُوحَا
أفق يَمور الأُفُقُ فيه عَجَاجَة
بحر يموج البحر فيه سَبُوحَا

وكثيرا ما يعمد ابن هانيء الى مزج هذه العناصر الطبيعية (رمز الخير والعطاء او القحط والجفاف) مع عناصر حضارية يقول ابن هانيء :

أمّا والجواري المنشآتِ التي سرت
لقد ظاهرتها عدة وعديد
قباب كما تزجى القباب على المها
ولكن من ضمت عليه أسود
من الطير الا انهن جوارح
فليس لها الا النفوسَ مَصِيدُ

ان تشبيه السفن والأساطيل بالجبال العالية مستمد من الطبيعة ، لكن التشبيه بالقباب المزركشة هي ظاهرة حضارية . وبسرعة يعود الشاعر الى الطبيعة ليستمد منها عناصر تضفي على صوره وضوحا وجلاء فان ضمت القباب الحقيقة « المها والظِّباء » فان هذه القباب ـ السفن تضم جنودا شجعانا (اسودا) وهم ينتظرون اللحظة الحاسمة لمباغتة العدو . فلا يجد مهربا .

والصورة عن ابن هانيء تتسم بالتتابع والتسلسل والشاعر يواصل ليستقصي التصوير . فالسفينة كالطير .. ورغم ان الطيور هي رمز السلام والصفاء والحرية فان الشاعر يضفي عليها صبغة منافية لذلك . فهي طيور جارحة وبالتالي فاتكة كاسرة ، هدفها قتل الكفرة .

ان مزج عناصر طبيعية بعناصر حضارية خاصية تسم شعر ابن هانيء ويكاد الشاعر لا يتوصل الى فصم هذا التمازج ، يقول في تصويره للنّار اليونانية :

من القادحات النّارَ تُضْرَمُ لِلطُّلى
فليس لها يوم اللقاء خمود
اذا زفرت غيظا ترامت بمارج
كما شُبّ من نار الجحيم وقود
فأنفاسهن الحاميات صواعق
وأفواههن الزافرات حديد
تعانق موج البحر حتى كأنه
سليط لها فيه الذبال عتيد

والسمة الثالثة التي نجدها في الصورة الشعرية عند ابن هانيء هي اعتماده على صور وردت في القرآن او الأساطير والأقاصيص القديمة .. ومن التعاليم المذهبية . وهي تصور الخلفية الثقافية التي يستقي منها الشاعر :

فَعَنَتْ لك الأبصار وانقادت لك الأقدار واستحيت لك الأنوار

وهي صور مأخوذة من قوله تعالى : « وَعَنَتِ الْوُجُوهُ للحي القيوم » وهذه الطريقة هي محاولة لايجاد أرضية ثقافية يعتمد عليها الشاعر فينطلق منها إنَّ الصورة الشعرية عند ابن هانيء بخصائصها الثلاث ذات صبغة عودوية ونقصد بذلك انه يستمد عناصر الصورة من الطبيعة في حد ذاتها او يمزجها بالعناصر الحضارية معتمدا أحيانا أرضية ثقافية سلفية . ولعل أحسن لوحة فنية وأبدعها كانت فيها الصورة على هذا النحو هي :

الا أيها الباكي على غير ايكه
كلانا فريد بالسماوة مغلوب
فؤادك خفاق ووكرك نازح
وروضك مطلول وبانك مهضوب

هلم على أنـي أقيك بأضلعي
فـأملك دمعي عنـك وهـو شآبيب

ولعل الصورة تبلغ درجة قصوى اذا كانت ذاتية :

عيـونَ المها لاسهمـكن ملبَث
ولا أنـا ممـا خامـر القلـب لابـث
لئـن كان عشـق النفس للنفس قاتلا
فإنّـي على حتفـي بكفّـى باحـث

وهو يتعاطف مغرقا في هيامه :

امسـحـوا عن ناظـري كحـل السُهادْ
وانفضوا عن مضجعـي شوك القتـاد
أو خـذو منـي ما أبقيتــم
لا أحـب الجسم مسـلوبَ الفؤاد

ان بساطة الصورة وعدم تعقدها يعطي للصورة صفاء وذكاء نادرين كما ان العبارات الصادقة يضفي عليها ابداعا وخلقا يقول مادحا جعفر ابن فلاح :

كانـت مسـاءلة الـركبـان تخبرنـا
عـن جعفـر بن فلاح طيب الخبر
ثم التقينـا فلا والله مـا سمعت
اذنـي باحسـن ممـا قد رأى بصري

ان الصورة الشعرية بخصائصها وسماتها ليست في حقيقة الأمر الا تعبيرا عن موقف ووجهة نظر معينة بل ان المفردة بخصائصها والتركيب اللغوي والصورة الشعرية ليست كلها الا ايضاحا لرؤية خاصة للحياة والكون والأدب الحق كما يقول المسعدي .. واحد مفرد ، وخلاء ، ووحشة لأنه الأقصى ولأنه المحنة بلون من الذاتية لا يعرف الا الذين عرضوا انفسهم لِكلّ بلية باطنية ، وكل معضلة دخيلة ودون التجربة في افئدتهم بجميع اصداء الكون والصيرورة والفساد فهم ينشئون الانسان والكون انشاء وذلك هو المخصوص بالفيلسوف خاصة كما يقول عبد الله بن المقفع .

وفي الحقيقة ان الفن العربي عامة والشعر خاصة ـ رغم صبغته التكسبية فهو تعبير عن رؤية للحياة يخرج بها الفرد من النطاق الذاتي الى المجموعة فما هي اذن رؤية ابن هانيء وكيف نظر إلى الانسان وكيف انشأ العلاقة بين الكائن والكون وبالتالي ما هي ـ بتعبير أصدق ـ فلسفته ؟

بناء فلسفةٍ ما ينطلق في البدء من تجربة يعيشها الفنان فتسم تلك التجربة حياته بلون معين هي ميزته وخاصياته . وابـن هانـيء الأندلسي عرف منذ صغره كبتا سياسيا قويا . أنْ تعيش في مجتمع تحس نحوه بالقطيعة منذ الطفولة يجعل منك خارجا عنه فتبحث عن ملاذ آخر . ملاذ به وفيه يكون بوار المجتمع . هو اذن عزلة فكرية مقيتة تجعل الفنان يحلم بعالم آخر . هو بحث عن قيم جديدة يعتبرها الفنان اصيلة في مجتمع متدهـور القيم والسمات . وابن هانيء نشأ في الأندلس .

والأندلس التي عاش فيها الشاعر هي اندلس عبد الرحمان الناصر منذ سنة 300 هـ ـ الى سنة 350 هـ اي ان عصر طفولة الشاعر كان بين احضان الدولة الأموية بالأندلس وكان الشاعر شيعي المذهب اسماعيلي الطريقة والسلوك . يؤكد ذلك في القصيدة السابعة والثلاثين من الديوان :

ولـو عَلِقَتْـهُ مـن أميـة أحبـلُ
لَجُـبَّ سَنَـام من بنـي الشعـر تامك
ولمـا التقـت أسيافهـا ورماحهـا
شراعـا وقـد سُدَّت علي المسالـك
اجزت عليهـا عابـرا وتركتهـا
كـأن المنـايا تحـت جنبـي ارائـك
ومـا نقمـوا الا قديـم تشيعـي
فنَجـى هِزَبْـرًا شَـدُّهُ المتـدارك

لقد شعر المؤلف بالكبت الكبير ومع ذلك عبر عن مذهبه ثم آثر الفرار والخروج وكأنه القائل : واني إلي قوم سواكم لا ميل

وفعلا يتوجه الشاعر إلى المغرب حيث يوجد القائد جوهر سَادُّ الثغور للامام العادل الذي يحمل العدل والفصل للناس جميعا .

ومن هذه الزاوية يبدو الشاعر ذا بعد واحد عنه لا يحيد هو إيمانه الدائم بالمذهب الاسماعيلي . وقد برز هذا الايمان تدريجيا خلال

شعره . والمتصفح للديوان يستنتج تعمق الشاعر في فهم المذهب شيئا فشيئا .

لكن كيف لون المذهب شعره وما هي خصائص كونه الشعري عموما ؟

إنَّ الدارس لشعر ابن هانىء الأندلسي يفاجأ بجرأة الشاعر وشدة مبالغته بل هنالك من يرميه بالكفر والالحاد اذا كان لا يعلم أن هذا الشاعر اسماعيلي المذهب . اتخذ من المذهب الشيعي طريقة في السلوك والتأليف . فالشاعر مؤمن بالرسالة الاسماعيلية . وهي تتمثل في الاعتراف المطلق بالامام بل بتفسير الوجودية . وهذا الايمان يؤدي حتما الى الشماتة بالأعداء والتنكيل بهم اذا هم واجهوا الامام وقاوموه . كما ان هذا المذهب يرى في القرآن نصين نصا ظاهريا يفهمه العامة ونصا باطنيا يفهمه الامام الذي يقوم بتفسيره للدعاة . فكيف عبر الشاعر عن هذه الرؤية وبالتالي عن كونه ؟

للاجابة سنحاول ان نتتبع تصوير الشاعر للامام الشيعي خاصة والشيعيين عامة ثم نبرز موقفه من الأعداء وطريقة تعبيره عن سخريته بهم وسنرى كيف حاول ابن هانىء ان يستقرئ القرآن ليؤكد احقية الفاطميين بالخلافة .

خص الشاعر الخليفة المعز لدين الله الامام الفاطمي بمعظم نظمه يقول :

وما جهل المنصور في المهد فضله
وقد لاحت الاعلام والسِّمةُ البَهْرُ

رأى أن سَيُسْمَى مالكَ الأرض كلِّها
فلما رآه قال ذا الصَّمد الوَتر

لقد برزت سمات الامامة على المعز لدين الله منذ الولادة وقد أقر ذلك المنصور بنفسه . وعلم الأب ان الفترة قد انقضت وان الحق سيعود إلى نصابه فهذا المولود سيملأ الأرض عَدْلاً اذ :

هو الوارث الدنيا ومن خلقت له
من الناس حتى يلتقي القُطرُ والقُطر

وبقدومه تعطرت الدنيا :

والريح تبعث انفاسا معطرة
مثل العبير بماء الورد تختلط

كأنما هي انفاس المعز سرت
لا شبهة للندى فيها ولا غلط

وتعطر الدنيا ليس الا انها تعلم انه رسول العدل أتى بعد انقضاء الفترة الفاصلة بين نبيين : الجد علي الوصي والابن الرسول . وهو يستمد قوته من حسب قويم ونسب شريف :

وما لِسماء ان تعد نجومها
إذا عد اباء له وجدود

فالامام له جذور عظيمة الحسب والنسب . ففاطمة الزهراء جدته وعلى الامام الوصي جدّه وقد حمل الرسالة وأورثها لمن بعده حتى بلغت الامام الكريم . ولا غرابة في ذلك فالقرآن قد ذكر وصفه .

شهدت بمفخرك السماوات العلى
وتنزل القرآن فيك مديحا

والملائكة لا تتردد في اعانته في الحروب والتلميح باسمه دوما :

أخشاك تُنبي الشمسَ مطلعَهَا كما
أنبى الملائكَ ذكرُك التسبيحا

ولا غرو في ذلك اذ :

واعلم ان الله مُنْجزُ وعده
فلا القول مأفوك ولا الوعد مكذوب

وانت مَعَدُّ وارث الأرض كلها
فقد حُمَّ مقدور وقَدْ خُطَّ مكتوب

ولله علم ليس يُحجب دونكم
ولكنه عن سائر الناس محجوب

فالامام هالة من القداسة ونور مشع على الكون :

وذكرك تقديس وأنت دلالة
وحبك تصديق وبغضك تكذيب

ألاَ إنَّما الدنيا رِضَاك لعاقل
والا فان العيش همّ وتعذيب

وان طَالَ عمر في نعيم وغبطة
فما هو الا من يمينك موهوب

فمدحك مفروض وحكمك مرتضًى
وهديك مرغوب وسخطك مرهوب

وهو أوحد اوحد :

ان الملوك اذا قيسوا اليك معا
فأنت في كثرة بحر وهم نقط

ان الصّورة للمعز هي تصوير للامام من طرف الشيعيين في تلك الفترة واننا لم نتعرض لوصف الممدوح من النواحي المعهودة كالكرم والقرى والحلم والاباء ذلك أنها اوصاف مبثوثة في كل الديوان لا تكاد تخلو منها قصيدة . غير ان ما يلاحظ هو ارتباط كل مدح لقائد أو معين للامام ـ مدحُ الامام في حد ذاته فالمعز واحد في الكل والكل في الواحد لكن كيف كانت صورة اعداء الامام عند الشاعر ؟

العدو وهو المخالف في الرأي اولا ثم الثائر ثانيا . وقد عرف المذهب الشيعيّ اعداء مختلفي الوجوه والاشكال . فهناك العدو الداخلي وهو كل من كان في افريقية عصرئذ وثار على الخليفة الفاطمي أمثال أبي يزيد صاحب الحمار وابن واسول بالمغرب . وهناك العدو الخارجي وهم ينقسمون الى ثلاثة : الأمويين بالأندلس والعباسيين بالمشرق العربي وبعض الفرق الاسلامية كالقرامطة والروم البيزنطيين . وقد كان لابن هانىء الشاعر الاسماعيلي موقف صارم تجاههم . فكيف عبر عن موقفه ذاك ؟

ان كان « عشق ابن هانيء »للامام الفاطمي الى حد العبادة فان كُرهه للاعداء بلغ حد النقمة وقد عبر عن ذلك سواء بالتهكم الفاضح او التهجم الشديد الذي لا يلين .

فحكم الدولتين الأموية بنوعيها والعباسية الغاصبة كان حكما جائرا هو تعبير عن طور الفترة طور الجهل والظلمة والكفر :

ولما تولت دولة النصب عنهم
تولى العمى والجهل واللؤم والغدر

ويخاطب العباسيين قائلا :

افي ابن أبي السِّبْطَيْنِ ام في طليقكم
تنزلت الآيات والسور الغر ؟
بني نتلة ما اورث الله نتلةً
وما نسلت ؟ هل يستوي العبد والحر
وَأَنّى بهذا وهي أعدت بِرِقّها
أَبَاكُمْ فاياكم ودعوى هي الكفر ؟

والشاعر لا يني عن التذكير والذكرى قد تنفع :

ردوا اليهم حقهم وتنكبوا
وتحملوا فقد استحم بورا

وهو لا يتورع عن مزج الكفرة مع بعض كما مزج الأمويين بالبيزنطيين :

تُشَبُّ لآل الجاثليق سعيرها
وما هي من آل الطريد بعيد

ان المقارنة عند ابن هانيء ، تفسر نظريته في الخلافة فهو يصور من جهة الامام العادل ومن جهة أخرى الأعداء من عباسيين وامويين وبزنطيين وهو في ذلك يفرق بينهم . واذ تشتد نقمته عليهم يخرجهم في صور كاريكاتورية مزرية .

وهو يسخر من انهزام جيش الروم مستعملا في ذلك تهكما ملحميا :

وبعثت بالاسطول يحمل عدة
فأثابنا بالعُدة الاسطول
أدّى الينا ما جمعت مُوَفَّرا
ثم انثنى في اليمّ وهو جفول

وهو ـ اذ يخاطب الروم ـ يرفع مستوى التصوير ليبلغ الثأر مصورا معنى الجهاد ويخاطب قائد المعز لدين الله الفاطمي أبا الفرج محمد بن عمر الشيباني :

أنت السبيل إلى مصر وطاعتِها
ونصرةِ الدين والاسلامِ في حلب

ولا غرو فالجاثليق اغتر بما نهب .

ولكن لَعَلَّ الجاثليق يَغُرّه
على حلب نَهْبٌ هنالك منهوب
وثغر بأطراف الشام مضيّع
وتفريق اهواء مراضٍ وتخريب

ان ابن هانيء الأندلسي يعبر عن موقف سياسي اجتماعي

حضاري . وهو رؤية خاصة يرتئيها في المجتمع . وقد كان تعبيره فنيا أي أدبيا . فما هي منزلته من تطور السنة الشعرية عند العرب ؟

من خلال ما سبق لاحظنا ان السمة العودوية هي السمة الأساسية التي نجدها في المعيار الفني عند ابن هانيء . فالكلمة والتركيب والصورة تصطبغ بهذه الصفة فعلى صعيد اللفظة كان عودويا وكذلك على الصعيد التصويري والتركيب اللغوي فهل كانت هذه العودوية موافقة لمضمونه ؟

لعل البعض لا يوافقوننا عند القول بأن ابن هانيء حاول ان يوفق بين المضمون والشكل فكانت مبالغاته موافقة تمام الموافقة لمطامحه وآرائه . فالعودوية التي وسمت شعره كانت موافقة لاتجاهه السياسي والعقائدي . ذلك ان ما يبغيه الشاعر هو بعث واحياء وخلق ليصل الى التواصل والانطلاق . لقد مضت « فترة » الكبوة والظلم والخوف وجاء طور الاحياء . والخلق والبعث بظهور الامام المنتظر العادل . وهو في حقيقة الأمر ليس الا المحيي ، الباعث ، الخالق . لكن ما هي منزلته الشعرية ؟

ان المتأمل في الحالة الثقافية في المغرب والمشرق العربي في تلك الفترة يلاحظ نزوع المثقفين الى مجد سالف ثري وهو في الحقيقة هروب من واقع بدأ في الاندثار ومحاولة لاستمداد القوة من الماضي . لذلك تلون الأدب عامة والشعر خاصة بصبغة الاحياء والبعث . وما من شاعر في تلك الفترة الا وصورها معتمدا سمة العودة الى الماضي .

ولعل ما أدى بالقدامى الى المقارنة بين المتنبي وابن هانيء هو هذه الصبغة العودوية اذ طرقا مضامين ذات عناصر متشابهة مستمدة في معظمها من القديم وهي مضامين استهوت اغلب شعراء تلك الفترة . ولعل هذا التقارب ناتج عن مقدرة الشاعرين على التاليف الذكي .

ورغم ان القصيدة الواحدة والعشرين التي يعدها الكثيرون كأساس لاستنتاج تأثر ابن هانيء بالمتنبي ـ اذ هو حسب هذه القصيدة يبدو وكأنه اطلع على شعر المتنبي ـ فاننا لا نرى الرأي بل على العكس تدل على سعة اطلاع هذا الشاعر . واننا لنعتبرها قبل كل شيء دستور التأليف عند ابن هانيء ولهذا السبب فلن نضع مقارنة بين المتنبي وابن هانيء ـ لكننا سنحاول ان نرى التراث ومنزلة هذا الشاعر فيه ؟ فالمتنبي وابن هانيء استقرآ التراث فأخذا منه وأضافا اليه . ولذلك فلن نقرّ ما ذهب اليه بعض النقاد المعاصرين مثل ناجي منير : « وبين الرجلين من التفاوت والبعد ما بين الوجه والبدر والعزيمة والدهر والكرم والبحر » أو قوله : « قد لاحظنا ان ابن هانيء لم يلحق بالمتنبي بل بقي بعيد اعنه بعد التقليد عن الطبع السليم ذلك لأن المتنبي يفوته في الثقافة وسمو النفس » وما يلاحظ هو ان هذا الرأي نجد عكسه عند عارف ثامر . وراينا واضحا في هذا المجال ان اختلاف الرؤى بين الشاعرين يؤدي حتما الى اختلاف في المنهج وطرق التعبير . واقوى دليل على ذلك موقفه من الشعر والشاعر (المتنبي)

كانت معانيه ليلا فامتعضت له حتى اذا مَا بهرن الشمس والقمرا

وهذا الرأي ليس الا نتيجة حتمية لرؤية خاصة في الشعر والأدب وعلى هذا الأساس فاننا سنحاول ان نضع ابن هانيء في بيئته الثقافية لنرى ما هي اضافاته ؟

لعله من المستحسن هنا ان نعود إلى خصوصية الشعر الاسماعيلي ومناهجه في التعبير .

لقد برزت منذ الفتنة الكبرى كتابة شعرية سماها البعض الشعر السياسي وسماها آخرون شعر « البكائين » او « الندابين » او « التّوابين » وهي في حقيقتها جذور الشعر الاسماعيلي عامة . ولعل ما امتاز به ابن هانيء هو هذا المنعرج الذي اخذه الشعر الاسماعيلي الشيعي معه . فما ان استقرت الدولة الفاطمية بافريقية وبدأتْ تتسع شرقا وغربا حتى ظهر شعر ذو صيغة جديدة هو شعر الحماسة والملاحم والفخر . شعر البطولة والقوة والبطش ، هو شعر الامام سيملأ الأرض عدلا ولم يكن ابن هانيء بالبكّاء ولا بالنّداب بل كان شاعر القدرة والمقدرة شاعر القوة والبأس ، شاعر الشيعة المنتقمين من اعدائهم أشد الانتقام .

ان ابن هانيء يعد مواصلة لسنة شعرية طريفة في الأدب العربي هي الشعر الشيعي غير انه تفرد داخل تطور شعر الشيعة بتغير لهجة

التعبير فمن البكاء صار الشعر شعر قوة وفخر . ومن ثم اتجه الشاعر إلى التراث يستمد منه النزعة الملحميّة التي وسمت شعره بنغمة فريدة في نطاق الشعر الشيعي عامة .

والشعر الحق هو ما اتسم بالاصالة من ناحية وبالنظرة الجديدة العميقة للأشياء من زاوية متماشية والظرف وما الاختلاف الا في الصيغ وطرق التعبير●

المصادر والمراجع

المصـادر
ـ ديوان ابن هانىء الأندلسي شرح زاهد علي .

المراجع الخاصة :
عارف ثامر : ابن هانىء الأندلسي متنبي الغرب
ـ الدكتور ناجي منير : ابن هانىء الأندلسي دراسة ونقد
ـ الدكتور محمد اليعلاوي : ابن هانىء الأندلسي شاعر شيعي

من الغرب
ـ الدكتور محمد اليعلاوي : مقال بمجلة كراسات تونس عدد 86 ص 7
ـ الجاحظ : البيان والتبيين

المراجع العامة :
أراء في الشعر لكتاب غربيّين Diderot - B. Groce - Giraudoux

التثقيف الشعبي يساهم في بلورة أسلوب التفكير ونمط الحياة

بساتين الخيام

شعر : محي الدين خريف

في بساتينك أيقظت العصافير
وجئناك معا
خالد صوتك فينا
مثلما يخلد في القلب الوطن
لاح لي قبلك أن الأرض لم تحبل
وما « شيراز » الا فترة الوحم
الذي طال بلا موعد أزهار
وكنا قد تجمعنا بأفياء النخيلات الصبايا
أترى تطلع كالشمس الخطايا

●

تصغرون وأكبر
أم أنتم تكبرون وأصغر
يرتفع الصوت آخر مرة
قليلا وتسرح في العرق خمر المسرة
أبى أن أحدثه وهو أقرب من مد بحر
تناوح قرب الشواطىء
يسالني وهو ينثرني
كرمال الشتاء الحزينة
أباركه فهو مني الحسين
يضم اليه سكينة

●

لم أكن أحمل من هم
سوى ما كان من بعدي عنها
يخفق القلب لذكراها ويهفو وهو منها
مثلما تخفق أوراق على صفحة نهر
مثلما تهتف أطيار على دوحة قصر

●

اعصري قمر الليل إني اشق الظلام لأخرج
هات يديك نجرب حب البحار وحب الرياح
أبدا تستقر عيون الصغار على كرمة كنت
أنت تمدين لي بالعصير الذي خامر الدن
من عهد بابل ،،
ليتني كنت مثل العنادل
أشرب العطش اللاهف المر
من بعد موت السواحل

مُحاوَلاتٌ لوَضْعِ بحُورٍ جَديدة مِن عهْدِ الخَليل إلى الآن

دراسة : نور الدين صمود

لم يخلق « الخليل بن أحمد » البحور الشعرية التي تُنسب إليه ، فقد عرفَ الشعراءُ القدماءُ الأوزانَ الشعرية بالسليقة والسماع وكتبوا عليها أشعارهم قبله وبعده دون أن يعرفوا شيئا عن علم « العروض » ، وإذن فقد كانَ دورُ الخليل يتمثل في إحصاء « مأثور النغم الشعري » الموروث عن الشعراء الذين سبقوه وعاصروه ، وقد خرج من هذا الاحصاء بخمس عشرة نغمة أو وزنا أو بحرا يدور عليها الشعر العربي ، فَبَوَّبَها ووضع لها طريقة توزن بها ، ليُعرف صحيحها من مختلها ، واشتق هذه الطريقة في الوزن من طريقة « الصرفيين » التي تعتمد على كلمة (فَعَلَ) فيقولون : (كَتَبَ) على وزن (فَعَلَ) و (كاتب) على وزن (فاعل) و (استغفر) على وزن (استفعل) وهكذا . فقال « الخليل » قياسا على ذلك ـ إن قول امرىء القيس :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل

ووجد أن عشرات القصائد غيرها على نفس هذا الوزن .

ولاحظ أيضا ان معلقة عمرو بن كلثوم :

أَلاَ هبي بِصَحْنِكِ فَأَصْبَحِينَا
وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

على وزن :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن
مفاعلتن مفاعلتن فعولن

ورأى أن قصائد أخرى غيرها على نفس هذا الوزن .

ولاحظ كذلك أن معلقة الحارث بن حلزة :

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ
رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثُّوَاءُ

على وزن :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

وعلى نفس هذا الوزن كثير من القصائد .

وقد أسفرت عملية الاحصاء هذه التي قام بها الخليل ، عن وجود خمسة عشر بحرا أو وزنا أو نغمة ، ووضع لكل منها اسما ، رأى أنه ينطبق عليه . فأسمى الوزن « الأول » (الطويل) والثاني (الوافر) والثالث (الخفيف) وهكذا إلى نهاية البحور التي استنتجها من استقرائه للشعر العربي الذي اطلع عليه !

واذا شئت أن تعرف جميع « البحور » التى توصل « الخليل » إلى اكتشافها فانظر فى أقرب كتب « العروض » إليك فهي كثيرة

وقد وضع الخليل لتلك البحور « خمس دوائر » وجعل كل مجموعة من البحور تدور في « دائرة » معينة من تلك الدوائر .

واكتشف من هذه « الدوائر » أن هناك إمكانيات أخرى لخلق كثير من البحور التي تتولد من « الدوائر الخمس » ولكنه لم يعتبرها بحورا لعدم وجود شعر لدى القدماء عليها ، ومن بين تلك البحور المتولدة عن « الدوائر » البحر « المتدارك » الذي يعزى ابتكاره إلى

« الأخفش » في حين أن أستاذه « الخليل » قد أشار إليه ، وإلى غيره من « البحور المهملة » في أشعار العرب وأطلق عليه أكثر من اسم منها « المحدث » ووزنه المستعمل هو :

(فعلن فعلن فعلن فعلْ * فعلن فعلن فعلن فعلْ)

أ ـ بحور مقلوبة مهملة

1) إذا قلبتَ تفعيلات البحر « الطويل » المشار إليه آنفا تحصّلتَ على وزن جديد اسموه « المستطيل » وصورته هكذا :

مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن

مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن

ووضع العروضيون لهذا الوزن البيت التالي :

لَقَدْ هَاجَ اشْتِيَاقِي غَرِيرُ الطَّرْفِ أَحْوَرْ

أُدِيرَ الصُّدْغُ منه على مِسْكٍ وَعَنْبَرْ

2) وإذا قلبت تفعيلات البحر « المديد » التام تحصلت على بحر جديد أطلقوا عليها اسم « الممتد » وهذه صورته :

فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتـن

فاعلن فا علاتن فاعلن فاعلاتن

ومثال :

• صَادَ قَلبي غَزَالٌ أَحْوَرٌ ذُو دَلَالْ

كُلما زِدْتُ حُبًّا زَادَ قلبي نُفُورَا

3) وإذا حركت الحرف الساكنَ الأخير من جميع تفعيلات حشو « الرمل » تحصلت على وزن جديد أطلقوا عليه اسم « المتوافر » ووزنه هكذا :

فاعلاتكَ فاعلاتكَ فاعلــنْ

فاعلاتكَ فاعلاتُكَ فاعلن

ومثالـه :

مَا وُقُوفُكَ بالرُّكَائِبِ فِي الطَّلَلْ سَ سؤالَكَ عَنْ حَبِيبِكَ قَدْ رَحَلْ

4) وإذا قلبت البحر « المضارع » التام تحصلت على الوزن الذي أسموه « المنسد »

مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتـن

مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتــن

ومثاله :

عَلَى العَقْلِ فَعَوِّلْ فِي كُلِّ شَانِ

وَدَانِ كُلَّ مَنْ شِئْتَ أَنْ تُدَانِـي

5) وإذا قلبت المضارع التام بطريقة أخرى تحصلت على ما أطلقوا عليه اسم (**المطرد**) ووزنه هكذا :

فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلـن

فاعلاتـن مفاعيلن مفاعيلـن

ومثاله :

مَا عَلَى مُسْتَهَامٍ رِيعَ بالصَّـدِ

فاشْتَكَى ثُمَّ أَبْكَانِي مِنَ الْوَجْدِ

6) وإذا قلبت (المجتث) التّام تحصلْتَ على بحر جديد أطلقوا عليه اسم (المتّئِد) ووزنه :

فاعلاتن فاعلاتن مستفعلـن

فاعلاتن فاعلاتن مستفعلــن

ومثالـه :

كُنْ لأَخلاقِ التّصابي مُسْتَمْرِيَا

ولأَحْوَالِ الشَّبَابِ مُسْتَحْلِيَا

7) ثم إن « المتدارك » أو « المحدث » هو مقلوب « المتقارب » الذي صار وزنه هكذا :

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلـن

ومثاله :

لَمْ يَدَعْ مَنْ مَضَى لِلَّذِي قَدْ غَبَرْ

فَضْلَ عِلْمٍ سِوَى أَخْذِهِمْ بِالأَثَرْ

ولم يستعمل هذا البحر كثيرا بهذه الصورة بل حذفت من جميع تفعيلاته « الألف » أي « الساكن الأول » فأصبح البحر هكذا بتحريك العين أو تسكينها :

فعلن فعلن فعلن فعلن

فعلن فعلن فعلـن فعلـن

وكتبتْ على هذا البحر كثير من القصائد أشهرها :

يا ليل الصب متى غــده

أقيام الساعـة موعــده

وقد عارضها عشرات الشعراء منذ عصر صاحبها الحصري الضرير القيرواني إلى الآن ... وهذا ما جعل هذا البحر شائعا منتشرا على ألسنة الشعراء فتكوّن له « رصيد نغمي » جعله يدرس في عداد بحور الشعر وظلت بقية البحور المقلوبة مهملة إذ لم يستعملها الشعراء ولم تشع وتخفّ على الأسماع .

ما بعد البحور الخليلية المقلوبة المهملة

لم يكتف الشعراء العرب ، منذ تبحرهم في دراسة الأوزان الشعرية ، بالبحور الستة عشر ، بل حاولوا (مزج التفعيلات) التي تتكون منها جميع البحور الشعرية ، مزجا جديدا ليتحصلوا على معادلات جديدة وقد أدركوا ذلك قبل أن يقول نزار قباني :

(إن موسيقى الشعر ليست مخطوطة كلاسيكية محفوظة في متحف لا يسمح لنا بلمسها أو بإخراجها إخراجا جديدا أو بتوزيع جديد .

(إن بحور الشعر الستة عشر ، بتعدد قراراتها وتفاوت نغماتها ، هي ثروة موسيقية ثمينة بين أيدينا وبإمكاننا أن نتخذها نقطة انطلاق لكتابة معادلات موسيقية جديدة في شعرنا » الشعر قنديل أخضر ص 93 »

وقد اشتهر بعض القدماء بوضع معادلات موسيقية وبإخراجها إخراجا جديدا وبتوزيع جديد حتى لقبوا بالعروضيين .

ب ـ (عبد الله بن هارون ـ ورزين العروضي)

8) من الشعراء الذين حاولوا تطوير الأوزان الشعرية :

عبد الله بن هارون العروضي وقد قال عنه أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني (ج 6 ص 150) : (وأخذ العروض عن الخليل بن أحمد فكان مقدّما فيه ... وهو مُقِلٌ جدا . وكان يقول أوزانا من العروض غريبة في شعره . ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه رزين العروضي فأتى ببدائع جمة . وجعل أكثر شعره من هذا الجنس

وجاء نفس الخبر في كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي (ج 4 ص 204) وقد توفي رزين سنة 247 هـ .)

واذن فقد كانت محاولات التجديد والتطوير لمعادلات العروضيين قديمة منذ أيام الخليل . لكن للأسف لم يبق لنا من تجاربهم إلا الشيء القليل الذي لا يكاد يذكر .

فمن شعر رزين العروضي الذي ذكره أبو الفرج في أغانيه قوله في الحسن بن سهل من قصيدة لا تخرج من العروض أولها :

بِئْسَ ما جزاكَ به الظاعنــو ... **ن إذْ مِنْ دِيَارِهِمْ أخْرَجُوكْ**

قربوا جِمَالَهُم لِلرَّحِيلِ ... **بُكْرَةً أحِبَّتُكَ السَّالبُــوكْ**

ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ وَأنْتَ اللّذَا ... **تُحْيِيَانِ سُنَّةَ غَازِي تَبُوكْ**

ووزن هذه الأبيات هكذا :

مفعولات مفتعلن فاعـلات ... **مفعولات مفتعلن فاعـلات**

ج ـ محاولات أبي العتاهيــة

9) وقبل رزين العروضي نجد أبا العتاهية (المولود سنة 130 والمتوفى سنة 210 هـ) الذي رويت عنه أخبار كثيرة تتحدث عن محاولاته في الخروج عن أوزان الخليل . لكن ما روي منها قليل لا يعبر عن تجربة واضحة . فقد قالوا : (جلس أبو العتاهية يوما عند قصار (محوّر الثياب ومبيضها) فسمع صوتَ المدق فنظم هذه الأبيات على وزن لا يوافق ما استنبطه الخليل :

لِلْمَنُــونِ دَائِرَا ... **تٌ يُدِرْنَ صَرْفَهَــا**

ثُمَّ تَنْتَقِينَنَا ... **وَاحِدًا فَوَاحِدًا (؟)**

ووزنها : فاعلن . مفعلن فاعلن مفاعلــن
ورووا له تجارب أخرى لا تخرج عن (العروض) رغم أنهم قالوا له عنها :
خالفت العروض فقال : سبقتُ العروض :

د ـ محاولات صفي الدين الحلـي

10) صفي الدين الحلي وهو عبد العزيز بن سرايا ولد في الحلة بالعراق سنة 1277 م وتوفي في بغداد سنة 1339 م وله ديوان « درر النحور » يشتمل على عدة تجارب تجديدية حاول فيها مزج التفعيلات بطريقة لم يعرفها الشعراء القدماء .

فمن هذه التجرب قصيدة طالعها :

إنْ قَصَّرَ لَفْظِي فَإِنَّ طُولَكَ قَدْ طَالْ
مَا مَنْ فَعَلَ البِرَّ والجَمِيلَ كَمَنْ قَالْ

ووزنها هكذا :

فعلن فعلن فاعلن مفاعلتن فعل (ومثلها في العجز)

وقد علق على هذه القصيدة في ديوان الحلي بأن الملك المؤيد صاحب حماه أسمعه وزنا طويلا على هذا الوزن والقافية . وذكر أن جماعة من الشعراء نظموا فيه وأخطأوا فنظم بين يديه ارتجالاً القصيدة التي ذكرن طالعها آنفا . وسمّى العروضيون هذا الوزن باسم (السلسلة)

11) وفي ديوان الحلي قصيدة أخرى قيل عنها هناك انها : « من الأوزان الأعجمية » طالعها :

بُشْرَايَ قَدْ تَنَبَّهَ لِي الطَّالِعُ السَّعِيدْ
قَدْ زَارَنِي الحَبِيبُ فَذَا اليَوْمَ يَوْمُ عِيدْ

ووزنها :

مستفعلن مفاعلتن فاعلن فعل (ومثلها في العجز)

12) وقد اقترح السلطان المؤيد صاحب حماه على الحلي وزنا من وضعه وأول كل مقطع وزنه هكذا :

فعولاتُ مستفعلن فعولن مفاعيلن

فكتب صفي الدين الحلي موشحا طالعه :

بِي ظَبْيُ حَمَى وَرْدُ خَدِّهِ صَارِمُ اللَّحْظِ
قَاسٍ غَرَّنِي مِنْهُ رِقَّةُ الخَدِّ واللَّفْظِ ....

وآخر كل مقطع وزنه هكذا

فعلون فعولن مفاعيلن ـ فعلن

مثل : بَدِيعُ المَعَانِي مِنَ الأَقْمَارِ ـ أَحْسَنُ ...

هـ ـ تجارب الوشاحين في تجديد الأوزان

من الوشاحين من التزم بحور الخليل في كتابة موشحاته

ومنهم من أدخل على بحر تقليدي « كلمة » في أول السطر أو آخره ـ أو حركة تخرج عن الوزن التقليدي المعروف .

ومنهم من مزج بين بحرين معروفين فجعل الصدر من بحر والعجز من بحر آخر وهو قليل

13) ومنهم من وضع معادلات جديدة لم يُسبقْ إليْهَا وهذه المعادلات كثيرة منها : **موشحة** « ابْن القَزَّاز » التي جعل أدوارها على هذا الوزن .

فاعلن ـ مستفعلن ـ مستفعلن ـ فاعلن
بِأَبِي ـ ظَبْيٌ حَمَى ـ تَكْنُفُهُ ـ أُسْدُ غِيلْ
مَذْهَبِي ـ رَشْفُ لَمَى ـ فَرَّقَهُ ـ سَلْسَبِيلْ
يَسْتَبِي ـ قَلْبِي بِمَا ـ يَعْطِفُهُ ـ إذْ يَمِيلْ

وجعل أدوار هذه الموشحة على وزن :

فاعلن ـ مستفعلن ـ فاعلن مستفعلن
ذُو اعْتِدَالْ ـ يُعْزَى إلَى ـ ذِي نَعْمَةٍ ثَابِتِ
ذِي ظِلاَلْ ـ تَحْتَ حِلَى ـ قَطْرِ النَّدَى بَائِتِ

و ـ عمر الخيام والدوبيت

14) كتب عمر الخيام « رباعياته » على بحر يسميه الفرس (دوبيت) لأنه يتركب من (بيتين) لكن العرب عدُّوا الصدر

بيتا والعجز بيتا لذلك سموها باسم (الرباعيات) ، ووزن (الدوبيت) هكذا :

فعلن متفاعلن فعولن فعلن (ومثله في العجز)

وأشهر أمثلته قولهم :

يَا غُصْنَ نَقًى مكللا بالذَّهَبِ
أَفْدِيكَ مِنَ الرَّدَى بِأُمّي وَأَبِي

إِنْ كُنتُ أَسَأْتُ في هواكمْ أَدَبِي
فالعِصْمَةُ لا تَكُونُ إِلاَّ لِنَبِي

وفي الشعر العربي كثير من الشعر الموزون على هذا الوزن ذكر الا بشيهي في « المستطرف في كل فن مستظرف » ج 2 ص 234 نماذج كثيرة منها . وكتب عمر بن الفارض في ديوانه شعرا كثيرا على هذا الوزن .

وقد عرب أحمد الصافي النجفي إحدى رباعيات الخيام على نفس وزن الدوبيت فقال :

(ذَا يَوْمُكَ رَاقَ والهَوَاءُ) اعْتَدَلاَ
(والرَّوضُ بوَاكِفِ الغُيُوثِ) اغْتَسَلاَ

(والبُلْبُلُ بالبَهَار نَادَى) جَذِلا
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ لأَكْؤُسِ الرَّاحِ جَلاَ

وهو وزن ثري له رصيد في آذان الشعراء ولكن قلَّ من كتب عليه في العصر الحاضر وقد أخذه العرب عن الفرس .

ز ـ البهاء زهير ومجزوء الدوبيت

15) عندما قرأت رباعية الخيام السابقة تبينت أننا لو حذفنا من آخر كل شطر منها كلمة على وزن (فعلن) لصارت على وزن : فعلن متفاعلن فعولن .

هكذا :

ذا يومك راق والهواءُ
والروضُ بواكف الغُيُوثِ

والبلبلُ بالبهار نـادى

وهي مساوية لقول البهاء زهير الذائع الصيت :

يَا مَنْ لَعِبَتْ بِهِ شَمُولُ مَا أَلْطَفَ هَذِهِ الشَّمَائِلْ ....

وهكذا جازلي أنْ أُسَمّيَ هذا الوزن « مجزوء الدوبيت » .

ح ـ محاولات تجديدية أخرى

16) من الأغاني العتيقة هذا القصيد « للشيخ قاسم بن عطاء المصري » المتوفىً يوم الجمعة 5 شوال 1204 هـ : وأوله :

ـ دور ـ

فِيكَ كُلَّمَا أَرَى حَسَـنْ
مُذْ رَأَيْتُ شَكْلَكَ الحَسَنْ

جَلَّ مَنْ بِهِ عَلَيْكَ مَـنْ
أَيُّهَا الَّذِي للصَّدِّ سَنْ

مَنْ لسَيْفِ أَدْعَجَيْكَ سَـنْ
مُذْ حَرَمْتُ مقلتِي الوَسَنْ

ووزن الدور هكذا :

فاعلن مفاعلن فعـل (ومثله في العجز)

ووزن (السلسلة) هكذا :

مَدْمَعِي دَمَا ـ ثَمَا ـ عِنْدَمَا ـ هَمَا ـ رَوْ بِاللّمَا ـ ظَمَا ـ مَنْ تَأَلَّمَا

فاعلن فَعَلْ ـ فَعَلْ ـ فاعلن فَعَلْ ـ فـعلن فَعَلْ ـ فَعَـلْ ـ فَعَـلْ ـ فاعلن فَعَلْ

17) وهناك أغنية أخرى طالعها

يا غُصَيْنَ الْبَانْ
حِرْتُ فِي أَمْرِي

إِنَّنِي وَلْهَانْ
آهِ لَوْ تَدْرِي

ووزنه : فاعلن فعلان
فاعلن فعلـن

18) وقد ابتكر « الكاظمي » وزنا طريفا خفيفا قلّده كثير من

الشعراء مثل البارودي وشوقي وغيرهم :

قال الكاظمي من قصيد طويل :

أَنْتَ لاَ جَرَمْ   بَدْرُنَا الأَتَـم

ووزنه : فاعلن فَعَلْ   فاعلن فَعَلْ

ولأحمد شوقي على هذا الوزن قصيد طويل طالعه :

مَالَ واحْتَجَبْ   وادَّعَى الْغَضَبْ ......

19) ولشوقي أيضا قصيدة طويلة في وصف الخمرة طالعها:

طال عليها القدم   فهي وجود عدم

ووزنها : (مستفعلن فاعلن   مستفعلن فاعلن)

ويمكن أن نسميه مشطور (البسيط) ويمكن أن نعده ضربا من ضروب (المجتث)

ط ـ وأخيرا محاولة نازك وعبده بدوي

20) قدم الدكتور عبده بدوي (على صفحات مجلة الدوحة بتاريخ سبتمبر 1976) دراسة قيمة بعنوان : « ميلاد بحر جديد في الشعر العربي » تحدث فيها عن الشعر وتطور أوزانه وأشار إلى أنه : (من الممكن عقليا ـ أو نظريا ـ أن يتألف من تفاعيل الشعر أكثر من ثلاثمائة من البحور)

والبحر الجديد الذي قدمه الدكتور عبده بدوي يتمثل في سبعة أبيات كتبتها نازك الملائكة في ابنته « دالية » على وزن :

مستفعلن فاعلن فاعلن   مستفعلن فاعلن فاعلن

منها : خَضْرَاءُ بَرَّاقَةٌ مُغْدِقَة

كَأَنَّهَا فَلْقَةُ الْفُسْتُقَـهْ

« دَالِيَةٌ » غَضَّةٌ عَذْبَةٌ

فِي هُدْبِهَا نَجْمَةٌ مُشْرِقَةْ

وأجابها الدكتور بدوي بثمانية أبيات منها :

أَشْعَلَتِ فِي خَاطِرِي حُبَّهَـا

يَا حُبَّهَا جَلَّ مَنْ رَقْرَقَهْ

كَانَتْ وَرَاءَ الْمُنَى وَرْدَةً

وفِي ضَمِيرِ الْمُنَى سَقْسَقَهْ

ويبدو أن هذا البَحْرِ قد لاقى معارضين تصدوا له على صفحات مجلة الدوحة ومؤيدين كتبوا عليه في أكثر من قطر عربي فقد كتب الدكتور بدوي في افتتاحية عدد يناير (جانفي) 1977 من مجلة الشعر (هزني حقا استجابة عدد كبير من الشعراء للكتابة في هذا البحر) وذكر منهم (علي الصياد) من مصر ومن خارج مصر عددا من الشعراء منهم « محمود حلمي البنداريّ » والشاعر التونسي « نورالدين صمود » كاتب هذه السطور .

وقد قالت نازك الملائكة في تقديمها لهذا البحر : (وزن غير مستعمل في الشعر العربي ، ولكنه لاح لي جميلا ، وفيه امكانيات ....)

ولكن للحقيقة والتاريخ أقول : إن أبا الحسن حازم القرطاجني المتوفي بتونس في 23 نوفمبر (تشرين الثاني) 1285 م ـ وفي 24 رمضان 684 هـ .

قال في كتابه « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » الذي حققه الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة (صفحة 241) :

(وقد وضع بعض الشعراء الأندلسيين على هذا البناء « أي تأخير التفعيلتين المزدوجتين على التفعيلة المفردة » وزنا إلا أنه جعل الجزأين المزدوجين خماسيين « مثل « فاعلن » فِرَارًا من الثقل الواقع بتشافع السباعيين « مثل مستفعلن .. » في النهاية ، فكان التشافع في ذلك الوضع أخف في الخماسي وذلك قوله :

أَقْصِرَ عَنْ لَوْمِيَ اللاَّئِـمُ

لَمَّا دَرَى أَنَّنِي هَائِمُ

تقدير شطره : (مستفعلن فاعلن فاعلن) .

واذن فقد عرف الأندلسيون هذا الوزن الذي قالت عنه نازك : (إنه غير مستعمل في الشعر العربي) ، وهي معذورة في ذلك لعدم وجود نماذج شعرية على هذا الوزن لذلك حسبته جديدا من ابتكارها .

وبعد تقديم هذه النماذج للمعادلات العروضية الجديدة أكتفي بالاشارة إلى محاولات أخرى اهملها الخليل لأنها لم تدخل في الدوائر التي أدار فيها جميع البحور ... وفي كتب الأدب نماذج قليلة ربما أتيح لي أو لغيري عرضها .

واعتذر أيضا عن عدم الاطالة في ذكر النماذج فقد اكتفيت في الغالب ببيت واحد للاستشهاد فقط وذلك لضيق المجال .

ملاحظات حول هذا البحر الجديد

يجني على هذا البحر القديم المتجدد بحران معروفان هما « السريع » و« المتقارب » يجذبنا اليهما كلما هممنا بالكتابة عليه :

فـ « السريع » يزيد عن هذا البحر الجديد (سببا خفيفا) أي متحركا وساكنا ولو حذفناهما لصار مساويا له مثل قول أحمد الصافي النجفي في هجاء عجوز :

وقائل لي قال : ما سِنُّهَا ؟

وقائل قال : ما سنها ؟

: مستفعلن مستفعلن فاعلن

: مستفعلن فاعلن فاعلن

ولو أضفنا (سببا خفيفا) إلى هذا البحر الجديد لأصبح « سريعا » مثل :

شِفَاهُهَا قَمَرٌ أَحْمَرٌ

شفاهها (من) قمر أحمر

فِي هُدْبِهَا نَجْمَةٌ مُشْرِقَهْ

في هدبها (كم) نجمة مشرقة

= مستفعلن فاعلن فاعلن

= مستفعلن مستفعلن فاعلن

= مستفعلن فاعلن فاعلن

= مستفعلن مستفعلن فاعلن

وهكذا يحس كل من يريد الكتابة على هذا « البحر الجديد » الذي ليس له رصيد موسيقى (من مأثور النغم الشعري) في أحاسيسنا ، بانجذاب تلقائي إلى « السريع » الذي تشبّعنا به وامتلكنا وامتلكْناه .

وأما بحر « المتقارب » فليس بينه وبين هذا البحر الجديد سوى حركة في أول كل بيت (خاصة اذا لم يقع في تفعيلته الأولى زحاف أو وقع الفاء من مستفعلن) مثل :

(و) دالية ، غضة عذبة

(و) في هدبها نجمة مشرقه

فعول فعولن فعولن فعل

فعولن فعولن فعولن فعل

وعلى هذا الأساس يصبح كل بيت من « المتقارب » على هذا الوزن الجديد إذا حذفنا من أوله متحركا مثل قول الشابي :

لا بد لليل أن ينجلي

لا بد للقيد ان ينكسر

مستفعلن فاعلن فاعلن

مستفعلن فاعلن فاعلن

فيجب أن تكثر نماذج هذا البحر الجديد ليستقل ويخف ويشيع على الألسن ولا يختلط بغيره من الألوان . بل يجب أيضا أن تدرس كل البحور « الممكنة » دراسةً دقيقة على نحو ما فعل (حازم القرطاجني) فهناك نِسَبٌ موسيقية مقبولة وأخرى ترفضها الأذن ولا تستسيغها الأذواق .

ثم إن جميع البحور الخليلية « لا تخلو من زحافات جائزة » فتفعيلات شطر البحر البسيط وهي : (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن) يجوز فيها حذف (السين) من (مستفعلن) الأولى و (الالف) من (فاعلن) الأولى ، والثانية لا غير . فلا تُحذف (الفاء) من (مستفعلن) الأولى ولا يحذف شيء من (مستفعلن) الثانية ، وقد استنتجنا ذلك من (استقراء) الشعر العربي الموروث ، فكيف لنا أن نعرف ما يجوز وما لا يجوز في البحور التي نستحدثها طالما لم يكن لها رصيد موسيقى ونغم مأثور ؟

ولذلك فأنا أرشح أن لا تحذف (السين) من (مستفعلن) في البحر الذي اقترحته نازك الملائكة بدليل أن البيت الذي ذكره « حازم القرطاجني في المنهاج » لم تحذفَ منه هذه (السين) . وهكذا ينقلب إلى (المتقارب) إذا أضفنا إلى أوله حرفا متحرك كالواو مثلا :

(و) أَقْصِرْ عَنْ لَوْمِي اللاَّئِمُ

(وَ) لَمَّا دَرَى أَنَّنِي هَائِمُ

أما الذي حذفتُ (فاؤه) فلا ينقلب إلى (المتقارب) رغم زيادة تلك الحركة في أوله إلا بِمَدِّ الحرف الموالي :

(و) خضراء براقة مغدقــة

(و) كأنها فلقةُ الفستقــه

« ليستقيم الوزن »

لقد قدمت في هذه الدراسة (عشرين) محاولة تجديدية مع أمثلتها للشعراء العرب منذ عهد الخليل إلى الآن حاولوا فيها مزج التفعيلات بطرق متعددة . ولكن هذه المحاولات قليلة بالنسبة لامكانيات المزج التي قال عنها الدكتور ابراهيم أنيس : « إن بحور الخليل لم تَستنفِد إلاّ عددًا قليلا جدا من الصور التي يمكن ـ من الناحية النظرية ـ تأليفها من التفاعيل الثمانية ... » (الدوحة مهال بدوي الآنف الذكر) .

وقد استنتج الدكتور بدوي في عدد « الشعر » (المذكور) : أن التفاعيل عددها ثمان ، وأن الشطر يتراوح بين ثلاث أو أربع . ولتقريب هذا تكون عندنا ثلاث خانات : الأولى يسكن فيها من 1 إلى 8 . والثانية يسكن فيها من 1 إلى 7 والثالثة يسكن فيها من 1 الى 6 والصورة الرياضية هنا تكون 8 × 7 × 6 = 336 صورة استنفد منها الخليل 15 » وزاد الأخفش واحدا . وذكرنا في هذه الدراســة 20 أخــرى . فانظــركم بقــي من الامكانيات !

وأجزم أن الامكانيات أكثر من ذلك بكثير فليس من الضروري التقيد بالتفعيلات الثماني المذكورة بل يمكن الاعتاد على كميات صوتية أخرى غير هذه نتولد منها آلاف البحور التي لا يستحيل إيجادها عقلا .

إن المحاولات العشرين التي ذكرتها لم يقع استغلالها من قِبَلِ الشعراء .... ولم يُقبلوا حتى على البحور الموسيقية الجذابة منها ....

بل لم يكتب الشعراء على كل البحور الخليلية الخمسة عشر . فمَنْ مِنَ الشعراء المحدثين كَتَبَ على « المديد » أو « المنسرح » أو « المضارع » مثلا ؟ .

بل إن الكثير من الشعراء لا يكتبون إلا على (ضروب) معينة من البحور المشهورة .... وعلى « قوافٍ » مكرورة محدودة ...

وماذلك إلا لأن الشعر ـ وهو « فن العربية الأل » حسب شعار مجلة « الشعر يَرْأس تحريرها الدكتور عبده بدوي ـ لا يُدَرَّس كالرسم والخط والموسيقى والرقص والنحت والتمثيل وغيرها من الفنون ... بل « يترك فيه الحبل على الغارب » فيدّعي الشعر كَلُّ من استقامت له جمل موزونة أو حتى غير موزونة ....

وإزاء عجْزه عن أي وزن يدَّعي الثورة على القديم « البالي » فينحدر الشعر إلى « قصيدة النثر » في حين يبحث الشعراء الأصليون عن بحور أخرى غير بحور« الخليل » يحلمون أن يبلغ عددها 336 بحرا. أو أكثر .

إن الشعر في حاجة إلى عناية أكثر ليصبح يدرس في مدارس « الفنون الجميلة » كبقية الفنون حتى يعرف المبتدئون أسراره وكنوزه ، ومدارسه . ونقده . وأن لا يعيشوا فيه على الهامش يسيرون فيه كيفما اتفق ويخبطون فيه خبط عشواء . فيعادون القديم لجهلهم به . وقديما قال الشاعر :

في مِثْلِ حَبْكِهِمْ لاَ يُحْسِنُ الدَّجَلُ

وإنما النَّاسُ أَعْدَاءٌ لِمَا جَهِلُوا

● نورالدين صمود

إلى ميلاء

شعر : نور الدين صمود
محمد بن سماعد

ميلاء يا وردة تعبق أشذاؤها أوشكت تنطق
في روضة عطرها ساحر قد ضاع منها شذى ينشق
والطل ما بين أوراقها كالنور في كوكب يخفق
إخالها قمرا مرسلا إشعاعه حولنا يدفق
نافورة ماؤها راقص مثل السنى في الفضا يسمق
كأنها - إذ رنت نحونا - وطرفها بحره مغرق -
دالية كرمها لؤلؤ موسمها أبدا يصدق
عنقودها درر علقت يكاد من حسنه يعشق
والعنب الضاحك المزدهي كأنه خمرة تهرق
في أكؤس لونها عسجد ونورها فوقها يشرق
يا طفلة غضة كالمنى كزهرة في الندى تغرق
يروقني منك بحر بدا في مقلة لونها فستق
وحسنك التونسي الذي أعبده ، جل من يخلق
وثوبك القزحي السنى ذيل الطواويس بل أرشق
تتبعه مقلتي دائما والقلب من شوقه يخفق
الله ! يا حسنها إذ بدت كوردة غضة تعبق

كتبت هذه القصيدة على وزن جديد تفعيلاته : (مستفعلن فاعلن فاعلن) في كل من الصدر والعجز وهو المشار اليه في البحث الموجود ضمن هذا العدد من المجلة .

قِصّة حبّ

حسونة المصباحي



ميتا ظَلّ في عرض
الطريق
وقد غاص في صدره
خنجر
دون أن يعرفه أحد
كم اضطرب نور مِصباح
الطريق
يا أماه !
كم اضطرب نور المصباح
الصغير
في الطريق !
كان الوقت فجرا وما من
أحد
استطاع أن ينظر في
عينيه
المفتوحتين في الهواء
القاسي
لأنه ظل طريحا في عرض
الطريق
وقد غاص في صدره
خنجر
ولم يعرفه أحد

لوركا

عندما رفع رأسه وهمّ بتنظيم حزمة السنابل رآها .

وفي تلك اللحظة بالذات أصيب ، شعر كأن أحدًا يضربه على رأسه بعنف ، وأحس بريقه ينشف ، وأصبح تنفسه صعبا ظل واقفا وحزمة السنابل في يده حتى تجاوزه الحصّادون همس العربي : ماذا أصابك ؟

احمر وجه سالم وتمتم : لا شيء .. لا شيء .. وعاد الى الأرض يلتقط السنابل من بين أيدي الرجال والنساء رآها . كانت تلبس

(ملية) سوداء ، وتضع على رأسها خمارا أحمر . بشرتها بيضاء كنساء المدن وفي عينيها يترقرق ألم عميق . ارتفع صوت امرأة بالغناء : « يا خيل سالم باش روحتولي » وتبعتها أصوات نساء أخريات تحكي المأساة القديمة . فاض قلبه ألما ولوعة ودلو يبكي . الشمس تصبّ وهجها بعنف وآلة الحصاد تئن وهناك يتلألأ السراب ويتموج ، أحس فجأة بفشل كبير همس دون أن يسمعه أحد : أنا تعبت !

جلس تحت شجرة كبيرة وراح يتأملها وهي منحنية مع الآخرين تلتقط السنابل ، ويتأمل تلك الأشكال القوية العذراء التي كانت ترسمها على الجسد ثنايا الثوب الأسود الرقيق . عند المساء اقترب منه العربي جذب نفسا طويلا من سيجارة (الارتي) وهمس : إنها من الجنوب ! ظل صامتا لا مباليا بوجوده . ابتسم العربي في خبث « أتظن أن هناك شيئا يخفى علي » وكعادته كلما اكتشف شيئا جديدًا لمعت عيناه الشهلوان بذلك البريق . تصنع سالم الغباوة عن ماذا تتحدث ؟ مدّ العربي رأسه نحو أذنيه والابتسامة الخبيثة لا تزال معلقة فوق شفتيه وهمس : عن تلك التي حرقت قلبك ، احمرّ وجه سالم وشعر بأذنيه تشتعلان خجلاً .

أعاد العربي رأسه إلى وضعه العادي وقال جادا هذه المرة : « حاذر يا ولد ! إذا حاولت الاقتراب منها فسيقتلونك تماما مثلما يقتلون الأرنب البرّي ، إنها من الجنوب » ابتعد بهدوء مادًا رأسه الى الأمام وأذناه واقفتان كانه يتسمّع شيئا . أغمض سالم عينيه تمدّد على الأرض . يريد أن يستريح . يريد أن يحلم ويستريح . زحف الليل الصَيفي مملوءا برائحة السنابل والأرض والرجال المتعبين . ظل في مكانه يتلذذ ببرودة التراب وعيناه الى السماء ويداه مضمومتان فوق صدره غنت امرأة : « لو كان نشكي للبحر ينشح يولي ثنايا » . أحس أنه يغوص عميقا في عالم مملوء بالالام والعذاب . راح الليل الصيفي يتقدم ببطء . جوادًا أصيلا أبيضَ . تمشى قليلا . شعر أن ذلك الشيء الذي سكن قلبه في الصباح وهو يجمع السنابل بدأ يكبر ويتسع . في سنوات القحط والجوع ترحل كل القرى الى الشمال تمتلىء المسارب الجبلية بالرجال والنساء والأطفال والدواب . وعندما ينضج القمح يسيرون كلهم وراء آلة الحصاد ملتقطين السنابل ولكي يتناسوا ألم الانحناء ووهج الشمس يغنون ، يغنون عن الحب والفراق والموت والغربة . وسالم مثلهم فلاح ، فلاح بلا أرض ، أبوه عجوز في السبعين . يمضي الوقت في شرب الشاي والحديث عن « حرب الألمان » كما يسميها . لقد كان جنديا في الجيش الفرنسي ، أخذوه الى هناك ، الى بلاد الثلج والقسوة . يقول لك مثلا : كانوا يتساقطون أمامي .. عشرات .. مئات . يعضون التراب ويموتون وندوسهم نحن كما ندوس أي شيء تافه .. الرؤوس والاذرع والسيقان مزروعة هكذا . والدم يسيل دفاقا كالواد عندما يفيض .. وانا . انا لم يمسني شيء حتى سقط « الألمان » ! ويضحك ، يضحك من أعماقه كانه كان يحكي نكتة ثم يصمت وتعود سحابة الحزن الى جبهته وعينيه ! وأم سالم امرأة فارعة الطول كالنخلة ولكن سكان القرية يشبهونها بالناقة لا يزال جسمها قويا يتحدى الشيخوخة والفقر ، إنها تحب سالم . فهو وحيدها . الولد الأول مات ،أتاه مرض لا يعرفه الناس فقتله في ليلة واحدة . أمام النساء والرجال تقول دائما : سالم سيد الرجال . وسالم لا يدري لماذا تعتبره أمه سيد الرجال . فهو لا يختلف عن فتيان القرية في شيء يحرث ويتجه الى المدينة أحيانا للبحث عن عمل وفي الصيف يسير وراء آلة الحصاد تماما مثلما يفعلون ! وسالم جميل يقول الرجال الطاعنون في السن : إنه يشبه جده . وجدّه هذا كان فارسا لا يضاهيه أحد في تلك الناحية . وكان زير نساء ، ويهمس من عاشروه : « لقد اختطف امرأة من « أولاد عيار » وشق بها الليل والرصاص يلعلع وراءه ! » لقد أحبت سالم فتيات كثيرات من القرية ومن القرى المجاورة ولكن أمه (سامحها الله كما يقول سالم دائما) تريد أن تزوجه ابنة خالته مهرية . ومهرية هذه تشبه فرسا عجوزا . وجه طويل ، عينان ضيقتان ، صدر شاحب . عندما تمشي يأخذ رأسها في الانتفاض وتمد رقبتها إلى الأمام مثل سلحفاة تقول ام سالم وهي واثقة تمام الوثوق من نفسها : « لن

يجد سالم في كل هذه النواحي فتاة أجمل وأحسن من مهرية . انها تحذق كل شيء حتى اعمال الرجال تستطيع أن تقوم بها . وينظر سالم إليها مليًا فيصيبه الصداع وتصفعه بشاعتها حتى تكاد تلقيه على الأرض . مرة صعد الدم إلى رأسه في حانوت « بولاعراس » ولو لا عمار ولد حليمة لقتل احدا .

لقد قال له التهامي ساخرا : فيم تفكر ؟ في قدها المليح ؟ عندما يذكرون اسمها أمامه فكأنما يوقفونه عاريا أمام الرجال أو يحشرون رأسه في الطين . مرة تجرأ وصرخ في وجه أمه : لا تذكري اسمها مرة أخرى أمامي ، وظلت أمه ليلة كاملة وهي تبكي وتلعن حظها وعمرها المشؤوم . يشتد غضبه أحيانا حتى يكاد رأسه ينفجر يفكر في ترك البيت نهائيا . ولكن صورة والده العجوز متربعا امام كاس الشاي وجسمه يئن من المرض والشيخوخة تسيل قلبه حنانا حتى يكاد يبكي . في اليوم الثاني التقت عيناه بعينيها الجميلتين الوحشيتين . اشتعل وجهها بحمرة الخجل أدارت رأسها وراحت تلف حزمة السنابل . كان أبوها واقفا بجانبها طويلا ضخما . شاربان غزيران وعينان مخيفتان . أحس بالنار تشتعل في صدره . لقد رأى كثيرا من الفتيات الجميلات قبلها ولكنه كان سرعان ما ينساهن « يموت العذاب في اللحظة التي يختفين فيها » شيء ما في عينيها قسم قلبه الى شطرين . انحنى يلتقط السنابل ومن بين أيدي الرجال والنساء تعانقت نظراتها طويلا اشتد الوهج وغنت امرأة :

ما تاخذيش الفريقــي

آحنا راو ليثلي ريقــي

فاكلِيَ الشَوّاطا مْنِيــدِي

وابْخَسْنِــــي فِي وسْط النّساء .

في المساء راها واقفة مع أبيها . كان جسدها يلوح متناسقا وجميلا من وراء الثوب الأسود . وكالعادة تمدد سالم تحت تلك الشجرة الضخمة وراح يدخن ويدخن والليل الصيفي غطاء حريريّ فوق جسده وعندما بدأ الفجر يبتسم من وراء الجبال شعر بسعادة كأنها الجنون تتدفق في شرايينه ومن حوله راحت الأرض تستيقظ بهدوء وهي تغني أغنيتها الأبدية .

الليل الصيفي يغطيها وثمة نسمة باردة تأتي محملة بروائح الجبال البعيدة . كانا يرتعشان وعندما وضعت يديها في يديه لم يعد يحس بالأرض تحت قدميه . فكأنه يطير عاليا في السماء . همست : اني خائفة . ولم يقل لها شيئا . من أجلها يهون كل شيء - سيشق بها الليل تماما كما فعل جده من قبل،جذبها اليه . غمَرته أنفاسها ورائحتها . رائحتها الممزوجة برائحة السنابل والأرض والشيح والصنوبر . وجهها يتلألأ . وشفتاها منفرجتان قليلا وصدرها يعلو ويهبط . ارتفع صوت امرأة بالغناء : يا خيل « سالم باش روّحتــولي » . ثم بدأ كل شيء يذوب من حوله .. الأرض .. الليل وصوت المرأة المملـوء بالفجيعــة واللّوعة .

نظر من حوله فلم يجدها ولم يجد أباها ربما لا يزالان نائمين . انحنى يلتقط السنابل . وبدأت الشمس تصعد شيئا فشيئا ووهجها يعنف ويشتد . تصاعدت رائحة عرق الفلاّحين ممزوجة برائحة التراب والسنابل والعذاب .

غنى رجل بصوت يقطر ألما :

أمّا بــلادك بــلاد فريقــا

بــلاد الــوخم والعلايــل

أمّا بــلادي بــلاد الصحــراء

بــلاد الــزنــا والفعـايـل

اقترب منه العربي وذلك البريق يلمع في عينيه مدّ رأسه وهمس : لقد رحلت ! وفي اللحظة ذاتهـا أحسّ العربـي أنـه قتله ! رأى شفتيه ترتعشان يابستين ورأى عينيه تنطفئان تماما كمصباح تنفخ عليه فجأة وعلى وجهه انتشرت صفرة مخيفة ! ثم رآه يلقي بحزمة السنابل ويتجه مترنحا الى الشجرة .

تقول الحكاية أن سالم اختفى بعد ذلك . استيقظ الناس فلم يجدوه بحثوا عنه في كل الأمـاكن صاحـوا : سالـم .. سالـم يـ ... ا .. يـ ..... ا .. لم . وعندما طلعت الشمس اتجهوا جنوبا وشرقا وشمالا وغربا فلم يعثروا حتى على آثار قدميه ؛ فكأنما اختطفته جنية .

حسونة المصباحي

الجملة العربية ودراسة التركيب

دراسة : المنصف عاشور

تتّسم الدّراسة النحوية العربية بما توليه من عناية الى النزعة التعليمية التطبيقية ولقد كان ذلك من السّمات الغالبة في النحو القديم حتّى إنّ النّحو صار عبارة عن مجموعة من القواعد الشكلية التي يتمّ بمقتضاها الكلام السّليم المتوخّى حسب سنن العرب في كلامها وفصاحتها ـ فالمرمى من وراء حفظ القواعد هو ادراك درجة الصّحة والمستحسن وترك الخطأ والمستهجن وهو ما اتّفق عليه جلّ النحاة واللغويون العرب (باب الاستقامة من الكلام والاحالة ـ ص 15 طبعة بيروت 1967 ـ سيبويه ـ **الكتاب** ـ)

ويمكن باقتضاب أن نعرض ما تقصّاه النّحاة وما يمكن أن يكون ظاهرة تنظيرية في باب **دراسة الجملة** وما يلوح مفيدا **لتطوير دراسة التركيب على ضوء النظر التركيبي الحديث** .

فلقد كان التركيب منذ منطلق الدراسة النحوية محور الاهتمام لدى النحاة العرب فمن **الكتاب** نستشف رؤية سيبويه وغيره من اللغويين للمبادىء النظرية العامة وما يسمى بالأصول المنهجية . وظاهرة القرار في تلك الرؤية هي ثبوت العملية الاسنادية في التفكير لدى الواصف اللغوي ويلوح ذلك أشدّ ما يلوح في تخطيط المصنّفات النحوية وأساسية **الكلام** في نصوصها . وقيمة الكلام في الكتب النحوية لا تصرف الملاحظة أنّ الكلمة هي من أهمّ مشاغل النّحويين القدامى : فهم نظروا للكلمة مفردة لا مركبة في مجموعة من العلاقات والتنقلات في نطاق التركيب الاسنادي .

وميدان النحو العربي هو فحص المؤلفات والعناصر التي يأتلف منها الكلام الذي قسّموه إلى ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف ومن الظواهر المتواترة في المصنفات أن النحاة انطلقوا من الجملة في النماذج التي يستشهدُون بها في درسهم النحوي التطبيقي ، ويتجلىّ ذلك في باب الأصوات والصرف والتركيب واستخلصوا وظيفة الكلمة النحوية وإن كان ذلك بصورة ضمنية في النصوص فعرّفوا النحو بالنظر إلى الصرف اذ النحو انّما لدراسة الكلمة في حركتها وتنقلها والصرف هو النظر في الأبنية والصيغ للكلمة ذات الأصول الثابتة التي لا ترجع إلى سياق تعليقي اسنادي وغلبت على النظر الوصفي ظاهرة الاعراب والتعليل ولم تكن الجملة محور درسهم أو البداية والمنطلق والمرجع في منهجهم الألسني .

وسنورد في عملنا تحديد النحاة لأقسام الكلام وحظّ الجملة من درسهم ونختم بما يمكن أن يكون أساسا لتطوير دراسة التركيب في النحو العربي .

نظام التركيب عند النحاة

1) ـ أقسام الكلم :

لقد توخّى النّحاة واللغويون تقسيما موحدا وكانت رؤيتهم تشمل الاسم والفعل والحرف فالكلم عندهم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى

وعبّروا عن تقسيمهم في ألفاظ مختلفة في الشكل مؤتلفة في المفهوم العام . فالاسم هو ما يجوز الاخبار عنه والفعل ما يكون خبرا وما لا يمكن الاخبار عنه والحرف هو ما لا يكون خبرا وما لا يخبر عنه ولا يتمّ به اسناد ولا معنى له الا بغيره .

ويتواتر هذا التقسيم الثلاثي للكلام لدى النحاة وخاصّة عند ابن جنّي والزّجاجي في صورة يمكن أن نعتبرها نهائية مُغْنية عما سبقها وعما ورد بعدها ويتراءى لنا من خلال معالجة النحاة أنّ الكلمة تكتسب قيمتها النحوية بالنظر الى ما تقوم به من دور أو وظيفة في السياق العام للتركيب وما يفيدها التقابل مع غيرها من العناصر التي تتعامل معها في حركتها ولذلك يحسن أن نكتشف النّصوص في تحديد الكلم والكلمة والقول لنلحظ رؤيتهم الى الجملة .

فالوحدة الكلامية المركزية هي **الكلمة** وهو لفظ يقابل لفظ الكلم أو **الكلام** ، والنحاة يرون أنّ الكلم عبارة عن جمع للفظ كلمة وأنّ **الكلام** انما هو للدلالة على الجملة . غير أن ابن هشام له نظر آخر اذ هو يعرّف الكلام بأنّه « القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عنه والجملة عبارة عن الفعل وفاعله... والمبتدأ وخبره ... وما كان بمنزلة أحدهما » فالكلام والجملة حسب ابن هشام ليسا مترادفين « فالجملة أعمّ منه اذ شرطه الافادة بخلافها » (مغني اللّبيب) ـ ص . 419 ـج ـ

ويستعمل لفظ « الكلمات » للدلالة على معنى الاسم والفعل والحرف فالكلمة ما دلت على معنى في ذاتها وشرط تلك الدلالة المعنوية أن تكون مفردة .

والى جانب الكلم والكلام والكلمات يورد النحاة لفظ القول فهو يدلّ عندهم على ما هو مفيد أو غير مفيد ولكن قطب نظر النحاة في هذا التقديم النظري التحديدي هو تعريفهم للكلام . والكلام هو ما لا يكون مفردا منعزلا .

2) ـ الكـلام والجملـة :

ان نصوص اللغويين في مقدماتها للمسائل والأبواب تعتبر تنظيرا يعوزه التنظيم والتبلور المطلق ولكنّ مسار التفكير في الجملة يبرز في مشاغلهم بوضوح وبيان . وابن جنّي يقدّم تحديدا للكلام يتّحد في جملته مع مفهوم الجملة المستغنية بذاتها . وتطرد التحديدات في العديد من النّصوص فنذكر بعضها :

● رؤيـة سيبـويـه :

ورد في **الكتاب** باب عنوانه : **باب المسند والمسند اليه** (1 ـ ص 14 ـ الباب الثاني ـ من طبعة بيروت 1387/ 1967 ـ) يعرّف به سيبويه عناصر الجملة الاسمية والفعلية ويؤكد نظره على المبتدأ والخبر الذي يصطلح عليه بلفظ « **المبني عليه** » فالتركيب الاسنادي عنده ثنائي لا يستغني فيه الجزء الأول عن الجزء الثاني ويتواتر لفظ الاستغناء في الأبواب التي يتعرّض فيها الى المبتدإ والخبر . ويجب أن نلاحظ أن مصطلح سيبويه موغل في التجريد والقدم ولا يمكن لنا أن ندقّق الزمن الذي صار فيه المبتدأ هو المسند اليه والخبر هو المسند حسب النحو المعاصر اذ سيبويه يطلق المسند اليه على الخبر أو المبني عليه ولفظ المسند على المبتدأ وذلك صريح في نصّه وقد يكون من الجدير بالاهتمام تحديد التحول في المصطلحات ولعلّ ذلك كان مع تبلور النحو بعد الترجمة والنقل من اللغات الأخرى في القرن الثالث الهجري أو بعد تبلور أصول النحو في القرن الرابع الهجري ..

فتحديد سيبويه مخالف للتحديد المتعارف في بقية المصنّفات النحوية :

سيبويه	المبتدأ المسند	الخبر (المبني عليه) المسند اليه
ما بعده غيره	المسند اليه	المسند

ونورد بعض النصوص من **الكتاب** التي تلوح فيها رؤية سيبويه للجملة متبلورة **ص 14 ـ باب المسند والمسند اليه** :

« وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدّا فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ... » .

ويذكر المؤلف في مواطن عدّة مصطلح المبني عليه بلفظ الخبر ففي الباب ص . 302 من طبعة بيروت نرى ذلك من العنوان :

ـ « **باب ما يرتفع فيه الخبر لأنّه مبني على مبتدأ أو ينتصب**

فيه الخبر لأنه حال لمعروف مبنيّ على مبتدأ » . ص 303 ص 304

ويتواتر لفظ « حَسُن السكوتُ » . « وكان كلاما مستقيما واستغنى » . ص 324 . وفي باب الابتداء يحدّد الجزأين : « فالمبتدأ كل اسم ابتُدِىء ليبنى عليه كلام والمبتدأ والمبني عليه رفع فالابتداء لا يكون الا بمبني عليه . فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومسند اليه واعلم أنّ المبتدأ لا بدّ له من أن يكون المبني عليه شيئا هو هو . » .

ويتراءى لنا أنّ نظرة سيبويه لعنصري الاسناد تختصّ بالتعليقية والآلية المباشرة بين طرفي العملية الاخبارية وتصوّر حالة معيّنة للمصطلحات المستعملة في شأن الجملة الاسمية والفعلية الى عصره .

● رؤيـة ابـن جنّي :

تعدّ نظرة ابن جنّي النحوية للجملة تأليفية تُبرز خصائص التركيب وربطه بالافادة ويتجلّى ذلك في كتاب الخصائص الذي يضمّ بحثا في الكلام والجملة . فالكلام عنده يحدد بالاستغناء والافادة الدلالية المكتفية بذاتها . ويركز ابن جنّي نظره على ما هو من مشمولات النحوي وهو الكلام الذي يؤدّي مفهوم الجملة وقد يتركّب الكلام من جملة فأكثر (الخصائص 26 ـ 27) ومن المسائل التي لم يميّزها النحاة التفريق بين مصطلح الجملة والتركيب ، فالتركيب يحتوي على جملة او اكثر بينما الجملة هي جزء من جملة أوسع وأشمل ولم يظهر تميز الا لدى البعض منهم مثل الجرجاني أو ابن هشام في نطاق الجملة المتلازمة .

ويسعى ابن جنّي في نقاشه القول والكلام والجملة إلى أن يحدّد الفروق المتواجدة بينها ـ وخلاصته أن « الكلام انّما هو جنس للجمل التوام .... دون الآحاد » ويضيف مؤكدا على مجموعة التركيب » ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو ولا تحزن ولا تتملك قلب السامع وانّما ذلك فيما طال من الكلام وأمتع سامعيه بعذوبة مستمعه ورقّة حواشيه (الخصائص 1 ـ 27) فالجمل في نظره عبارة عن « قواعد الحديث » (الخصائص ـ 1 ـ 29) ويربط بين الجملة والكلام في خلاصته قائلا . انّ الكلام انّما هو « عبارة عن الألفاظ القائمة بروؤسها المستغنية عن غيرها وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها وثبت أن القول ... أوسع من الكلام تصرفا وأنّه قد يقع على الجزء الواحد وعلى الجملة وعلى ما هو اعتقاد ورأي لا لفظ وجرس » (الخصائص ـ 1 ـ ص . 32 ـ 1955) .

● رؤية عبد القاهر الجرجاني

انّ وصف الجملة العربية باستعمال مصطلح الاسناد برزت معالمه مع علماء البلاغة فهم الذين نظروا الى الجملة في بنية مزدوجة العناصر من المسند والمسند اليه . وكان الجرجاني في **دلائل الاعجاز** قدّم رؤية تأليفية شاملة تلوح فيها مقدماته المبدئية في اعتبار التركيب ضربا من الصوغ والنسج والتعليق بين المعاني النّحوية (الوظائف النّحوية والعلاقات الاسنادية) وجاء حديث الجرجاني في الجملة عرضا عند تأليفه في نظرية النظم التي انفرد بها مجال بحثه ويحدّده في شتّى المواضع باعتباره « توخّى معاني النحو فيا بين الكلم » ويتسنّى الاخبار حسب التركيب والترتيب والاعراب وتوزيع العناصر في سياق الكلام . ويقوم ذلك التنظيم التركيبي على مقاييس يذكرها الجرجاني وهي :

- تخيرّ العناصر
- انتقاء المؤلفات بروية
- ترتيب العناصر
- تقدير التراكيب
- تركيب جمل اخرى
- دراسة تنسيق التراكيب

ويقول : « انّ سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وان سبيل المعنى الذي يعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار »

(دلائل الاعجاز ـ ص . 180 مطبعة المنار ـ القاهرة ط . محمد عبدة ـ 1331 هـ .)

وليس للفظ من قيمة في التركيب الا اذا تضمّن ما لم يتضمّنه

غيره من الألفاظ والقيمة بُعْدٌ تعليقي تقابلي وعبارة الجرجاني في ذلك هي : « لا يكون لاحدى العبارتين مزيّة على الأخرى حتّى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها » (الدلائل ـ ص . 182) ولا يمكن في رؤية الجرجاني الفصل بين معاني النحو ومعاني الكلم لادراك التركيب المتميّز الرّائق . والنمط العالي من الكلام الذي يركّز عليه درسه هو النظم وهو « توخّي معاني النحو واحكامه وفروقه ووجوهه والعمل بقوانينه واصوله فيما بين معاني الكلم » (الدلائل ص . 318) ويؤكد منظوره التعليقي ما يعمد اليه من مبدا النسق أو الاتّساق الذي بمقتضاه « تكون الأشياء مختلفة في أنفسها » وتكوّن مع غيرها غرضا ومقصودا (الدلائل ـ ص . 333)

ومجال هذه المعاني ونسقها هو الخبر ، وهي « لا تتصور الا فيما بين شيئين والأصل والأول هو الخبر » ولفظ الجرجاني في الخبر يوحي بمحورية العملية الاسنادية في نظره ، وصار ذلك عنده من المسلمات واليقين اذ هو « لا يكون خبر حتّى يكون مخبر به ومخبر عنه لأنّه ينقسم الى اثبات ونفي والاثبات يقتضي مثبتا ومثبتا له والنفي يقتضي منفيا ومنفيا عنه » (الدلائل ـ ص . 367) وهو يؤكد بذلك على المسند والمسند اليه في بنية الجملة . ويكون الخبر عبارة عن :

(أ) ـ مخبر بـه

(ب) ـ مخبر عنه

(ج) ـ مخبر

وكلّ ما زاد على المسند والمسند اليه يكون زيادة في المعنى والحرص كلّ الحرص هو المقصود أي الدلالة التي ترجع الى جوهرها وهو اعلام السامع في صورة متسقة ـ فالمعاني المتوخّاة لا تستفاد الا من الجمل التي هي عبارة عن « التعليق فيما بين معانيها لا فيما بين أنفسها » (ص 329 . ـ الدلائل) .

ويعالج الجرجاني في قسم من أسرار البلاغة الجملة المتوازية . ومحور بحثه هو في التمييز بين لفظ الجملة والجزء من الجملة (ومقابلها بالفرنسية) Proposition Phrase

ويتناولها في باب الشرطية ويشبه اجزاء الجملة المتلازمة باصول الكلمة المفردة فاشد الظواهر التركيبية طرافة في رؤية الجرجاني هو تأكيده على مفهوم التعليق والنسبة والصوغ والنسج والمضامة مع ابراز الوظائف النحوية حسب قانون التعليق والاسنادية في حيز شامل هو الخبر ـ وقيمة المؤلفات في اللغة حسب رأيه تجري مجرى العلامات والسمات « ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه وخلافه » .

(الاسرار ـ ص . 422 ـ 1948)

وفي نفس المنحى التعليقي يعرف الرماني في الحدود (ص . 40) الجملة بالاسناد ويستعمل عبارة المناطقة : الموضوع والمحمول اللذين يتولد عنهما المعنى . ومـا يفيدنا من حدوده هو مفهوم العقد والتركيب والمفرد والمركب بالاضافة الى الاسنادية .

ونشير الى ما ورد لدى بعض النحاة الآخرين وخاصة ابن يعيش وابن هشام والعكبري .

ففي شرح المفصّل يحدد ابن يعيش الكلام والجملة ويعتبر بالخصوص مفهوم الاسناد . فالكلام ما تركب من جزأين يعقد احدهما بالآخر : من اسمين أو فعل واسم وهو ما يطلق عليه عبارة الجملة التي تقوم برأسها وتستغني ويقابل بين التركيب الافرادي والتركيب الاسنادي الذي يرجع اليه العقد والتركيب (شرح المفصل ـ ص . 18) والافهام . ويعتبر ان المفرد هو الأصل وان الجملة فرع له وقد يوحي ذلك بمعنى البساطة والتركب في التركيب .

وفي المغني يقدم ابن هشام درسا نظريا منهجيا لتحديد الجملة واقسامها واحكامها ويعرّف الكلام قائلا : » هـو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه والجملة عبارة عن الفعل وفاعله .... ومـا كان بمنزلة احدهما » (المغني ـ 2 ـ 419) . ويجعل من شروط الكلام الافادة بخلاف الجملة ، ويتجلى لنا بذلك انه يرمي الى جزء من التركيب عند اطلاقه لفظ الجملة فهي عنده لفظ يطلق على قسم من مجموع الجملة (في مفهوم العملية الاسنادية التامة) ويظهر ذلك في الجملة الظرفية والشرطية والموصولة . وبعد ذلك يقسم الجملة الى اسمية وفعلية ويعتبر الصدر (المسند والمسند اليه) والى كبرى وصغرى ثم ذات وجهين وذات وجه وفي آخر احكام الجملة يعدد ذات المحل من

الاعراب والتي ليس لها محل من الاعراب مع ملاحظة ما اهمله غيره في الجملة المستثناة والجملة المسند اليها
(**المغني** ـ 2 ـ 477 الطبعة الثانية 1969) .

وذكر العكبري في كتابه **مسائل خلافية في النحو** (بيروت 1971) لأنه يتعرض الى قضايا الاعراب بالخصوص ثم يورد بعض الملاحظات الجزئية المفيدة في الكلام والجملة . اذ يعتبرها تركب أجزاؤها بعضها الى بعض كما تتركب اجزاء الكلمة المفردة بعضها الى بعض (ص 41) فائتلاف المفرد والجملة واتساق المؤلفات فيها ضرب من بناء الكلام المفيد . ويتواتر النظر في الجملة باعتبارها تتركب من جزأين : مسند ومسند اليه . ويقدم امثلة مستقلة بافادتها ومنها :

ج 1 = / زيد أخوك /

و ج 2 = / انطلق بكر /

انّ رؤية التركيب والجملة عند النحاة العرب في القديم لا تقوم بذاتها اذا لم نلاحظ ان محورها هو الكلمة في تنقلها وهذا التنقل يجر الى الاعرابية والمحل من الاعراب وتعتبر نظرية الاعراب قطب النظر النحوي عند العرب وهو من الأصول النظرية التي قام عليها النحو وبه تتحدد المعاني النحوية في الكلام .

3) ـ دراسة « الوظائف » (المعاني النحوية) في التركيب =الاعراب = مفهوم الاعراب والتعليل :

نظر النحاة واللغويون الى الاعراب باعتباره من أخص الخصائص في اللغة العربية واقاموا عليه المبادىء النظرية في استقرائهم واستنباطهم للقوانين التركيبية فكانت الكلمات تتعلق بدورها في سياق لفظي وجعلت المعاني ادلة على ما يصطلح عليه اليوم بعبارة الوظيفة غير ان الاعراب لا يعدو أن يكون من بين العديد من وسائل تحديد الوظيفة اذ انّ التقديم والتأخير وعناصر العملية الاسنادية من تراكيب فعلية واسمية وحرفية (الحروف وأدوات العطف) يمكن ان تقوم مقام الاعراب بالحركات .

فالنحو العربي أساسه الحركات الاعرابية الثلاث التي تنتج عن العامل وصار النحو تَموينًا اعرابيا وفِقْهًا بالعوامل . ومصطلح الأعراب متواتر في المؤلفات النحوية ويقدّم ابن جنيّ في **الخصائص** (1 ـ 35 ـ 36) نصًّا يبرز منزلة الاعراب وتحديده . والذي يجلب انتباه اللغوي هو تعريفه العام اذ يقول « هو الابانة عن المعاني بالالفاظ » (خ ـ 1 ـ 35) .

ويطّرد تحديد الأعراب عند السيرافي والزجاجي والجرجاني فيقول هذا الأخير ان الاعراب هو عبارة عن « اختلاف اخر الكلمة باختلاف العوامل لفظا وتقديرا . » وقسّم النحاة اصناف العناصر الكلامية الى صنفين : المعرب والمبني ، ولكن نصّ ابن جنّي في الاعراب يعدُّ تأليفا جامعا لما ورد في هذه المسألة ـ فهو عنده ظاهرة تبرز وظيفة الكلمات في سياق التركيب والجملة . ولا يمكن للجملة ان تنسجم عناصرها وتتّضح معانيها الا بالحركات التي تقابل بين العناصر للتفريق والخلاف بين مؤلفات الجملة . وأورد ابن جني الوسائل الأخرى التي تنضاف في مجال تحديد الوظيفة النحوية وتثري النظر الى الجملة والاعراب وهذه الطرق هي :

أ) ـ المرتبة : توخي التقديم والتاخير يحدّد وظيفة العناصر وذلك يقوم مقام بيان الاعراب .

ب) ـ دلالة المعنى وادراكه بالعقل .

ج) ـ وضوح الغرض **بالعدد** في التركيب .

د) ـ الاشارة ودلالة الحال على الابلاغ .

هـ) ـ المطابقة والاتباع بين الكلمات .

ويمكن أن نرى أنّ الاعراب بالمعنى أو الحركات هو من قبيل التحديد الظاهر لوظيفة العناصر في الجملة وما ذكره ابن جنّي في الوسائل المضافة الى الاعراب بالحركات هو مجموعة من الأدلة الوظيفية الضمنية في التعليق الاسنادي ويعود ذلك كلّه الى سياق الخبر والابلاغ وهو ما استخلصه ابن جنّي عند قوله « اما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجرّ والجزم انّما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره وانّما قالوا لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ اللفظ أو باشتمال المعنى على اللفظ » (**الخصائص 1 ـ 109 ـ 110**) .

وهذه الوجهة من النظر تحدّ من طغيان الاعراب وحصره في الحركات والسكنات في العربية ولذلك فان اعتبار **التوزيع للكلم**

والتطابق بينها والسياق الاسنادي في تحديد الوظيفة التركيبية من أهم المظاهر طرافة في النحو العربي .

ولكن النحاة لم يكتفوا بالاعراب بالمعنى لبيان نظام اللغة القار وأدّى بهم البحث عن أسباب الظواهر غير المطردة التي لا ترجع الى اتّساق موحّد الى صلب نظرية التعليل والعلة والعمل ولخصت مشاغل النحاة في الاعراب وتعليله في عبارة سؤال الزجاجي « لم دخل في الكلام ؟ » (**الايضاح ـ 69**) .

ونتيجة حرصهم على ارجاع المعطيات اللغوية الى نظام عام اعتنوا بالظاهرة الاعرابية الثانية وهي العوامل وربطوا بين المبدأين في درسهم وقدموا تعريفات يلوح فيها الربط المتين بين اعراب بالمعاني والاعراب بالعوامل ويلخص الاستراباذي رأيهم بقوله في العامل انه « هو ما يحصل بوساطته في ذلك الاسم المعنى المقتضى للاعراب » (**شرح الكافية ـ 1 ـ 25**) ومحاولتهم الربط بين العامل والمعنى جعلتهم يهملون الدلالة وطبيعة التركيب فانصرفوا الى الجدل والاغراق في التأويل والارتياض الفلسفي وأخضعوا العمل الى شروط متشعبة النتائج ويوحي التداخل في تحديد الوظائف النحوية لديهم بأنّهم لم يكونوا دائما على يقين من وضوح الوظيفة أو وجودها لقسم من أقسام الكلام . (دروس **الأستاذ عبد القادر المهيري**) ـ

وتبلورُ درس النحاة في الاعراب والتعليل الى حدّ الشكلانية المطلقة وصنّفوا العلل فكتبهم تنطق بحرصهم على التنظيم والتوحيد بين النماذج والظواهر الكلامية . وأهم التصنيفات في ذلك وردت عند ابن السرّاج والزجاجي وابن جنّي ونكتفي بايراد تعدادهم وتصنيفهم :

فابن السرّاج (ت . (316 هـ / 929 م) يقسّم العلل إلى قسمين في **كتاب الاعتلالات** :

أ) ـ ما تمكّننا من معرفة لغة العَرب مثل ان كلّ فاعل فهو مرفوع وكل مفعول فهو منصوب .

ب) ـ علّة العلّة وهي عبارة عن السؤال التالي :

لماذا رفع الفاعل أو نصب المفعول ؟

ويورد الزّجاجي في الايضاح تصنيفه الثلاثي الذي يعتبر شاملا للعوامل في النحو العربي فيقسمها الى ثلاثة أقسام :

أ) ـ **التعليمية** : وغايتها تعليم اللغة العربية

ب) ـ **القياسية** : تحليلية وأساسها القياس

ج) ـ **الجدلية النظرية** : وهي تقوم على التأويل والفرض والتبرير العقلي المحض .

ويتّصف تصنيف الزّجاجي بالشمول والتأليفية مع اعتباره تصنيفا قائما على التدرّج في التعليل وما وقع بعده هو تفرق وتشتّت .

ويطّرد نفس التفكير في العوامل والتعليل في نصوص ابن جنّي فيقسم العلل الى **موجبة ومجوّزة** ويميّز بين ما لا بدّ منه من العلل وما هو « تجشّم » ولكنّ تصنيفه ليس متكاملا وانّما نزعته الى المقارنة بين علل المتكلمين والنحويين والفقهاء أمالته الى قضايا أخرى ولكنّه لا يهمل في تعليلاته المعطيات الكلامية الملموسة وهو ما يبقى من طرافة النظر في تحديد الوظيفة النحوية وان برزت أحيانا المغالاة في اعتبار المحلّ من الاعراب في بعض المصنّفات النحوية الأخرى .

ويمكن في خلاصة النظر الى الجملة والتركيب أن نرى أن رؤية النحويين العرب أقيمت أساسا على محورية الاعراب والعلّة والعمل وأنّ العلل الايجابية هي التي يمكن اعتبارها من قبيل القوانين التركيبية بمقتضاها يمكن توليد المعاني النحوية وخلق النماذج المتعدّدة من أنماط الأمثلة اللغوية الممكنة التي يسوغها الواقع اللغوي وسياق الابلاغ .

ولئن بدا لنا أن نظر النحاة في التركيب كان دائما في حدود نظرية الاعراب والعامل فانّ هذا لا ينفي الرؤية التأليفية للتركيب وخاصة في رؤية ابن جنّي ، والجرجاني ، وتجاوز المسند والمسند اليه الى دراسة الفضلة . وأصبح هيكل الاسنادية موضع ائتلاف بين النحويين وان كان شغلهم المركزي في مؤلفاتهم ليس دائما الجملة . ولم يدرس التركيب من حيث درجات البساطة والتركّب . وانّما رجع النحاة دائما الى الاعراب والعوامل . ولعل منطلق التطوير ومحاولات تنظيم الدراسة الالسنية للتركيب في اللغة العربية ـ باعتماد الألسنية الحديثة ـ هو دائما اعتبار ظاهرة الاعراب ومدى جدواها ونجاعتها في التفكير اللغوي.

المنصف عاشور

طالعوا "الحياة الثقافية" واعملوا على نشرها



1

وها أنت تهبط إفريقية
وعما قريب سيحملك البحر
تنشد أندلسا
تضمك أنحاء قرطبة الزاهرة
تضمك إشبيلية
تحقق ما كنت تحلم
تحذف من دفتر الذاكرة
وطنا مزقته سيوف الفرنجة
داسته خيل الصعاليك
حتى الحرائق ....
عمت مساجده الفاخرة
« انما يعمر المسجد اليوم
بالنفط والزيت ... والأرصدة »
والخطب الجيدة .



لك الآن هذي الشواطىء
هذي الموانىء
كل السفائـــن

تنتظر اللحظة الفاصلة
لتحمل وحدتك القاحلة
فلتكن هذه الرحلة الحالمة :
يوم تفتح اشبيلية
باب أسوارها
تبتدي مرحلة
انها الآن في « الكرخ »
ما أشبهت قمرا
لا ولا أشبهت نجمة آفلة
فهي تقتات من حزنها المستديم
ونشرب آلامها الطائلة
انها الصرخة القاتلة
حين تدعوك دعوة امرأة ثاكلة
ـ فلتعد ...
آه ....
لكنما الخطوة القادمة
سوف تلقيك في الجنة الواعدة

3

ـ انني الآن احلم
لكنه حلم مفزع
لكنه حلم مفزع
لكنه هوة تصعد النار من قاعها
وانا ساقط
ساقط ...
باتجاه القرار
انني صرختي المرعبة
ها هي الآن تغدرني رحلتي المتعبه !
ـ ولتكن .
انها رؤية عابرة
ولك الآن هذي الشواطئ
والبحـر
والسفن الماخـرة

والزقاق الذي ينصل العدوتين
لحظة خاطفة .
واذا انت في باب اشبيلية
ـ والوطن ؟
ـ انه خبر في الجرائد
أو صورة لافتة ،
خطبة ، أو تعاليق تطلق من فوهة زائفة
أو صكوك توقع ،
رغم الدما النازفة
فاغترب انها اللحظة الحاسمة .
ها هو الآن يسهر

4

فالنوم يهجره مثلي
تهجر الطير أعشاشها الدائرة
وقرطبة الآن تغرق في نومها هادئة
وها هي اشبيلية ..
ترقص الفالس
في حانة صاخبة
وها هي كل الشواطىء تعصف
والبحر يعصف
والفلك تبرح
قادمة ذاهبة .
وهي لا تنصح الآن ... لكنه
يستمـع النصح ..
وهو يسطر مرثاته
والوطن ..
قمر دامع ..
طالع ...
من ازار
يعني من الوقت ... ولكنه
يعيش على أمـل
بشروق النهـار

العَطش والرّحيل في الشِعر الشعبي

بحث : محي الدين خريّف

إذا عرفنا أن الفن ينشأ عن حاجات معينة في الوعي الاجتماعي تبين لنا من خلال ذلك أهمية الحدث الذي يستمد منه الشاعر شعره ومدى اتصاله بحياته الخاصة . وهو كلما كان قريبا من تجربة الانسان ومعاناته كان أقرب إلى الصدق الذاتي والرؤيا الواضحة الشفافة .

ومشكلة الماء هي الجري وراء معركة المصير ، فحياة الانسان على مدى الأحقاب هي صراع من أجل الماء ولهاث وراء بلّ الصدى والأوام برشفة من ماء نهر برود أو غدير صاف أو بئر ضنينة وسط صحراء لاهفة ظامئة . وعندما نبحث في التراث الانساني نجد أن أكثره مرتبط بالماء كما أن الحضارات العريقة كان المهد الأول لها ضفاف الأنهار وبالماء فسرّ الفلاسفة أصل الحياة وانطلقت المفاهيم الأولى لمعنى الوجود وقد كان العطش ظاهرة فسر به الناس ظواهر أخرى . فالانسان قد يعطش ألف مرة ولكن لغير الماء . فهناك عطاش الحرية وعطاش الحب وعطاش المال وهذه المرأة التي بقيت أبيات أغنيتها القديمة تعيش بيننا والتي تقول :

عَطشَانْ ما نقْدر نقولُ شرْبيهْ

ومحْلىَ سيلاَمْ الخَالْ وقت الغيبهْ

لا نستطيع أن نفسر عطشها بالظمإ إلى الماء وهو لا شك متوفر لديها . ولكن المتبادر من عطشها هو هذا الحب الدفين الذي لا تستطيع أن تظهره للناس والذي كَنّت عنه بالعطش الذي لا يبرده سوى رؤيتها لحبيبها : وهي حين تواصل قولها :

عَطشانْ ما نشرب على المصرّدْ

ونْشرْبْ عَلى ماجنْ جديدْ امْبردْ

فهي تكاد تقول لنا بأنها برغم تعطشها للحب لا ترتضي بالحبيب الذي دون مكانتها . ومن هنا نرى أن التعبير مختلف تماما من حيث العمق وتعدد الأبعاد لتفسير معنى العطش ومثل ذلك قول الشاعر القديم :

حَرَى لي كما صَايِمْ الصَيفْ — عَطْشَانْ والمَا حْذَايَا

فهو لم يكن عطشان للماء ولا صائماً قد حرم عليه الارتواء به ولكن عطشه لحبيبة يراها ولا يستطيع الوصول إليها لأسباب لم يذكرها قد تكون القوة وقد تكون العرف وقد تكون أشياء أخرى ، والماء ورد في كثير من أغانينا الشعبية فلا تكاد أغنية من أغاني الأعراس تخلو من كلمة العطش أو الماء ونحن لا نستغرب ذلك إذا كان التعبير بالعطش وسيلة إلى الوصول لكل ما يحس به الشاعر من فراغ داخلي لكثير من الأشياء الأخرى التي هي ليست الماء في أغلب الأحيان . فقد وجدوا فيه الوعاء الأمثل لكثير من عواطفهم وميولهم . فهذا الراعي البدائي الذي يرتفع صوته في أجواء الصحراء بالغناء لا يجد من يخاطب في الفضاء الخالي المديد غير الريح يحملها أشجانه وعواطفه وصباباته إلى من يحب . وكيف أصبح بدون نصير لا صديق له ولا أعضاد يلتجىء إليهم . وقد زاد في وحشة حياته رعية للغنم في تلك الأماكن الموحشة وما يلقاه من عطش ليس هو للماء وحده ولكنه لأشياء أخرى مختلطة بالماء .

يا الرّيحْ القِبلِي وأصْغَى لِي بجَاهْ النّبي رُدّ سْوالِي

قُولُوهَا مَالِي وَالِي وَمَا لِقيتْ رْجَالْ

سْرُوحْ ٱلْغَنَمْ زادْ عليَّ رَاوْ العَطَشْ قتَّالْ

والشاعر في علاقاته مع النّاس يشكل من الماء ومن العطش وما يتبعهما من أشياء وسائل للتعبير عن إحساساته الداخلية فالأحباب الذين لا يجد فيهم فائدة هم كالحبل البالي الذي ينقطع في ساعة العطش متى أراد الانسان أن يستخرج به الماء من البئر ، مثله مثل الصديق الذي يخل بالصداقة إبان الحاجة اليه . ووقت العسر والشدة .

الاحْبَابْ حبيتْهُمْ حبّ زَايدْ

مْشُوا بغِيرْ رايدْ

والاحْبَابْ ما لقيتْ فيهمْ افَايدْ

نَجْبدْ عَلى بيرْ والحَبْلْ بَايدْ

فَصْلْ الشَّدَايِدْ

فَصْل الظّمَا تَقطّعُوا عَطْشُونِي

ونجد من جهة أخرى أحمد ملاك .. يرمز بالماء إلى شيء لا يصرح به قد يكون المال الذي جمده الأغنياء وكدسوه . بينما يوجد فقراء لا يصلون إلى ما يسدون به رمقهم وقد يكون أشياء أخرى من قسمة الحياة غير العادلة بين الناس وتقسيمهم إلى طبقات

يا ماذا من مآ منقع في مجراه وماذا من عطشان يتقلب في ظمآه

فكم من ماء تجمد في مجراه ولم ينطلق في السواقي لتنتفع به الأرض والناس . بينما نجد هناك من هو عطشان يتحرق الى شربة منه ولا يصل إليه

يا مَاذَا من مَآ منقعْ فوقْ سْطُوحْ

وَمَاذَا مِنْ عَطشانْ يِتلاَجَى بالرّوحْ

وَمَاذَا مِنْ مظلومْ فِي الباطل مذْبوحْ

وَمَاذَا مِن فَعالْ ستر الله غْطَاهْ

يَا مَاذا مِنْ مَآ حَامل بيه الوادْ

وَمَاذا مِنْ عطشانْ يلاوِي فِي الانكادْ

وَمَاذَا مِنْ صنديدْ كي الصيد الفدفادْ

وقت الجاه الموت ما لَقى جهدْ مْعاهْ

فهو يجد في الماء هنا مجالا فسيحا للتعبير عن واقعه المعاش مع الناس وفي تعامله اليومي معهم . ومن هذه الناحية يرسم تناقضات المجتمع وصراعاته ولعل التوصيل الذي يتم من خلال العملية الذاتية العسيرة يحتاج دائما إلى أقرب شيء يوصله بالكون الخارجي ولا يكون هذا الشيء في أغلب الاحيان غير الماء . فهو الذي يوضح من غموض المعميات ويقلل من اللهاث الانساني برمزه كما يقلل منه هذا العطش نفسه بما فيه من طعم الحياة والاستمرار والخصب .

وكما يقع القحط في الأرض يقع القحط في العواطف وكما تنزل المحبة على القلوب ينزل المطر على الأرض . وفي وصف سخي نجد العرف عبد الله بن زكري يقدم لنا صورة عن نزول الغيث بعد انتظار طويل وانحباس ضاق به الناس فيقول :

شبوبْ السّما جَاحْدرْ في الارضْ غْدرْ

خلّى الوِديانْ تَهْدرْ في الاعشَابْ خلّفْ طْرِيقَهْ

يَا محسنَهْ الغصنْ الاخْضرْ جمْيعْ الشّجرْ بَلْ ريقَهْ

وفي صورة أخرى يصف فيها السيل بالرعد نراه يقول :

سِيلَهْ عَلى الارض يَدْوِي وَ بعد العَطشْ عَادْ رَاوِي

كَل وَاد فَايضْ مقْوَى كِمَا البحرْ عَاملْ رْغَاوِي

أما الرحيل فهو مرتبط بالماء . وعندما يغني الإنسان الرحيل فهو يغني الأحباب والأرض والعراقة الراسخة الجذور في قلبه . ونحن لا نبعد كثيرا اذا ما قلنا إن أكثر أغاني الأدب الشعبي تبكي الفراق وتنعي الغربة فهي في امتدادها حوافز الآهات المكتومة في القلوب الملتاعة وقد أفرد الأدب الشعبي غرضا من أغراضه لهذا النوع من الشعر سماه أصحابه « بالنجوع» والنجع هو القافلة التي تخرج من أرض إلى أرض أخرى ابتغاء الماء أو المرعى أو العمل الموسمي أو الغارة وقد يكون أيضا سفرا بحبيبة حكمت عليها الأقدار أن تتزوج في قبيلة أخرى . وتترك وراءها حبيبا قد عذبه حبها ومن الانتاج اللاشعوري لأحد العشاق الشعبيين قوله يصف موقفا من مواقف الرحيل .

سَاقْ نجعها دُرقَهْ   عَمَلْ على الفُرقَهْ
بيهَا بعْدُونَا   باللّهْ يا لخْيَوَة تِمْشُوا وتجُونَا

فهو يذكر لنا أن « نجع » حبيبته أي قافلتها قد خرجت خفية عازمة على فراق الأحبة والأهل لقد أبعدوها لذلك نراه يطلب من إخوته أن يذهبوا ويتطلعوا له عن أخبارها .

وفي صورة أكثر شمولا واستيعابا لدقائق الرحيل يقدمها لنا الصغير الساسي فيقول : لقد رحلت قافلة سوداء الشعر وبارحت الأرض بعدما فزع لفراقها الناس وضربت الطبول لهذه المناسبة وراء « النجع » الذي اتخذ طريقه في الخلاء « الفج » الواسع . وكما يركب المسافر الذي يريد حج بيت الله الحرام ركبت الحبيبة وأهلها جمالا قوية في الصباح حتى إذا جاء المساء وصلت القافلة إلى منازلها وارتاحت من وعثاء السفر

رَحَلْ نَجْعهَا كْحيلْ الزغيبْ وهَجْ   ضَرَبْ طبلْهُمْ وحَرَجْ
كمَا رَكبْ مَاشِي للرسُولْ يحِجْ   خَشْ الخلاَ متشربينْ الفجْ
مين العَصرْ عشّى زملْهُم وارتَاحْ   رْكبوا جْمَالْ صْحَاحْ

وفي موقف وداع آخر يعطينا أحمد البرغوثي صورة رائعة فيها من الصدق وحرارة العاطفة الشيء الكثير فهو يتوجع من نار الفراق التي اشتعلت في جوانحه « مكنوني » والتهبت جمراتها واشتد وقدها . وذلك عندما شاهد مرحول حبيبته « مرادي » قد وضعوا عليه الحوايا واستعدوا للرحيل و« الحيران » جمع حوار وهو ولد الناقة تئن وتحن فتجاوبها أمهاتها بالثغاء . وكأنها قد أحست بأنها ستبارح الأرض التي عاشت بها وفي الوقت الذي بان فيه ضوء الصبح انطلق ركبهم وساقوا أمامهم « كحيلة » اي الابل فراحت تطوي الأرض في استسلام لسائقها . عند ذلك لحقت بهم كي أودعهم في حال أسيفة من الحزن « في حال موش هو » وهنا شبه نفسه في بحر أساه بالسفينة التي أضاعها سائقها وهو العقل .

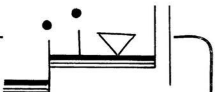
أحَيهْ نار الفُرقَهْ سَامُورهَا تْقَوّى
في مكْنُوني لهْبُوا جمراتهم قدو
وقْتْ انْ ريتْ مْرادِي مَرحُو لهَا تحْوى
والحِيران يْونُوا وامّاتْهم تْغُوا
مْنينْ الصُبحْ ازّيق م الشرقْ بان ضَوَهْ
فُوقْ ابلهُم هَزُّوا مِنْ فجرهُم سرُوا
سَاقُوا كْحيلة راحَتْ في شُورهَا تِتْلَوّى
حَاشُوهَا وانزاحَتْ في سَاغْ مَا بِطوُا
لحَقْتْ نْودَعْ فيهِم في حَالْ مُوشْ هُوَ
سْفاينَ عِقْلِي ضَاعُوا ريّاسُهم غدُوا

وفي نموذج آخر ينتظم في نسق موسيقي عجيب نرى الشاعر عبد العزيز العمراني يقدم لنا وصفا للرحيل ينبض بالحركة وذلك حيث يقول :

رَحَلْ نَجعْ مكحُولْ لنظار   في ليلتُو سَار
ضَرب طبلْهُم بَاتْ تقْمَار   حتّى طْلُوعْ الفِجَارِي
هَزوا علَى جْمَال قُدار   ونْيَاق وابكَار
شُوشَانْهُم بَاتْ زْغدَار   مِنَ صَبحتُوا قَالْ دَارِي
سَاحْ نجعهم في اول نْهار   وَرحَلْ م الدّار
غطّى السّهلْ عمْ الأوعَار   وجْحافهم عَلْ المهَارى
يُوم انْ رَحلْ بتَ مختَار   والدّمعْ قطّار
فاقِد خيالْ زينْ الاوْكار   رَبْة غْزالْ البْرارِي

فهو يتحدث عن نجع صاحبته المزمع على الرحيل في ليلة استعدت فيها القبيلة بقرع الطبول من الصباح إلى المساء وقد انهمك الخدم « الشوشان » في ترتيب المرحول يهزه الفرح وما هي إلا ساعات حتى سار الركب ورحل عن الديار في حشد غطى السهول والمرتفعات وفي رحيلهم بت في حزن وحيرة لا أتحكم في دموع عيني لفقد خيال الحبيبة « زين الأوكار » التي تشبه في جمالها غزال البرية

محي الدين خريف



كانت الشمس لافحة محرقة ..

ترى منذ متى كانت تسير وسط هذه الحقول التي احرقتها الشمس فاضحت جرداء متحجرة .. ترى منذ متى لم تعد تشعر بالألم في رجليها ، وقد ادماها السير فوق الحصى وبين الأشواك ، وأصمت أذنيها دقات قلبها المتتالية المضطربة .

كانت تسير منذ الفجر مثل الآلة ، وقد استبدت بها فكرة واحدة : أن تعثر على العنز كلفها ذلك ما كلفها : « .. العثور على عنزنا ... آه .. اين هي عنزنا ؟ » عندما استيقظت هذا الصباح صدمها الواقع .. لم تعد هناك العنز .. لم يعد هناك الحبل . فانطلقت حالا تبحث عنها دون أن تخبر أحدا .. عليها أن تبحث عن العنز .. تلك العنز التي يتمنى امتلاكها كل جار .. لقد نسج لها الأطفال شريطة من صوف متعددة الألوان .. وكانوا يزينون رأسها بتيجان الزهور والأوراق .. كانوا يداعبونها ويتجولون بها .. إنها أجمل لعبة عندهم .. لكنها كانت لعبة حيّة بالفعل .

وذات مرة أراد زوجها أن يبيع العنز فكانت لحظة صعبة جدا .. لو تحقق ذلك لفرح الجيران ، ولكن الزوج فكر مليا ، وأخيرا عدل عن ذلك .

اما اليوم ، فما العمل ؟ .. يجب العثور على العنز وإلاّ فياويحها ...

زوجها ... يا للمصيبة .. سيضربها لا محالة ... لقد اعتادت ذلك .. بضعة آثار زرقاء أحيانا .. إن جاراتها ترثين لحالها ، لأنهن مثلها .. كلهن نساء .. لا يهم .. إنه زوجها .. إنه زوج وكفى .. لم تكن تخجل من الآثار الزرقاء .. إنها لم تكن الوحيدة في ذلك . لكن هذه المرة المشكلة صعبة جدا .. ماذا تقول لزوجها؟ .. بماذا تجيبه حينا يقول لها :

« .. أنت السبب ، انك لم توثقيها كما يجب .. لقد هربت العنز .. ليس لك عمل سوى الثرثرة مع جاراتك .. ليست هذه المرة الأولى .. الا تتذكرين .. منذ شهور .. الحبل .. لقد عثروا عليها في القرية المجاورة .. »

هل سرقوا العنز ؟ إنها لا تكون مذنبة إذن .. هه .. سارق .. يجب العثور عليهما معا .. وهذه الأرض التي تزداد إحراقا ... إن قدميها عدمتا الاحساس منذ زمان طويل ..

العرق يتصبب بين نهديها وعلى بطنها .. إنها تمسح جبهتها بحركة آلية منتظمة . لقد جف ريقها ، فما تستطيع بلع شيء ..

ظهر في الأفق شبح صغير فلتسرع في سيرها.. إنه طفل ..

ـ هل رأيتها ؟ . هل رأيتَها ..

ـ مَن ؟

ـ عنزنا والسارق ..

ـ أية عنز ! وأي سارق ! لم أر شيئا .

فتشبثت به وهزته بشدة :

ـ قل . أين .. متى .. تكلم والاّ ! !

وتطلعت اليها عينان مذعورتان !

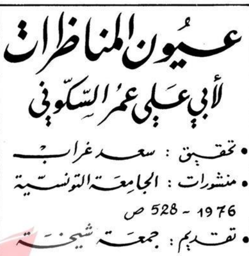
ـ لم أر شيئا .. أقسم لك .

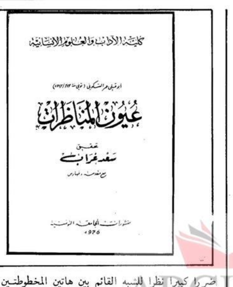
وينفلت الصغير من بين يديها هاربا فتقف هي مبهوتة متسمرة ، ثم تتابع طريقها بين حقول لا تنتهي .. هل هي العنز التي تبدو لها تتهادى عبر غلالة شفافة ، أم هي مجرد الأرض . كل الطرق تؤدي الى العنز فلتتقدم .. تخطو خطوات .. لم تعد ترى شيئا ..... لقد اختلطت الأشياء أمام عينيها .. العنز ، السارق ، الزوج ، الأطفال .. لكنها تظل تمشي .. تمشي دائما ..

وبعد أيام أخطرت الشرطة . فعثرت هذه على جثة في قاع بئر مهجورة . وجاء في التقرير : « .. سبب الوفاة كسر في المخ اثر سقوط الهالكة ؛ فماتت على عين المكان .. »

قصة : صوفية القبلي * تعريب : نائلة وهب

نقد الكتب





قدّم المحقّق هذا العمل في نطاق أطروحة دكتوراه « حلقة ثالثة » نُوقشت بباريس في جوان 1970 . فهي دراسة قد تأخّر نشرها نسبيًا خاصّة وأنّ « هذا العمل يرجع في الحقيقة إلى سبتمبر 1969 » (1) كما أشار إلى ذلك المحقّق .

وينقسم هذا البحث إلى قسمين كبيرين :

1) **تحقيق النصّ** : ويمسح من الصفحات 290 صفحة (2) . وقد اعتمد في تحقيقه على مخطوطتين تونسيّتين (3) : رمز إلى الأولى بحرف (أ) ورمز إلى الثانية بحرف (ب) :

(1) **المخطوطة الأولى** : توجد بالمكتبة الوطنية تحت رقم 11273 ضمن مجموع هي الخامسة والأخيرة فيه ويرجع تاريخ نسخها إلى 1144هـ/1731 .

(2) **المخطوطة الثانية** : توجد هي الأخرى بالمكتبة القومية تحت رقم 09051 ضمن مجموع يحتوي على ثلاث مخطوطات هي الثانية منها ويرجع تاريخ نسخها إلى 1185 هـ/1771 .

ولم يتمكّن المحقّق ـ بعد أن ضبط نصّه ـ من مقارنته بمخطوطتين أخريين : الأولى على ملك عائلة ابن عاشور وتوجد الثانية بالمكتبة الوطنية تحت رقم 4748 . على أنّ هذا العيب قد لا يضرّ بالنص ضررا كبيرا نظرا للشبه القائم بين هاتين المخطوطتين والنسخة (أ) التي اعتمدها المحقّق (4) .

2) المقدمة والفهارس :

(1) المقدمة (5) : وقع تحريرها بالفرنسية (6) ضبط فيها : في مرحلة أولى ، حياة الكاتب وعصره (7) وفي مرحلة ثانية حلل كتاب « عيون المناظرات » (8)

(2) **الفهارس** : وتشتمل أوّلا على فهرس الآيات القرآنية (9) . ثانيا على فهرس الأحاديث (10) ثالثا على فهرس الأعلام (11) رابعا على فهرس المصنفات المذكورة (12) خامسا على فهرس الأماكن (13) سادسا على فهرس الفرق والقبائل والمجموعات (14) سابعا على فهرس الأبيات الشعرية (15)

ويبدو لنا من الضّروري أن نشير في بداية هذا التقديم إلى أنّ الدّراسات الاسلامية تعتبر ـ في حياة العرب والمسلمين الفكريّة ـ جزءا لا يتجزّأ من الدّراسات الأدبية واللّغوية العربيّة فهما من العناصر المتكاملة التي تخدم إحداها الأخرى ولكن مع الأسف فهذا النوع من الدّراسات مهمل أو يكاد بكليّة الآداب والقطيعة

التامة بين الكلية الزّيتونية وكلّية الآداب بالجامعة التونسية هي تجسيم فعلي لعدم فهم العلاقة المتينة بين هذين النّوعين من الدّراسات . ولعلّ المستشرقين تبيّنوا ما لم نتبينه من شديد العلاقة بين هذين العنصرين في الحضارة العربيّة فكانت الدّراسات الاسلامية لديهم لا تقلّ ثراء وعمقا عن الدّراسات الأدبية واللّغوية .

ولقد قام الأستاذ سعد غراب بتكسير جدار الصمت بين كلّية الآداب والدّراسات الاسلامية بتحقيق علمي لكتاب « عيون المناظرات » لأبي علي عمر السّكوني . فمن هو السّكوني ؟

حياة السّكوني (17)

هو أبو علي عمر بن محمد بن أحمد بن خليل السّكوني التّونسي (18) يرجع نسبه إلى عائلة عربيّة عريقة هي عائلة « سكون » نسبة إلى جدّهم الأعلى السكون بن الأشرس بن كندة : القبيلة القحطانية الشهيرة .

وقد أنجبت هذه العائلة ـ حسب كتب الطبقات والتراجم ـ من الرّجال من كان لهم دور أساسي في المشرق العربي في ميداني السيف والقلم فمعاوية بن حديج مثلا فاتح المغرب في سنة 52 هـ/672 م ينتمي إلى هذه الأسرة ولا بدّ أنّ قسما منها كان معه عندما غزا إفريقية كما أنّ عائلة التجيبيّين الأندلسية تنحدر من أحد فروع هذه العائلة الكبيرة التي انتشر أفرادها في كامل أصقاع المشرق العربي قبل انتقال بعضهم إلى المغرب والأندلس

وإذا كان من الصعب أن نحدد زمن رحلة الفرع الذي ينتمي إليه أبو علي من الشرق إلى الأندلس فإنه مما لا شك فيه أنّه عندما ولد المؤلّف حوالي 630 هـ/1232 م (19) كانت هذه الأسرة ـ التي نزلت أوّل ما نزلت بلبلة (20) ثمّ استقرت نهائيا بإشبيلية ـ تعتبر من الأسر الأندلسية العريقة (21)

وتعتبر الفترة التي ولد فيها المؤلّف من أحلك فترات التاريخ الأندلسي فقد هزم الموحدون في معركة العقاب 609 هـ/1212 م في بداية القرن السّابع للهجرة وبدأت المدن الأندلسية تسقط ـ كالثمار اليانعة ـ بأيدي النصارى الأسبان . ولم يعد ممكنا أن يقوم المسلمون في شمال إفريقية بمدّ يد المساعدة لاخوانهم بالأندلس فقد تفتّتت وحدة المغرب بانهيار الحكم الموحّدي (23) وضعفت قوّته العسكريّة بسبب النزاعات الدّاخلية ولكن رغم هذا فقد بقي الملجأ الأفضل لعرب الأندلس لمن استحوذ النّصارى على مدنهم وأجبروهم على مغادرة البلاد

ويبدو أنّ أسرة السّكوني هي إحدى الأسر التي اضطرت للّجوء إلى تونس بعد سقوط إشبيلية في سنة 646 هـ/1248 م ورغم الغموض الذي يحيط بانتقال أسرة المؤلّف إلى تونس فقد رجّح المحقّق بالاعتماد على حجّة قابلة للنقاش (24) أنّ جدّ المؤلف قد مات بالأندلس وأن والد المؤلّف أبا الحسن محمدا هو أوّل من وصل من هذه الأسرة إلى عاصمة الدّولة الحفصيّة وكان ذلك حوالي منتصف القرن 7 هـ/13 م . ولا بدّ أنّ المؤلّف ـ وكان شابا في تلك الفترة ـ قد وجد الفرصة سانحة لمواصلة دراسته على بعض شيوخ تونس التي أصبحت عاصمة الخلافة الاسلامية مع أبي زكريا المستنصر باللّه الحفصي (25) وقد جاءته البيعة من الشرق والغرب بعد سقوط الخلافة العبّاسية سنة 656 هـ/1257 م إثر الزحف المغولي .

ويبدو ـ حسب المصادر التي بين أيدينا ـ أنّ حياة المؤلّف في تونس لا تقلّ غموضا عن حياته في الأندلس فنحن لا نكاد نعرف عنه شيئا ذا بال في إفريقية . وكما أهملت المصادر سنة ولادته فقد تناقضت في سنة وفاته فقد ذكر صاحب كشف الظنون أنها سنة 717 هـ/1317 م وذكر التنبكتي خطأ سنة 818 هـ/1413 م وأورد بروكلمان سنتين : سنة 716 هـ/1316 م وسنة 707 هـ/1307 م . وقد رجّح المحقق ـ بعد مقارنة تتّسم بكثير من الدّقة ـ سنة 717 هـ/1317 م نظرا لتواترها وورودها في أوثق المصادر وأقدمها

ورغم كلّ هذا الغموض فان ما تركه لنا السكوني من مؤلّفات يعيننا نسبيّا على رسم صورة تقريبية له فهو يبدو من خلالها شخصيّة تتمتّع بثقافة عميقة . وهو في ثقافته تلك مثال السّنّي الذي لا يخلو من تعصّب في مواقفه ضدّ بعض الفرق الاسلامية ويبدو أنّ كتاب « عيون المناظرات » خير من يمثّل هذا الجانب من شخصيّته فما هو كتاب عيون المناظرات ؟

كتاب « عيون المناظرات »

هو كتاب في « التوحيد » كما أشار إلى ذلك المؤلّف منذ المقدّمة (27) وهو بالتالي يندرج ضمن ما اصطلح على تسميته عموما بعلم الكلام من حيث أنّه « علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية (28) والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السنّة وسرّ هذه العقائد الايمانية هو التوحيد » (29) .

فإذاً كان التوحيد هو سرّ العقائد الايمانية ـ التي هي علم الكلام ـ عند ابن خلدون فهو « أشرف المعلوم » (30) عند السكوني . وإذا كان الحجاج بالأدلّة العقلية هو طريقة العلماء في هذا الفنّ حسب ابن خلدون فقد ذكر السكوني أنّه سيقدّم ما لديه من معلومات في هذا الموضوع بطريقة « ترغب في سمعه الأذان ويسهل مدركه على الأذهان » (31) وتقوم هي الأخرى ـ أساسا على المناظرة (32) والجدل (33) .

وهذه الطريقة التي سلكها السكوني قد تعتبر جديدة بالنظر إلى المؤلفات الكثيرة في علم الكلام التي وضعت في عهده وما قبله وتعتمد بالدرجة الأولى جمعْ النّتائج الهامّة التي أسفر عنها الحجاج والجدل وضبطَها في كتب تختلف طولا وقصرا بطريقة تقريرية تعليمية قد لا يستسيغها من به ميل إلى الاجتهاد الشّخصي والنظر العقلي باعتبار أنّ ما وصل اليه القوم يمكن أن يصل اليه هو بنفسه وهي طريقة قديمة قدم هذه المناظرات التي انتقاها المؤلّف من مصادر مختلفة ووضعها في هذا المجموع فكان بذلك ممثلا خير تمثيل للصنف الأوّل من كتب المناظرات وهو الصنف الذي يقتصر فيه دور المؤلّف على الانتقاء والترتيب والمشاركة من حين لآخر في مناقشة بعض الآراء . وأمّا النوع الثاني فهي الكتب التي يكون فيها المؤلّف هو صاحب هذه المناظرات ككتاب « نهاية العقول » لفخر الدّين الرّازي وهي بالتالي تعكس لنا بالدّرجة الأولى أفكار الكاتب ومذهبه الشخصي (34)

وبتطوّر فنّ الجدل (35) والنظر عند المسلمين قام بعض العلماء بتصنيف كتب نظرية تصلح أن تكون مقدّمة للصنفين السّابقين لضبط آداب المناظرة حتّى لا تخرج ـ مهما احتدم فيها النّقاش ـ عن نطاق الاحترام وحسن المعاملة مثل ما فعل الغزالي في فاتحة العلوم (36) وحاجي خليفة في الكشف (37) وغيرهما كثير .

ويحتوي كتاب السّكوني على 160 مناظرة تختلف طولا وقصرا : أطولها المناظرة الثانية (38) وأقصرها المناظرة الرّابعة والسبعون (39) وإذا كان كتاب عيون المناظرات ليس من السّهل قراءته نظرا لاغراقه في غالب الأحيان في المجرّدات (40) فهو لا يعدم بعض المناظرات التي تقرأ بكثير من المتعة (41) ذلك أنّ هذا النوع من المناظرات لا يبعد عن روح النّادرة والملحة المتواترتين في كتب الأدب بل يمكن اعتبارها من صميم الأدب اذا أخذنا هذا الأخير بمفهومه الواسع وهو الأخذ من كلّ شيء بطرف وقد تبتعد بعض هذه المناظرات عن القضايا العقائدية لتقترب من النصوص التاريخية (42) فتمدّنا بإفادات جديدة عن تاريخ اليهود تارة (43) وعن الصرّاع بين علي والخوارج تارة أخرى (44) . وتختلف هذه المناظرات من حيث نوع الحجج الواردة فيها : فهناك الحجج العقلية وهناك الحجج النقليّة وتبدو الحجج النقلية أكثر عددا في « عيون المناظرات » (45) ولا يخلو بعضها من تخريجات لغويّة طريفة (46) أمّا الحجج العقلية فإن كان بعضها يتسم بكثير من الدّقة والاتزان فإن بعضها لا يخلو من تكلّف وبعضها الآخر يعتمد التّلاعب بالألفاظ أساسا . وقد لا نبالغ اذا قلنا إنّ من هذه الحجج ما كان على درجة كبيرة من السخف (47) .

وتختلف هذه المناظرات في المكان الذي تجري فيه فاذا كان أغلبها يبدو في المشرق العربي وبلاد الفرس (48) فإننا نجد مناظرات معدودة تجري في الأندلس (49) وفي القسطنطينية (50) وبلاد الروم بصفة عامّة (51) . واذا كنّا لا نجد في « عيون المناظرات » تقسيما منطقيا فقد حاول المؤلّف أن يعتمد في إيراد المناظرات التدرّج التّاريخي فبدأ « بأول مناظرة جرت في العالم بين الملائكة صلوات اللّه عليهم أجمعين وسلامه وبين إبليس لعنه اللّه لما طرده اللّه عن بابه » (52) ثم انتقل إلى مناظرات بعض الرّسل والأنبياء جرت بينهم وبين أممهم ممّن أصرّوا على تكذيبهم من نوح عليه السّلام إلى محمد صلى اللّه عليه وسلّم (53) . وبمجرّد انتقال الرّسول (صلعم) إلى الرفيق الأعلى دارت مناظرات ـ لا

تخلو من حدّة - بين أصحابه في مواضيع دينية ودنيوية كدفن الرّسول والامامة وحروب الرّدّة (54) . ثمّ إتسع نطاقها شيئا فشيئا وأزداد حدّة بحدوث الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية وباتساع الفتوحات ودخول أجناس مختلفة - عن حسن نيّة أو سوء نيّة - في الاسلام وأخيرا بنشوء بعض الفرق الاسلامية كان لها الباع الطويل في هذا الميدان كالمعتزلة وغيرها من الفرق التي اطلع زعماؤها على فلسفة اليونان وتشبّعوا بمنطقهم .

وتطرح هذه المناظرات عديد القضايا وسنقتصر على قضيتين أساسيتين اثيرتا في عدّة أماكن من الكتاب :

أ - الوحدانية : وهي « رأس العلم حسب تعبير السكوني (55) وأهمّ غرض في كتاب « عيون المناظرات » نافح عنه المؤلف بعديد الأدلّة ضدّ الفرق الزّائغة والأديان الضالّة .

ب - صفات الله : كالأرادة (57) والعلم (58) والقدرة (59) والحياة (60) وخاصة صفة الكلام التي تفرّعت عنها مشكلة القول بخلق القرآن (61) وما أثارته هذه القضية من جدل اتّسم في كثير من الأحيان بالعنف (62) . وتفرّعت عن هذه الصفات قضايا كانت محور جدل وحجاج ومدار بحث ونظر في مسألة الوعد والوعيد (63) والعفو بعد التهديد (64) والعدل الالاهي (65) ومسألة إيلام البريء كالأطفال والحيوانات ووجوب مجازاتهم على ذلك (66) الخ .. على أنّ هذا لا يمنع من أن نجد عدّة قضايا اخرى تتعلّق بعلم الكلام من حيث أنّه « علم باحث عن أمور يعلم منها المعاد وما يتعلّق به من الجنة والنار والصّراط والميزان والثواب والعقاب » (67) كقضية النبوّة (68) والمعجزات (69) ونسخ الأديان (70) ورؤية اللّه (71) الخ ...

ومن خلال تعرّضه لهذه القضايا يبسط السّكوني الموقف السنّي من بعض الفرق الاسلامية ويرجع زيغها إلى كفر إبليس « فهو أصل كلّ الفرق الزائغة » (72) ومنطلق لأهل العصيان والمخالفات وأهل الكفر والضلالات » (73) ومن أهمّ هذه الفرق :

أ - الرّافضة : وهم غلاة الشّيعة وخاصّة القرامطة وينقدهم السّكوني خاصّة في قولهم بالحلول وعصمة الامام وشتمهم للخلفاء وتعظيمهم للحجر الأسود (74)

ب - الخوارج : ويربط رفضهم لعمليّة التحكيم بين علي ومعاوية برفض إبليس السّجود لآدم (75) ولا يخلو حديثه عنهم عندما وقفوا في وجه الامام علي من فوائد تاريخيّة - حسب ما ذكره المحقق (76) - وإنْ كنا نميل إلى أعتبار بعض هذه الأخبار أقرب إلى الخرافة منها إلى الخبر التاريخي الصحيح (77)

ج - القدرية : وهم المعتزلة ويسمّيهم السكوني مجوس هذه الأمّة باعتقادهم أن الانسان هو خالق أفعاله ممّا يؤدّي إلى الثنائية (78) وصاحب « عيون المناظرات » - بما أختاره من مناظرات - شديد على المعتزلة يفنّد مبادئهم الواحد بعد الآخر (79) وخاصّة قولهم بالمنزلة بين المنزلتين (80) وقضيّة أفعال البشر التي تفرّع عنها السؤال المحيرّ قديما وحديثا : هل الانسان مخيّرٌ أم مسيرٌ (81) ؟ والسّكوني يميل في هذه النقطة بالذات إلى الكسب الأشعري (82) وهو بصفة عامّة في جلّ مواقفه من هذه القضايا المختلفة والفرق المتعددة مثال الأشعري المؤمن بهذا المذهب والمنوّه بصاحبه (83)

د - المرجئة : وهم الذين « أخروا العمل وقالوا لا يضر تركه كما أخّر اللّعين (84) السّجود » (85) وهي في نظر أهل الحق (86) - حسب تعبير السكوني - بدعة من بدع الالحاد (87) .

ويضع السّكوني هذه الفرق الاسلامية تقريبا - عند الرّدّ عليها - في نفس المستوى مع بقيّة الأديان السماويّة (88) والوثنية فقد ردّ :

أوّلا : على اليهود وأرجع سبب تنكّرهم لرسالة محمد (صلعم) مع ورود ذلك في كتبهم القديمة إلى حسدهم للرسول لأنه ليس من أبناء إسحاق كما حسد إبليس آدم فرفض السّجود له (89)

ثانيا : وعلى النّصارى : بأن ألحّ - في المناظرات التي انتقاها - على نفي ألوهية المسيح وردّ على معتقدهم في التثليث الذي يمس أساسا بالوحدانية (90) وكتاب السّكوني بهذا النقد للنصرانيّة واليهودية يمكن أن يدرج ضمن كتب الرّدّ (91) التي أنتشرت في

العالم الاسلامي شرقا وغربا في وقت ظهر فيه الخوف على الاسلام من مناوئيه الذين لم يكتفوا بمقاومته بالسّيف بل حاولوا عن طريق السفسطة والتضليل المسّ من مبادئه السّمحة.

ثالثا: وعلى المجوس (92) بأن نفى معتقدهم القائم على الايمان بإلاهين وقد تساءل بعضهم عن علّة خلق الله لابليس وهو يعلم ما سيكون منه من تضليل لخلقه فكان جواب السّكوني ترديد الآية: « لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون » (94)

رابعا: وعلى كفار قريش الذين حسدوا الرّسول فقاوموه مقاومة لا هوادة فيها (95) وخاصّة عمّه أبا لهب وابنه عتبة بعل ابنة النّبيء (صلعم).

هذا تقريبا أهمّ ما يحتوي عليه « كتاب عيون المناظرات » بكثير من الايجاز والاقتضاب وممّا لا شكّ فيه أنّ تحقيق هذا النوع من الكتب ليس سهلا فهو زيادة على ما يفترضه من البحث المضني يتطلب أن يكون المحقق عارفا بجزئيات هذه « القواعد الايمانية » حسب تعبير ابن خلدون. وهما أمران قد تحلّى بهما المحقق فكان النّص واضحا في جملته بتعاليق دقيقة في أسفل الصفحات وفهارس ضافية (96) تعين كلّ باحث بإحالاتها المفيدة على المراجع والمصادر فيجد المجال الفسيح للتوسّع والتعمّق.

ولكن هذا لا يمنع من إبداء ملاحظتين تتعلّق الأولى بالنّص في حدّ ذاته وتتصل الثانية بما وقع من تعاليق عليه.

الملاحظة الأولى: حاول المحقق عندما قارن بين النسختين أن يضيف ما هو ناقص في احداهما وموجود في الأخرى ويضعه بين قوسين اذا كان من النسخة (أ) وبين معقفتين إذا كان من (ب). وإذا كانت هذه الاضافات قد خدمت النّص أحيانا فقد عملت على اضطرابه أحيانا أخرى وجعلته يعسر على الفهم دون أن يستعصي (97)

إن صعوبة فهم النّص لا ترجع فقط إلى هذه الاضافات فهي ترجع كذلك إلى بعض الأخطاء المطبعية التي كان من الممكن تجنبها بمراجعة النّص جيّدا قبل سحبه (98).

كما ترجع هذه الصعوبة أيضا الى غموض النّص في حد ذاته (99). وقد اعترف المحقق ـ رغم ممارسته للنص من قريب ـ بوجود هذا الغموض وبالتالي استعصاء فهم بعض الفقرات (100)

الملاحظة الثانية: قام المحقّق بتعاليق في أسفل الصفحات وهي مساعدة لا يمكن أن يستغني عنها القارىء. ولكن يبدو أنّ الأستاذ سعد غراب علّق أحيانا على ما لا يستحقّ التّعليق من ذلك أنّ الخلفاء الرّاشدين ليسوا في حاجة إلى ذكر أسمائهم لمعرفتهم (101) ولا يعقل ونحن في القرن العشرين وبعد أن ضبط القرآن نهائيا أن يختلف في آيات الذكر الحكيم حتى يحتاج إلى التعليق على ذلك (101) مكررًا.

وعكس هذا موجود فقد أهمل المحقّق التعليق على ما يستحق التعليق فقد كان من الممكن أن يعرّف لنا بابنة الرّسول التي تزوّجت من عتبة بن أبي لهب وطلّقها في حياته (صلعم) (102) وأن يضبط لنا طبعات بعض الكتب التي طبعت مرّتين (103) وأن يدقّق في بعض الاستنتاجات من ذلك مثلا أنّنا لم نجد في الصفحة التي أرجعنا إليها من مقدّمة ابن خلدون ما يدلّ ـ من قريب أو بعيد ـ أنّ هذا الأخير يجهل كتاب « عيون المناظرات » كما ذهب إلى ذلك المحقّق (104).

ورغم أنّ الاستاذ سعد غراب شرح بعض المفردات اللّغوية (105) فقد أهمل ـ بدون سبب ـ شرح كلمات أخرى قد تكون أكثر صعوبة من التي شرحها (106).

وكلّ هذا قد لا يضير في شيء قارئ « عيون المناظرات » ولكن هناك بعض المصطلحات الفنّية التي كان من الممكن أن يعلّق عليها المحقق ـ ولو بسرعة ـ في أسفل الصفحات حتى يتسنى للقارئ أن يواصل قراءته للنّص. ولكنّ الأستاذ سعد غراب ـ مع الأسف ـ اكتفى في الفهرس بإرجاعنا إلى مقالات وكتب مختصّة عرّفت بهذه الكلمات بكثير من الدّقة والتفصيل وهذا من الناحية العلميّة مفيد ولكنّه من الناحية التطبيقية ـ أي عند قراءة النّص ـ صعب (107) على أنه مهما كان من أمر هذه الملاحظات الجزئية فإنها لا تنقص البتة من قيمة هذا التحقيق العلمي الدّقيق الذي قام به الأستاذ سعد غراب « لعيون المناظرات ».

الخاتمة : وكتاب السكوني هو صورة واضحة تعكس بكلّ صدق القمم الشامخة التي بلغها الفكر الإسلامي في ق 7 ه/13 م من جهة والهوّة السحيقة التي بدأت تتردّى فيها الحضارة العربية الإسلامية من جهة أخرى .

فمن خلال هذه المناظرات نستشف مدى ما بلغه شغف المسلمين وتوقهم لمعرفة الحقيقة ونلمح مدى ما أفرزته الحضارة العربية الاسلامية من عقول نيرّة وأذهان متّقدة بمالها من عمق التفكير وشمول النظرة وقوّة الحجّة ووضوح البرهان . فأنت تجد في هذه المناظرات رفضا قطعيا لخزعبلات المنجمين (108) وفتحا لباب الاجتهاد على مصراعيه (109) وهو الباب الذي كان في غلقه الوبال الكبير على الإسلام والمسلمين لكن إلى جانب ذلك نلمح في كتاب السّكوني الميل إلى التواكل (110) وذلك بالايمان إيمانا انهزاميا بمسألة القضاء والقدر (111) والحدّ من قدرات العقل (112) ونفي السببية أساس كلّ علم (113) والايمان بكثير من الخرافات التي يرفضها المنطق ولا يستسيغها العقل (114) مع التعلّق بمناقشات بيزنطية في مواضيع تافهة (115)

التعاليق

(1) ص 7 (التمهيد)

(2) من ص 13 إلى ص 303

(3) أشار المحقق في مقدّمته إلى أن « عيون المناظرات » لم يصل إلى الشرق (انظر التعليق رقم 151 ص 207)

(4) ص 46 من مقدّمة المحقّق

(5) توجد على اليسار من النّص العربي : من ص 9 إلى ص 112

(6) هذا أمر طبيعي لأنّ المحقق قدّم هذا العمل في الجامعة الفرنسية لكن كان من الممكن أن تعرّب هذه المقدّمة الهامّة خاصّة والكتاب تنشره الجامعة التونسيّة وإن لم تساهم في إعداده وأعترف المحقق أنّ من القرّاء « من لا يتمكن من الرجوع إلى مقدّمتنا بالفرنسية » ص 8 من التمهيد .

(7) من ص 9 إلى ص 43

(8) من ص 55 إلى ص 110

(9) من ص 307 إلى ص 336

(10) من ص 337 إلى ص 338

(11) من ص 339 إلى ص 376

(12) من ص 377 إلى ص 383

(13) من ص 384 إلى ص 390

(14) من ص 391 إلى ص 399

(15) ص 400

(16) وممّا يدلّ على انعدام هذا النوع من الدّراسات أنّ الجامعة التونسية عندما نشرت « عيون المناظرات » وضعته اعتباطا في سلسلة « الفلسفة والأدب »

(17) انظر التعليق عدد (7)

(18) ويقال له الإشبيلي نسبة إلى إشبيلية مسقط رأسه ويقال له كذلك المغربي

(19) انظر مقدّمة المحقق ص 26 التعليق رقم 109 مكرّر .

(20) قرية تبعد عن إشبيلية بحوالي 50 كلم غربا (42 ميلا حسب ياقوت 346/4) انظر مقدّمة المحقق التعليق رقم 46 ص 15

(21) ترجم المحقق في مقدّمته إلى 10 من رجال هذه الأسرة (من ص 16 إلى ص 20) عاشوا في الأندلس أولهم عبد الغفور بن إسماعيل بن خلف السكوني ت 540 ه/1146 م وآخرهم جدّ المؤلّف أبو الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السكوني ت 652 ه/ 1254 م

(22) سقطت قرطبة سنة 634 ه/1236 م بلنسية 636 ه/1238 م إشبيلية 646 ه/1248 م لبلة 657 ه/1259 م

(23) انقسم المغرب بعد إنهيار النفوذ المؤحّدي إلى ثلاث دول : (1) الدولة الحفصية 634 ه/1236 م بتونس (2) دولة بني عبد الوادّ بتلمسان 637 ه/1239 م (3) دولة بني مرّين في فاس

(24) حجّته في ذلك أنّ الحسين وأبنه أبا علي (المؤلّف) لا يوجد ان في كتب مؤلّفي التراجم الأندلسية كالمرّاكشي وابن عذارى . ولكن ـ وباعتراف المحقّق ـ هذه الكتب التي بين أيدينا يشوبها نقص (المقدمة ص 23)

(25) هو رابع أمراء الدّولة الحفصية حكم من سنة 625 ه/1128 م إلى 678 ه/1277م

(26) للسكوني ـ حسب المحقق ـ كتب موجودة وهي (1) عيون المناظرات (2) التمييز لما أودعه الزّمخشري من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز (توجد نسخة منه بالعطارين تحت رقم 04959 (3) مقتضب التمييز (توجد منه نسختان بالمكتبة الوطنية : 7262 و5654

الحركة الثقافية بالمغرب

عندما أنشئت بالمغرب وزارة مستقلة للشؤون الثقافية وُضع تخطيط محكم لسياسة ثقافية ترتبط بأهداف واضحة وواقعية ، بناء على تقييم موضوعي للامكانيات المادية والبشرية المتاحة . ويتجلى ذلك في الاتجاهات والأهداف الواردة في المخطط الخماسي 1973 ـ 1977 الذي جعل الثقافة حقا للجميع لا تقتصر على النخبة بل تمتزج بالحياة اليومية كعامل أساسي لازدهار شخصية المواطن ، ليساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وتهدف وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية إلى تكوين المواطن المغربي العربي وصقل فكره ووجدانه وغرس القيم الصالحة في مجتمعه ، وتوعيته بتراثه ، وحفزه الى معايشة عصره . وهي اذ تعتبر الثقافة العربية مقوما أساسيا من مقومات الوحدة فهي ترى أن التفتح على ثقافات أخرى مشاركة ايجابية في الحضارة الانسانية .

وترى وزارة الدولة للشؤون الثقافية أن من الواجب أن ترتبط السياسة الثقافية ارتباطا وثيقا بالسياسة التعليمية بصفتها تهدف إلى استكمال تكوين الفرد فيما قصرت المدرسة بامكاناتها المعلومة عن ايصاله إلى الطلاب من ممارسات فنيّة وأدبية وغيرها من خلال تكوين يرمي إلى تحقيق أهداف أساسية .

أولها : تكوين المواطن المغربي وصقل فكره ووجدانه ليكون أداة فعالة في التقدم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي . ولا يتأتى ذلك إلا بغرس القيم الصالحة في المجتمع وإعداد المواطن المغربي إعداد الواعي بتراثه المتشبث بقيمه ، المعايش لعصره .

ثانيها : العمل على أن تكون الثقافة وطنية تستند إلى التراث الحضاري لشعب المغرب وتستوعب تطور العصر وتدرك آفاقه ، وعلى اعتبار الثقافة العربية الاسلامية كمقوم من مقومات الوحدة الوطنية .

ثالثها : تحقيق العمل الثقافي بجميع الوسائل التي تكفل شيوع الثقافة وانتشارها بين المواطنين تأكيدا لحق المواطن في الثقافة كحقه في التعليم وحقوقه السياسية والاجتماعية .

رابعها : استقبال أنشطة ثقافية عربية ودولية لاثراء الثقافة الوطنية وإتاحة الفرصة للمواطنين ليطلعوا على أنواع من الثقافة جديدة .

* * *

تتعدد مجالات عمل وزارة الدولة للشؤون الثقافية داخل البلاد وخارجها قصد التعريف بالثقافة المغربية وأصالتها وطرافتها وذلك :

1) بتنظيم أنشطة ثقافية متنوعة (محاضرات ، مهرجانات ، اسابيع ثقافية ... الخ)

2) بتبادل الأسابيع الثقافية مع الأقطار الشقيقة والصديقة ذلك أن كثيرا من الدول الأجنبية سارعت لربط علاقات ثقافية رسمية مع المغرب من أجل التعاون معه في مختلف مناحي الثقافة كما أن النشاط الثقافي المغربي على المستوى الدولي يشكل فرصا لابراز الجهود المغربية في مجال الثقافة كما يبرز الوجه الحضاري للمغرب و يعرف بنهضته في مختلف المجالات .

وكتعبير حقيقي عن تشبث المغرب منذ عهد بعيد بفكرة الوحدة العربية فقد ارتبط خلال السنوات الأخيرة باتفاقية ثقافية مع الدول الشقيقة رغبة في تمتين روابط الأخوة معها وحبا في إبراز الحضارة العربية ونشرها في ربوع العالم .

3) بتشجيع الأدباء والكتاب والجمعيات الثقافية وقد أنشئت من أجل ذلك « جائزة المغرب » التي تمنح سنويا لمؤلف واحد أو عدة مؤلفات بحسب قوانين وتراتيب معينة .

كما تقوم باقتناء كميات من كتب المؤلفين لتوزيعها على الخزانات ولاهدائها خارج المغرب قصد التعريف بذلك الانتاج .

وقد عملت الوزارة توسيعا لرقعة النشاط الثقافي على تكوين خلايا ثقافية بمختلف المؤسسات العمومية وشبهالعموميةلتعم التوعية الثقافية مختلف القطاعات الحيوية فتساهم في البناء عن وعي . وللجمعيات الثقافية أهمية قصوى في التجارب والتعاون والتكامل لخلق مناخ ثقافي بالبلاد لذلك فقد منحت الوزارة ستا وستين جمعية دعما لما تنجزه من أعمال ثقافية ، ولما تضمه من عناصر واعية .

4) بإصدار مجلات متخصصة وغير متخصصة . فبالاضافة إلى المطبوعات التي تتولى الوزارة نشرها تقوم بإصدار مجلة « المناهل » ثلاث مرات في السنة . وهي تحتوي على موضوعات أدبية وتاريخية وعلمية وفلسفية ، يشارك في تحريرها صفوة من الباحثين والأدباء والشعراء والقصاصين المغاربة والمشارقة .

كما تصدر الوزارة مجلة « مناهل الأطفال » وتحتوي على موضوعات تناسب ومستوى الأطفال .

وتصدر مجلة « الفنون » ثلاث مرات في السنة ، وتهتم بالحركة الفنية المغربية والعربية .

5) بالحفاظ على التراث (دراسته وتصنيفه وتبويبه) وقد أنشئت لذلك « جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق » وهي طريقة جديدة لاكتشاف التراث المخطوط لدى الأسر والأفراد ، وإنقاذه من الاهمال والضياع .

6) بالتنقيب عن الآثار وإثراء المتاحف إذ المغرب بلاد حضارة عريقة ووارث تراث ثقافي وتاريخي فني هو موضع دراسة دقيقة من طرف رجال البحث المختصين الذين يولون المباني التاريخية والمدن القديمة والمواقع الأثرية والتراث الاتنوغرافي مجهودا مستمرا للترميم والصيانة والتعهد .

7) نشر عادة القراءة بين المواطنين بواسطة المكتبات . فتكميلا للدور الذي تقوم به المدرسة والكلية من أجل بناء عالم الغد ، لم تأل وزارة الدولة للشؤون الثقافية جهدا في الاعتناء بالمكتبات التابعة لها وكذا مكتبات الجماعات المحليّة ، الحضرية منها والقروية ، وذلك بتزويدها بالجديد من الكتب في شتى ميادين المعرفة .

من ذلك مثلا أنه تمّ تزويد هذه الخزانات ابتداء من شهر أبريل 1976 وحتى أواخر 1978 بما قدره 531 . 19 نسخة من مختلف الكتب .

8) بالعناية بالمعاهد الموسيقية . فقد أعادت الوزارة النظر في تنظيم المعاهد الموسيقية بوضع مشروع ظهير شريف بمثابة قانون أساسي للتعليم الحرّ للفنون .

ويبلغ عدد المسجلين بهذه المعاهد 4000 طالب بالاضافة إلى 505 تلميذ وتلميذة ينتظمون بمدرستي الفنون الجميلة والتقليدية . وتنظر الوزارة حاليا في شهادات التخرج ومعادلاتها لتخول حامليها من الالتحاق بالمعاهد الفنية العليا بالخارج . كما تقوم بدراسة مشروع يحدد المقاييس الواجب اتباعها في المدارس الحرة حتى تؤدي رسالتها على الوجه الصحيح .

وهناك مشاريع لفتح مدارس فنية واحتضانها للتراث الشعبي والعمل على تطويره مع الحفاظ على أصالته .

9) بتنظيم معارض للفنون التشكيلية ، واكتشاف المواهب في مجالها . فرغم حداثة عهدها بالمغرب طوت الفنون التشكيلية مراحل عديدة في ظرف وجيز بفضل المحاولات الانفرادية ، ففرضت وجودها وما زالت تبحث عن نفسها ، وعن شخصيتها المغربية الأصيلة ، متطلعة إلى المستقبل الزاهر لتؤدي رسالتها الانسانية على الوجه المطلوب .

وتشرف الوزارة على تنفيذ برنامج لنشر الفنون التشكيلية وتأصيل تذوقها ، وذلك على نطاق واسع يشمل :

1 ـ إقامة المعارض الجماعية والفردية في الداخل ، والمشاركة في المعارض والبينالات والمهرجانات العالمية والأسابيع الثقافية التي تنظمها مع الدول الشقيقة والصديقة .

ب ـ نشر الكتب والمجلات كمجلة الفنون

ج ـ نشر ملحقات في المجلات وطبع دلائل عن المعارض وتشجيع الجمعيات على تنظيم معارض تشكيلية مستمرة .

10 ـ بتشجيع الحركة المسرحية وأحسن مثال على ذلك ما يلقى مسرح محمد الخامس من دعم ومساندة من طرف الوزارة تجعله ينشط في كل موسم نشاطا ملحوظا تدل على ذلك الاحصائيات التالية التي نوردها مثلا :

38 عرضا مسرحيا في نطاق مهرجان المسرح العربي

22 عرضا عدا الاشتراكات

166 عرضا متنقلا

13 عرضا من الانتاج الدولي

9 عروض من المنوعات الأجنبية

8 حفلات باليه

12 فيلما عرض وفقا للمعاهدات الثقافية مع الدول الشقيقة والصديقة وقد حضر هذه العروض المختلفة 340 198 مشاهدا

وانه يكفي في الختام للتدليل على اتساع النشاط الثقافي بالمغرب وتعدده وتنوعه ان وزارة الدولة للشؤون الثقافية حققت خلال السنة الماضية (1978) ما يربو على 281 نشاطا يحتوي على :

48 محاضرة 38.عرضا لمسرح العرائس

23 عرضا مسرحيا ـ 66 حفلة موسيقية وفلكلورية

28 شريطا سينمائيا 75 معرضا للكتب والفنون التشكيلية والانتوغرافية

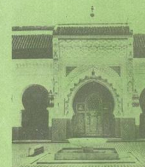
وتبلغ جملة المستفيدين من تلك الأنشطة 000 200 مشاهدا موزعين على 33 مدينة من مدن المغرب .

○ اطلال مدينة فولوبيليس (بوابة طنجة وقوس كاراكالا)

○ صحن جامع القرويين بفاس

○ مبارزة فرسان بالحراب (ام إشنة ، بالصحراء المغربية)







حديث مع الكاتب المغربي الأستاذ محمّد زنيبر

السؤال 1 : ما هي فى رأيكم أهم التيارات الفكرية فى المغرب اليوم ؟

جواب : موضوع يطول الحديث عنه لأنه يتصل بكل ميادين النشاط الفكري ، وبكل اختصار يمكننا أن نقول إن الفكر المغربى فى طور تحرك ومخاض ، وأنه متأثر إلى أقصى حد بالواقع المعاش ، وبالمشاكل المطروحة فى كل الميادين سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية . وهذا يعنى أن مطامح الفكر أصبحت كبيرة ومهمة ، إذ هو ، مثلا ، يهتم بالطفل وتربيته وتثقيفه ، كما يهتم بالمرأة كعضو فى المجتمع ظل دوره محصورا فى شؤون البيت طوال قرون ، وبالفلاح وسبل ترقيته الخ ...

بالطبع ، هنالك تيار تقليدى لا يلتفت إلى هاته المواضيع الجديدة ، ويركز اهتمامه فى التراث وما يتضمنه من مزايا وقد تحدث له اصطدامات مع الفكر التجديدى . ولكن بعض رجاله ، إذا انصرفوا إلى البحث المجرد يستطيعون أن يكونوا مفيدين . وأذكر هنا ، على سبيل المثال ، ما يقوم به الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله أو الأستاذ محمد المنونى . هنالك ، أيضا ، تيار آخر هو السلفية التى تحاول أن توفق بين الاسلام وحضارة العصر : وقد اختفى اليوم بعض رجاله المرموقين مثل محمد العربى العلوى والمختار السوسى وعلال الفاسى ، لكن ما زال لهم تلاميذ يواصلون عملهم . وما دمنا نتحدث عن الدين ، فلنشر إلى وجود نزعة جديدة يمكن أن نسميها « الاسلام التقدّمى » ومن أبرز رجاله الشاعر المغربى محمد الحبيب وكلا التيارين المذكورين مرتبطان بالحركة الوطنية والنضال التحريرى المغربى .

وهل أحتاج أن أقول إن اتصالنا بالثقافة الغربية أدى إلى ظهور تيارات فكرية جديدة كما هو الشأن فى تونس الشقيقة ؟ لقد كان هذا هو باب تجديد الفكر المغربى وتلقيحه بلقاحات تتفاوت من حيث الخصب والفعالية ، فكل المذاهب الفكرية السائدة اليوم بالعالم المتحضر عرفت طريقها إلى المثقف المغربى عن طريق الجامعة والكتاب والمجلة وكل وسائل الاعلام . وكان من الطبيعي أن يكون ترحيب هنا ، ورفض هنا ، ونقاش هنالك . لكن الملاحظة الأساسية هي أن هذا الاتصال بين الفكر المغربى الناشىء والثقافة الحديثة وما يتولد عنه من إنتاج جديد وردود فعل مختلفة هو الذى يستأثر اليوم بالأجيال الصاعدة من المثقفين . وفى هذا الاطار نستطيع [illegible] لا [illegible] مشكلة الأصالة والمعاصرة الحدة التى يكتسيها عند البعض ، بل لا يكاد تطرح بتاتا .

السؤال 2 : ما هو دور النخبة المثقفة فى حركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ؟

جواب : هنا أيضا ، مجال واسع للكلام ، ونستطيع أن نقول ان الأجيال الجديدة من المثقفين ، باستثناءات محدودة ، يعملون كلهم ، على اختلاف نزعاتهم وتخصصاتهم على مستوى التوعية العامة بمشاكل التخلف . ويكفى أن نلقى نظرة على الصحافة المغربية الجادة لنأخذ دلائل على التزام معظم المثقفين بمهمة التوعية . فالدعوة عامة ، إذن ، وأثرها يظهر باستمرار فى التحولات التى تطرأ على سلوك الناس وعقليتهم .

هنالك ، أيضا ، طائفة من المثقفين تتجه بحكم تخصصها إلى الاهتمام بمشاكل التخلف ، وأعنى بها الاقتصاديين والاجتماعيين والمنتمين لبعض الحقول من العلوم الانسانية ، فهؤلاء يدرسون مشاكل التخلف والتنمية على مستوى الدراسة والتنظير ، ولنذكر ، على سبيل المثال ، بعض الأسماء التى تميزت بجديتها فى الانتاج بهذا الميدان ، مثل محمد الحبابى وعبد العزيز بلال ، وفتح الله ولعلو ، والحبيب المالكي ، والعربي الجعيدى ، وعبد الله العروى الخ ... كما أن البرلمان المغربى كثيرا ما يشاهد تدخلات مهمة صادرة عن بعض النواب المثقفين فى موضوع التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وهذا لا ينبغى أن ينسينا طائفة أخرى من المثقفين الذين يعملون فى دواليب الادارة العمومية أو فى القطاع الشبيه بالعمومى أو فى القطاع الخاص ، إن هؤلاء المثقفين الذين يشتغلون فى صمت يكونون الاطارات التى يقوم عليها التخطيط والتسيير الاقتصاديان فى البلاد ، فعلى يدهم تجرى كل عمليات التطبيق والانجاز ، لكنهم ، بطبيعة الحال ، لا يستطيعون ان يتجاوزوا الوسائل الموضوعة رهن إشارتهم ، ولذلك فكثيرا ما يكون عملهم دون ما يطمحون إليه ويتصورونه على مستوى التخطيط النظرى .

لكن العنصر المهم الذى لا بد من تأكيده هو أن المثقف المغربى أصبح يدرك اليوم حقيقة التخلف ووسائل التغلب عليه ، وغنىّ عن البيان أن هذا عنصر إيجابى بالنسبة للمستقبل .

السؤال 3 : مكانة الفكر فى الواقع الوطنى المغربى اليوم

عند جوابنا على السؤال الأول ، ألمحنا إلى الارتباط القائم بين عدد من التيارات الفكرية والواقع الوطنى المغربى .

وما دمنا نتحدث عن الواقع الوطنى ، فلنشر إلى أن القضايا الوطنية ما زالت تشغل حيزا مهما فى الفكر المغربى حقا ، لقد كانت هى الشغل الشاغل أيام الكفاح ضد الاستعمار ، لكن

الاستقلال الذى حصلنا عليه منذ خمس وعشرين سنة ، بعد كفاح طويل ، لم يحل كل القضايا التي كانت قائمة مع الاستعمار ، وخاصة منها القضايا التي تتعلق بوحدة التراب الوطني . فنحن مقتنعون بناء على الحجج التاريخية الدامغة ، أن الاستعمار تلاعب بأرضنا ، حسب ما شاء له هواه واستغل ضعفنا ليفرض علينا قانون الغالب إزاء المغلوب . وهذا موضوع له حساسية قوية في ضمير كل مثقف مغربي يرفض أن يظل خاضعا لذلك القانون بعد أن أدبر عهد من أوحى به واتخذه شريعة . فالمسألة مسألة عدل ونزاهة . ولهذا نجد المثقفين المغاربة ، على اختلاف نزعاتهم ، تجمع بينهم رابطة الاجماع الصارم في مثل هاته القضايا الوطنية . والتاريخ الحالي الذي نجتاز منه والذي يقسم ، مع الأسف الشديد ، بين الاخوة في المغرب العربي ، يقدم أكثر من برهان على ذلك .

وهذا الموقف الوطني الذي يطبع سلوك المثقف المغربي ما كان ليتخذ كل هاته الصرامة لو لم تكن الحياة الفكرية عندنا متشبعة بعدد من المعطيات الراجعة إلى التاريخ والتراث . فالمثقفون المغاربة كلهم يشعرون بأن المغرب الأقصى يمثل أرضا وتاريخا . وهذا لا يتنافى مع شعورهم القوي الملح بحقيقة المغرب العربي وطموحهم إلى بنائه . فكلا الشعورين متكاملان وينزلان في خط واحد . إلا أن الأول يمثل الحقيقة المكتسبة ، بينما الثاني يمثل الأمل . ومن العناصر التي تغذي هذا الموقف الوطني اقتناع المغاربة بأن بلادهم قامت بأدوار تاريخية مهمة ، عبر العصور ، مثل المحاولات الأولى لبناء المغرب العربي على عهد المرابطين والموحدين ، ومثل الكفاح المتواصل من أجل المحافظة على دولة العرب في الأندلس . ومثل مواجهة الحملات الاستعمارية الأوروبية ، وخاصة منها الاسبانية والبرتغالية ، بصمود وشجاعة من القرن السادس عشر الميلادي ، كما بين ذلك المؤرخ شارل أندري جوليان في كتابه الأخير « المغرب الأقصى في مواجهة الأمبرياليات »

لكن هذا الموقف الوطني لا يتضمن عند الغالبية العظمى من المثقفين المغاربة أي مفهوم شوفيني أو انطواء إقليمي . بل إننا نعتبر أن المغربي أخ للجزائري وللتونسي والليبي والموريطاني . فينبغي أن تسود بينهم المساواة الصميمة والاخاء الحق ، وأن تكون بلادهم مفتوحة على بعضها حتى يتم الاتصال بين الجميع ، ويكون ذلك خطوة نحو تحقيق الوحدة المنشودة . هكذا ، على أي حال ، يفكر الكثير من المغاربة ويتمنون أن يجدوا أصداء مماثلة عند إخوانهم .

السؤال 4 : رسالة الجامعة المغربية في التطور الفكري والثقافي .

جواب : بالطبع ستكون رافدا آخر مهما للفكر المغربي . لقد لمسنا منذ لحظة كيف تغذي الوطنية ذلك الفكر . لكن الفكر المغربي أصبح يتسلح أكثر فأكثر بالمقاييس العلمية لمواجهة كل المشاكل المطروحة عليه . وهذا يعني تقلص كل ما هو من قبيل الخرافية والشعوذة . وهنا يبرز بكل وضوح دور الجامعة .

وأعني بذلك ، قبل كل شيء ، الجامعة العصرية . لأن لدينا ، أيضا ، جامعة تقليدية تتمثل في القرويين بفاس وبن يوسف بمراكش وعدد من المعاهد بمكناس وطنجة وتطوان الخ ...

ومهمة هاته الجامعة هي أن تحافظ على الدراسات الاسلامية في صورتها الأولى بالاعتماد على النصوص والمتون التي كانت متداولة في الماضي . وبرغم ما أدخل عليها من تجديد ، فإنها ما زالت تمثل مجدنا العلمي كما كان في سالف الأيام .

لكن الجامعة العصرية هي التي تقوم ، في الحقيقة ، بالدور الحاسم في تطوير التعليم وتجديد الفكر . وهي جامعة فتية رأت ميلادها بعد الاستقلال . لأن الفرنسيين كانوا ، أثناء عهد الحماية ، يمسكون بمقاليد التعليم العصري يخططون له ويوجهونه طبقا لأهوائهم ومصالحهم .

فكان دور الجامعة في عهد الاستقلال هو أن تبرز للوجود تعليما وطنيا محررا من كل الطفيليات والرواسب التي تخلفت عن عهد الاستعمار . والأهداف التي تسعى اليها متعددة نذكر منها :

- تعليم متحرر من كل التبعيات ، مرتكز على المقاييس العلمية الحديثة .

- ربط هذا التعليم بواقع البلاد ومتطلباتها حتى يكون منسجما مع تطورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

- تحقيق التعريب الشامل ، مع مراعاة الحاجة الملحة لتعلم اللغات الأجنبية .

- مغربة التعليم في أطره ومناهجه

إلى جانب هاته الأهداف التي تسعى الجامعة المغربية لتحقيقها ، لا ننسى أن نشير إلى دورين أساسيين تقوم بهما الجامعة :

1 - إنها هي التي تمد البلاد برجال التعليم ، فتكونهم وتوجههم إما بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة بحيث إن أثرها عميق في تكوين الأجيال الصاعدة من التلاميذ والشباب . وهي بالتالي ، عامل توحيد وربط على صعيد الوطن بكامله لأنها تعمل على إشاعة نفس المقاييس والمبادىء الفكرية في كل الجهات والأقاليم بالبلاد .

2 - إنها تدفع لتجديد البحث في شتى الميادين التي تهمنا من قريب . فهنالك أبحاث طريفة في القانون والاقتصاد والجغرافية والتاريخ والأدب والطب الخ ...

وكل هذا يزيدنا معرفة بأنفسنا وبمعطياتنا الخاصة . وقد ظهرت بعض الثمار الناضجة لهذا المجهود أصبحت بمثابة نماذج أمام الباحثين الجدد . لكن هذا العمل ما زال في طور البداية .

وما زال لم يصل بعد إلى مرحلة العطاء الكامل .

ولربما اعترض على بأننى متفائل أكثر مما يجب ، وأنا ، فى الواقع . لا أتناسى السلبيات والعيوب والأخطاء التى تكتنف ، بالضرورة ، كل الأعمال الانسانية . ولكن الذى يهمني أن أبينه هو أن هنالك إرادة جماعية قوية تقودنا لتجاوز تلك الأخطاء وفتح آفاق جديدة فى حياتنا الفكرية . فكل من احتك بمجتمعنا يلمس لدى أجيال الشباب الحالية رغبة ملحة فى التغيير والتقدم .

السؤال : **النخبة المثقفة المغربية وقضايا الثقافة العربية المعاصرة .**

جواب : لدى اعتراض صغير على كلمة نخبة لأن معظم المثقفين عندنا يرفضونها ، فهي تعزلهم عن الجماهير ، فى الوقت الذى يعملون على الاحتكاك بها والتعرف على مشاكلها ومطامحها . طبعا . إن المثقفين يكونون طائفة لها خصوصيتها داخل المجتمع ، باعتبار الدور الخاص الذى يقومون به ، والوسائل التى يستعملونها .

ولعل المثقفين المغاربة أرادوا أن يستفيدوا من التجربة التى مر منها إخوانهم المشارقة فهؤلاء ربما ...لوا فى فترات سابقة إلى أن يكونوا طبقة أرستوقراطية داخل المجتمع تحظى بألقاب تشريفية وامتيازات مادية ومعنوية . ويكفي أن نعود إلى ما قبل الخمسينات لنعثر على أكثر من ألف دليل على ذلك . ويكفي أن نذكر أسماء بعض الشعراء والكتاب لنتصور جوانب من تلك الأرستوقراطية الثقافية .

ولذلك فإن كثيرا من المثقفين المغاربة شعروا بما فى هذا الموقف من أنانية وسلبية ، فاتجهوا إلى البحث عن موقع آخر يكونون فيه أكثر فعالية وأقوى حضورا فى المجتمع . وهو موقع المواطن المتواضع الذى يضع نفسه فى مدرسة الشعب ، ولا يشعر بأى ميزة تميزه . إنه يعتبر نفسه قبل كل شيء ، كباحث . كمجتهد قد يصيب وقد يخطىء ولذلك فنحن أكثر ما نكون تهربا من فكرة الزعامة الثقافية التى كان لها شأن بالمشرق . إننا نرحب بالنبوغ ، بالتوسع فى العلم ، ولكننا نرفض أن نسدل أردية القطبانية على أى شخص مهما كانت درجته فى الذكاء والعلم . ونفضل أن نتنافس فيما بيننا ، سيما وأمامنا طريق ما زالت طويلة .

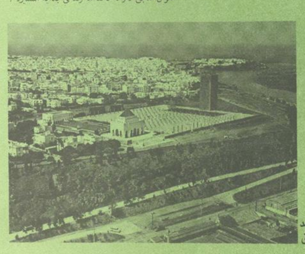
نعم . إننا نشعر بتقارب كبير مع الجيل الجديد من إخواننا المثقفين فى الشرق العربي لأنهم غيروا ، هم أيضا ، موقعهم وبدأوا يقومون بتقدهم الذاتي ، سائرين فى طريق الوعي والتوعية .

أما قضايا الثقافة العربية المعاصرة ، فنحن نميز فيها بين المشاكل الحقيقية والمشاكل المزيفة ، وما أكثر هاته الأخيرة ! وما أكثر المناقشات والصراعات التى تقوم حول نقط جزئية أو هامشية !

والمشاكل الحقيقية تكمن كلها فى تحقيق الانتاج المنشود : كيف نخرج من موقع التقليد إلى موقع الابتكار ؟ كيف نجد الصياغات التعبيرية المناسبة للغتنا ولمجتمعنا ؟ كيف يصطبغ إنتاجنا بصبغة مجتمعنا الصميمة ؟

كيف يصبح إنتاجنا يستثير الاهتمام العالمي ؟ ...

تلك هى الأسئلة الحقيقية التى أصبح عدد من المثقفين عندنا يطرحونها على أنفسهم . فهل انتقلوا من طور التساؤل إلى طور التطبيق ؟ سؤال سابق لأوانه لأننا ما زلنا فى بداية المسيرة .



○ منظر عام لمدينة الرباط يظهر فيه ضريح المرحوم محمد الخامس المشرف على القصبة الموحدية ، وعلى نهر أبي رقراق

السّؤال والجواب

أقصوصة : مبارك ربيع

الباب الحديدي الكبير مشرع على مصراعيه ، الأمر لله ، زقزقة العصافير شتتها الضحى في ارجاء الحديقة الفسيحة . تعاريج النقوش تنعكس على أرض البلاط الزجاجي كما ينعكس الظل في الماء . كل نفس ذائقة الموت . اعمدة الرخام الناصعة البياض منتصبة القوام في سكون مهيب . الحزن ولا حول ولا قوة الا بالله . وكيف تموت ؟ وكيف لا تموت كما نموت ؟ كلنا نموت . حتى الموت يموت . ومن يظن انها تموت ؟ بل من كان يظن ؟ بعض الظن اثم وما تعلم نفس ما تكسب غدا .. الأقدام رائحة غادية والخواطر . الله يتنزه في ملكه . الحاجّة كانت .. الحاجّة أعطت .. الحاجة أقامت .. فعلت جعلت ، أخذت دفعت .. البقاء للواحد الأحد ، وكانت عقلا ، وكانت لسانا ، وكانت قوة صوت ، وبلاغة ، وسطوة ، وسلطة ، ودربة ، ودراية . أكثر من رجل ؟ أكثر بكثير من جيش رجال ! الثروة تتكاثر والأموال والأملاك والأبناء والأحفاد والأصهار والأزواج حتى يظن المرء الظنون ، وأبسطها اعتقاده في لحظة ما ، أن الدنيا لا تتحرك الا به ، أو إلا وهو بها ، أو على الأقل لا تسير سيرها الطبيعي بفقدانه . ومن كان يظن انها تموت فيما هي فيه . حقا ان المرء يوشك ان يظن الظنون بنفسه ، ويتزوج احفادها والحفيدات دون ان تكف بدورها عن الزواج كأنها تسابقهم . تنافسهم تسايرهم وترضيهم ، تخنقهم وتغيظهم ، لا يهم . كلهم يحبونها أو على الأقل لا يكرهونها . ثروتها من السعة بحيث يرث من يشاء بغير حساب . ولم يكونوا بحاجة ماسة الى شيء من إرث . فلم لا يحبونها ولم يكرهونها ؟ العواطف الجميلة ربيبة السعة . أم لا ؟ لا يهم . ثلاثة أرباع قرن .

قرابة ذلك بين آخر زواج وأوله . لا يهم . المهم ان الموت هنا . أخيرا جاء دورها ومن كان يظن أن عليها دورًا في يوم ما بعد سلسلة أزواج ماتوا زهورا ، وظلت هي بعد كل ذلك تصول وتجول بالراحة والعافية . النسيان سلطان . والأمر لصاحب الأمر . قال الأسلاف : بعد واجبات الدفن ، القبر يجف والقلوب تجف . السلطان نسيان وسطوته الذكرى التي تمتلك ان تصبح باهتة وبدون انفعال . الأمر لله صاحب الأمر . لا تحرقوها بدموع البكاء . من كان يفكر ـ مجرد تفكير ـ في أن يحبها أو يكرهها ؟ وحدها كانت تمارس العواطف مختلف العواطف بجدية وقوة وسطوة ورزانة وثبات . او من كان يفكر بأنها تخطىء او تصيب ؟ لا تحرقوها ببكائكم . جعلتْ ، أعطتْ ، بَنَتْ ، أخذتْ .. لو تفرق الموت الواحد أو موت الواحد على الحشد المحتفل بموته لكان نصيب كل منهم لا يعد . شعرة ؟ قطمير ؟ قلامة ظفر ؟ أقل من ذلك كما يبدو من المئات المتحلقة في الأبهاء والغرف وزوايا الحديقة والأركان والساحات .. لم يكن نصيب واحد في الحشد من قسمة موتها ليتجاوز تنهيدة أو اقل . وليكن يساوي أكثر الأكثر . ليساوِ قنطرة من ذهب أو نهرا من لجين مذاب ، أو حصى رمل من حجر كريم ، أو قصرا ممردا من ثلج أخضر ... أكانت الحاجّة (عندما كانت) تعجز عن ثمن أيِ ثمن ؟ وأكثر بما كان يعجزها الحوار أو تخونها البلاغة والسطوة والدربة وذلاقة اللسان والترفع والتواضع . لتأخذ ما تشاء مما تشاء لا تشركوا بالله . الموت واحد . الموت كل الموت في كل مكان وزمان ولكل مخلوق . ولكن الحاجة عندما كانت ، ما كانت في الحق والواقع لتعجز في اي ثمن مهما كان لشيء تريده ، مؤكد ان الارادة هنا غير واردة والأمر لصاحب الأمر . ولم يدأب الناس ولا تواتر بينهم ان الموت يشترى ويباع وتستبدل الأعمار بالأموال والاثمان . اللهم لطفك على افكارنا الصغيرة لا عن نوايانا وافعالنا . اللهم لطفك على ألسنتنا . ولكن ما دفع للأطباء وما قاموا به من خوارق لحفظها بين الحياة والموت سنوات وشهورا وأياما وساعات فدقائق وثوان هو من قبيل ـ واللهم لطفك على افكارنا الصغيرة ... ـ دفع الثمن ضد الموت أو لتأخير الموت . فهل يعجز فاعل هذا عن ان يفكر لحظة ـ مجرد تفكير شيطاني نبرأ منه ـ في أن يموت غيره ويبقى هو مقابل ما لا يصدق من ثمن ؟ اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ... الخير كثير ممن لا داعي ابقائهم ممن يملكون كل المبررات ليسبقوا أمواتا لفقرهم او جهلهم او اجتثاث اصولهم أو مللهم ونفورهم من الدنيا وبلاهتهم او ما شئت غير ان يموت من هو في شأن الحاجّة . نستغفر ... ولا ننسى إذا جاء أجلهم .. أحبت الدنيا وكيف لا تحبها ؟ ماذا بذرت وماذا انفقت بروية ؟ ماذا أحسنت وماذا تعسفت وجمعت ظلما وظلاما ؟

خذ حبات رمل الشاطىء واضربها في متناثر نجوم الفلك وكواكبه تقترب من ثروتها عدا او تكاد ، ثروتها الجارية ، وجوه الصبح في البنات والحفيدات غمرت زينتها الدموع فمحت عنها حدود الألوان محيلة إياها صفرة باهتة . وعن املاكها الثابتة اخرج من هذا القصر المنيف ، انته من حدوده سيرا واختر أية جهة من الجهات الست عشرة او الاثنتين والثلاثين وابدأ بعد كل واحد من اثنين من كل ما تصادفه قائما ثابتا يمكن ان ينتسب لبشر يملكه ، حتى اذا انتهيت من جولتك بالمدينة كلها الى نقطة البدء ، فتمهل وانظر في شخصك من اخمص القدم الى قمة الرأس فستجد فيك على الأقل شيئا واحدا ملكها . لكل شيء نهاية والعمر محسوب . قد يكون هذا الشيء حذاء او زرا في معطف او قميص أو لونا في ربطة عنق او بذلة بكاملها او كل ما عليك مما تجوز ملكيته خلا الدم واللحم والعظم ، وكانت اتقن من عرف الحجاج واللجاج وسرعة اللسان الفطن . كانت ، جعلت ، أخذت ، أقامت . ماذا كانت تلبس ماذا كانت تأكل . ما الحرير والديباج وطعام الجنة ؟ لا تحرقوها بالدموع . الدموع راحة للباكي ونار محرقة على الميت ، كانت رحيمة والحق رحيم . لو أخذ ابن آدم بذنوبه لما كفت مياه الكون بأنهاره وأمطاره ومحيطاته لغسل سطر واحد من صحيفته الخطوات حزن والكلمات والجلاليب البيضاء والقفاطين المزركشة وانتظار ان تخرج الجنازة وتكريم الميت في التعجيل بدفنه والله رحيم . والجنازة لا تزال حيث هي في غرفتها والتعازي من شفة لشفة تكرر وتعيد والتعوذ والترحم والتسامح والاعتبار الذي لا يلبث ان ينسى كما تنسى مكانة الميت شيئا فشيئا مع جفاف قبره . لا تشترى الأعمار بل السعادة بل اسبابها الظاهرة . الجنازة في غرفتها مع الفقيه الكبير ، أفقه من عليها ، يلقنها أصول الجواب عن كل سؤال ، يلقنها ويكتب لها . فالميت يجب ان يلقن ، وخاصة في مكانتها ، والفقيه عارف كبير .

عاشت سعيدة تقية مؤمنة وكذلك ماتت واذكروا الأموات بخير والموت عظة واعتبار . لا بد من الحساب ، لا بد من الميزان والعقاب والصراط ، وهل يمكن أن يخاف على مثلها من شيء . اللهم لطفك على افكارنا الصغيرة والسنتنا . إنها أفقه من كل فقيه وأنجب من عليها . لا بد من الحساب . ومنذ الليلة الأولى يحل سيدنا إسرافيل صاحب الحساب ، تتلقاه نفحات الطيب وعبق البخور ، وتواضع الكفن الأبيض البسيط الممرغ في التراب ، وتمدد الهيكل الضعيف الخاضع المستسلم ، فلا يلتفت الى هذه المظاهر الكاذبة او التي يمكن ان تكون كاذبة لأنه مكلف بالكشف عن الحقيقة كل الحقيقة ، كامل الحقيقة . ويبدأ صاحب الحساب سؤاله مستفزا وبلا سلام ولا

تحية :

ـ لمن الجيفة النتنة ؟

ـ لعبد من عبيد الله . أنثى

ـ ماذا فعلت لدنياك ؟

ـ حرصي على النوافل

ـ ولآخرتك ؟

ـ شددت بطني بالحبال وكممت لساني عن القيل والقال .

ـ ماذا كنت تأكلين ؟

ـ عجين الشعير مغمسا بالرماد .

ـ ماذا كنت تشربين ؟

ـ المالح الساخن صيفا والقراح شتاء .



ـ ماذا كان يؤنسك ؟

ـ ذكر ربي ورحمته .

ـ وماذا كان يخيفك ؟

ـ عذابه وغضبه .

ـ ماذا كنت تملكين ؟

ـ ستر العورة .

ـ وما كنت تفترشين ؟

ـ طيب الفراش : التراب . وناعم الوساد : الصخر .

ـ ماذا تركت لأهلك ؟

ـ الأرض فراشا والسماء غطاء .

ـ السلام عليك الآن ايتها الروح المؤمنة الطاهرة .

ـ وعليك ازكى السلام ياملاك الله

ـ ما اسمك ونسبك في الدنيا ؟

ـ اسمى الحاجّة ... ونسبي ....

مبارك ربيع

الانخراط في أبجدية الذوبان

شعر : رابح التيجاني

(1)

تنفتح زنزانة الكلام
تبتلعني
اقف مشدوهـا
أرى رقما ولونا وندوبا تنبت في بدنـي ....
مطرقة تصرخ وتحملنـي ،
أسمع صمتا صاخبـا ،
حنجرة تنشـد :
(محكوم عليك ها هنا بالسجن
من بداية الزمن الى خاتمة الزمـن)

(2)

تنفتح زنزانة الكـلام
تبتلعنـي
أموت احيـانـا
تباكيني الحروف ، تحفر قبـرى
وتدفننـي
أعيش احيانا
أنادم صبايا الفرح والشجن ،
حنجرة تنشد :
(محكوم عليك هاهنا بالسجن
من بداية الزمن الى خاتمة الزمن)
أبكي وابكـي
أضحك واضحك
أرفع راسـي :
(افتحوا كل زنازن الكلام يا احبائي ،
لتبتلعنـي)

(3)

يقترب السجان منـي ،
أهرب ، يمسكنـي .

يقول :
(اخرج من هنا ،
اليوم مسموح لك ان تدخل كل السجون
ما عدا سجن الكلام)
انفلت .. يمسكني
(بمقتضى القانون نعفو عنك
أتسمعنـــــــي؟)
أبكي وابكي
أضحك واضحك
أسافر عبر امتداد الزمـــن
وافتح زنزانة الحـــرف . لتبتلعنـي .

4

اليوم ياتي طائر يزورنـــي
يطوف بالسجن ولا يبصرنـــــي
يعـرف جغرافية الزنزانة ، لكنه يجهلني
ابكـــي وابكـــي
اضحك واضحك
يسالني من انـــا .
يسالنـــــي
اقول لـــه :
(انت يا انت أنا ،
نحن جميعا ها هنـــا)
تنفتح الزنزانـــة
ادخل : . ويتبعنـي .
أبحث عن نفسي ولا اجدنـي
أبحث .. لا اجدنـي .
بيني وبيني وطنـي

5

تنفتح زنزانة الكلام . تبتلعني
أغرق في القصائد
أذوب في الضمائـــر
انعدم عشقـا ويبقـى وطني .

الرباط ـ المغرب

بصراحة مع أحمد طيب العلج :

حول هموم المسرح



○ **الممثل المغربي أحمد الطيب العلج في أحد أدواره المسرحية**

ـ المسرح أخذ وعطاء من الذات والنفس والأصالة
ـ المسرح هو فن الكلمة والكلمة تتفاعل وتهز الوجدان وهو فن ملتزم بقضايا الانسان .
ـ نحن نجرب ومسرحنا يبحث عن الهوية المسرحية المغربية
ـ التراث كنز لا ينفد وهو ضمان نبع جديد للمسرح
ـ ماذا قال أحمد طيب العلج في بداية حديثه لمجلة الحياة الثقافية

قال وألح على أن أشير الى هذه النقطة في بداية المقدمة ، قال بانه يتحدث بصراحة وقد تحدث بها فعلا . وكانت صراحة من موقع الشوق الى الافضل والاجمل .

أولا وقبل أن أتحدث عن المسرح المغربي أريد أن أشير الى أنني أرفض عادة اجراء هذا النوع من الحوار ذلك لأنه يقع دائما في مسائل تنظيرية وأنا فنان ممارس اعتقد أن الفنان الممارس يجب أن ينزوي ليترك المجال لاعماله كي تتحدث عنه ولكن والامر يتعلق بالمجلة الثقافية لوزارة الثقافة والامر يتعلق ايضا بمحاورة مع صحفي من القطر التونسي الشقيق الذي نعتز به كثيرا يجعلني ألبي شاكرا وبكل ممنونية هذه الدعوة لاجيب على هذه الاسئلة ...

س ـ من هو أحمد طيب العلج ؟

ج ـ أحمد طيب العلج بكل بساطة واحد من عشاق فن المسرح . لم تتح لي الظروف وأنا صغير كي أتعلم . كنت نجارا وصمت ذات يوم بالجهل فرفضت أن أستمر في عمل النجارة وأخذت أقرأ بمفردي الى أن تعلمت ، قرأت الكثير من المسرحيات وكنت في كل هذه المرحلة أواصل العشق والحب لهذا الفن الذي تملك على مشاعري ، وفن المسرح أخذته من الحلقة ، اخذته من الناس ، واخذته من كل حركات الانسان المغربي فلا اعتقد أن هذا الانسان ممثل بطبيعته . هذا أنا والعفو من هذه الأنا ـ بكل بساطة . ليس لدي رصيد ثقافي زاخر بالشهادات ، لا أملك الا تجربتي وممارستي وحبي وعشقي للفن المسرحي .

س ـ أحمد الطيب العلج ، من رواد الحركة المسرحية بالمغرب الشقيق فهل يمكن ان يحدثنا عن هذه الحركة عموما وكيف حالها ؟

ج ـ لا أعتقد ان الحركة المسرحية في المغرب تختلف عن الحركات المسرحية في العالم العربي . بدأت حركة ازدهار المسرح في المغرب مع بداية حركة الازدهار المسرحية في تونس والجزائر ابان المسرح التحريضي . المسرح الذي كان يحرض على المقاومة والذي يتغنى بمثل الحرية والاستقلال . في هذا الجو ظهرت المواهب والكفاءات منها من واصل المسيرة الى ما بعد الاستقلال ومنها من جنحت به ظروف الحياة فتخلى عن المسرح ...

على كل فمسرحنا مر عبر حياته القصيرة بمراحل مختلفة والمسرح في العالم العربي هو فن جديد وان كنا نحن في المغرب نعتقد ان المسرح فن اصيل عندنا ولكن يبقى دائما المسرح بمفهومه العصري وتقنياته الحديثة هو غير هذا الذي عرفناه .

لما جاء الاستقلال وتجاوزنا مرحلة المسرح التحريضي او المسرح التوجيهي أو المسرح الخطابي أخذنا نتجه الى المسرح كعمل فكري وللفرجة كعمل للفن ، مررنا بكل تجاربنا في المسرح بالمغرب بمراحل عديدة ، اقتبسنا وتعلمنا في مدارس الاقتباس ولكننا لم نقتصر على مؤلف واحد ومدرسة واحدة من حسن حظنا جئنا في فترة كان فيها المسرح في صراع بين القديم والحديث فلم ندخل نحن في هذا الصراع ولم نتحزب لنوع دون الآخر بل انطلقنا من « موليير » وانتهينا عند « ماريفو » و « ساموئيل بيكيت » مرورا بكل الاسماء اللامعة في المسرح العالمي اقتباسا ثم اتجهنا الى محاولات التأصيل بمعنى ان نأخذ الفكرة من مسرحية عالمية ونغرسها في التربة المغربية ونؤصلها فتأتي وكأنها منا والينا ، وبعد ذلك تجاوزنا هذه المرحلة وينبغي أن تكون هي أيضا مرحلة متجاوزة الى مرحلة البحث عن الهوية المسرحية المغربية لتسهم بدورنا في كل البحوث التي تجرى في العالم العربي للبحث في الهوية العربية ، فرجعنا الى التراث واقتبسنا منه وحاولنا أن نربط من خلاله بين الحاضر والماضي ...

الحركة المسرحية فكريا لا تزال في هذا الاطار والكفاءات الواحدة كثيرة ولكن الظروف الراهنة لا تسمح لنا بالانطلاق او عرض كل التجارب ولعلكم تعرفون ظروف العالم العربي . لسنا وحدنا في هذه المشكلة ، كلنا في مشاكل المسرح وان كنا نحن في المغرب العربي وجدنا على الضفة الغربية من هذا العالم العربي ولكننا نعاني من كل ما يعانيه المسرح في العالم العربي الآن من ظاهرة الركود والاستمرار في الحديث عن هذا الركود وأسباب هذا الركود لا تعنينا الآن ...

س ـ قال أحد النقاد العرب : « ان جميع محاولات المسرح المغربي يعوزها ان تضرب اكثر فأكثر في التربة المغربية المسرحية وتمد فيها جذورا أقوى وتتقدم بمحاولات أشجع لربط ارث الجماهير القصصي والدرامي بفن المسرح » هل لكم ما تقولونه في هذا الموضوع ؟

ج ـ الشيء الذي أحب أن أؤكده هنا هو أن كلمة ناقد مسرحي فيها كثير من التجاوز ، عندنا أناس يكتبون انطباعات وليسوا نقادا مسرحيين ، أقول هذا وأنا مؤمن أشد الايمان بما أقول ثم هذه الاحكام الجائرة التي ألفنا أن نقرأها في جل صحفنا ولا أقول الكل فهناك من يكتب انطباعات في مستوى النقد ، لا أقول النقد ولكن في مستوى النقد .. أن الناقد المسرحي

المتخصص الدارس المتقطع لا وجود له عندنا في العالم العربي الاّ قلة قليلة نادرة وما هذه الاحكام الا انطباعات تبقى هناك قضيته وهو أن المسرح المغربي جزء من المسرح العربي ينبغي له ان يضرب في جذور الارض لكي يسهم في خلق الهوية العربية المسرحية ذلك اننا نستطيع ان نقول : نحن العرب أخذنا من المسرح العربي والعالمي بما فيه الكفاية واعتقد انه آن لنا ان نعطي اعتبارا بأن المسرح يقوم على اخذ وعطاء ، أخذنا بما فيه الكفاية فيجب أن نعطي واذا أردنا أن نعطي شيئا من ذاتنا ، من أنفسنا ، من أصالتنا فلن يتأتى لنا ذلك الا بالرجوع الى الضرب في غور الارث الثقافي والقصصي الذي يزخر به بلدنا والمغرب هو جزء من هذا العالم العربي ، ونحن نسير في هذه الطريق فكل التجارب التي أعرفها هي متجهة في هذا المنحى ، نكتب من القصص الشعبية سواء ما يقدم عندنا في المغرب أوما يقدم في المشرق أوما يقدم عندكم في تونس أوما يقدم في كل البلدان العربية الآن ، لنا الوعي كل الوعي لكن المران مازال ينقصنا ، ان الذين يكتبون المسرحية في العالم الآخر من ورائهم أجيال من التقاليد ، من التاريخ ، نحن الآن نحاول ان نؤصل المسرح ليصبح جزءا من ثقافتنا وعندما يصبح المسرح جزءا من ثقافتنا ، من وجودنا ، من غذائنا الفكري ، نستطيع أن نثبت ذاتنا فيه ، ان نحقق هويتنا ، أن نعطي للناس نبعا جديدا والعالم ينتظر منا هذا النبع الجديد . لقد استهلكت كل المدارس ولم يبق امام المسرح العالمي الا نبع واحد هو النبع العربي ...

النبع العربي وهذه مقولة ازعم لنفسي الزيادة فيها ولكني اذكر ضمن حوار مع المخرج الفرنسي « جان ماري سيرو » قبل أن يتوفى . جمعتني الظروف به في الحمامات بتونس وتحدثت له عن احدى مسرحياتي المستقاة من التراث الشعبي ، نبهني الى اننا نحن العرب نستطيع أن نترجم ما عندنا من كنوز في القصص الى مسرح بكل معنى الكتابة المسرحية وكنا نتحدث عن تجربة « كاتب ياسين » في غبار للاعين ، كان يتحدث عنها ويقيمها فكريا ولكن تحدث عن بنائها الدرامي ، عن مسرحية الفكر فقال اننا نحن العرب عندما نستطيع ان نترجم تراثنا الى مسرح بلغات اجنبية من غير أن تفقد تلك الترجمات الملح ، الشخصية ، الدقائق ، ودقائق الامور في المسرح ، في ذلك الحين نستطيع أن نقدم نبعا جديدا للمسرح في العالم ، والعالم لا ينتظر الآن لان المؤلف المسرحي ليس ازمة عربية فقط ...

لا نستطيع في هذا الركام من الاسماء ومن الاشخاص ومن الشعراء ان نجد أكثر من مؤلف أو مؤلفين أو ثلاثة ، أناس يكتبون وأرجلهم فوق الخشبة يعرفون ما يقدم فوق الخشبة وما يقدم على الاريكة ويقرأ عليها فان كانت الأزمة أمرا واقعا بالنسبة للمسرح العربي وبالنسبة للمسرح العالمي ووراءه قرون من التجارب والتقاليد فكيف نتجرأ ونحن في بداية الطريق يجب الا يغيب عن اذهان كل من يمارسون النقد أو يهوون النقد اننا ما زلنا هواة نبحث ونجرب .

س ـ من هموم المسرح قلة رجاله بين الكتاب مما تسبب في قلة النص الجيد وكثرة الاعتماد على الاقتباس والتعريب ، هل صحيح هذا الكلام ؟

ج ـ اعتقد أنني أجبت عن هذا السؤال قبل ابانه ولكن احب أن أقف وقفة قصيرة عند الاقتباس أنا لا أرى في الاقتباس غضاضة أو حرجا بالعكس الاقتباس ممارسة تخضع لسنة الخلق ، الاقتباس خلق ثان ، هناك من ينكرون الاقتباس ولكنهم ينتحلون اشياء الناس [illegible] محاولة التأليف يطمسون بعض الافكار ويغيرون بعض الاسماء وبعض المواقف ويشكلون مسرحيات عالمية [illegible] مؤلفها لانهم يخشون من النقاد أو اشباه النقاد كي يقولوا كفى اقتباسا وكفى . لا هناك من يعتقد أننا تجاوزنا مرحلة الاقتباس وأنا اعتقد أننا في حاجة الى أن نقتبس الى أن نترجم الى أن نعرب الى ان نؤصل ولكن لأن نكون أيضا أمناء اذا اقتبسنا أو كتبنا عن أفكار غيرنا ، يجب أن نشير الى المستقى الذي استقينا منه ، يجب أن نشير الى المنابع .

س ـ رأيكم في العمل المسرحي المعاصر لقضايا التراث ؟

ج ـ أنا لا أتجه لقضايا التراث من مواقف مفلسفة وانما أحب أن اتجه لقضايا التراث من منطلق شعبي بسيط . التراث في رأيي أن القصة أو الحكاية أو الخرافة أو الاسطورة التي استطاعت أن تصمد وأن تحيا وأن تبقى متداولة وغير مكتوبة بين الناس لمدة طويلة مغرقة في القدم تصل احيانا الى آلاف السنين ، هذه القصص يجب أن نكتبها وأن نعيد فيها النظر لكي نبقى نحن من خلالها لانها استطاعت ان تبقى لانها تستجيب لقضايا الانسان ، القصة التي تدون ، تتداول بين الناس من غير أن تدون وتحفظ ويرويها هذا لهذا ، دليل على ان لها شيئا يمس الناس يمس جوهر الانسان يمس قضايا الناس ، القضايا المعاشية الحياتية اليومية الآتية ، القصص والحكايات صالحة لكل زمان ومكان ولكل انسان حيث ما وجد الانسان ، من هذا المنطلق البسيط أرى انه ينبغي ان نتناول التراث ، من غير أن نفلسف الاشياء او أن نبحث في الشقشقات الكلامية وفي التنظيرات التي ليس من ورائها الا نوع من الشعوذات الذهنية .

س ـ هناك من يكتب للمسرح من وحي باب الكتب وفي جو المكتبة وهناك من يكتب له من وحي الباب الخلقي للمسرح ومن هموم العرض ومن الحاجة الى الفرجة . من أي باب يكتب احمد طيب العلج أو يقبل الكتابات ؟

ج ـ من باب الركح ، اكتب ورجلي فوق الخشبة وينبغي أن أشير هنا الى نقطة هامة جدا . لقد وضعتني الظروف العملية أمام امتحانات جد عسيرة ، عندما كنت مضطرا في بعض الاحيان لان أكون أنا المؤلف وأنا الممثل وأنا المخرج وهذه تجربة قد تلد وفيها كل مظاهر الانانية ولكنها مع ذلك تجربة ايجابية ذلك ان الانسان الذي يكتب ليس هو الانسان الذي يمثل والانسان الذي يمثل ليس هو الانسان الذي يخرج فالتجارب والامتحانات العسيرة هي أنني عندما اكتب أسهم وعندما أخرج اقتصر وعندما أمثل أبحث عن الكلمة التي لا يضيق بها الممثل فوق الخشبة هذه الازدواجية المثلثة جعلتني أصل في حدود ما الى كتابة الفقرة المسرحية الصالحة للخشبة في رايي من هذا المنطلق أكتب للمسرح أو أحاول الكتابة للمسرح ولا أدعي الزيادة فكل عملي ليس الا تجارب .

س ـ أحمد طيب العلج قريب الى الجمهور الاذاعي والمسرحي بحكم تجربته المهمة في عالم المسرح فالى اي مدى ساهم المسرح في نقد القضايا الاجتماعية والتغيير الاجتماعي ؟

ج ـ مما لا شك فيه أن المسرح هو فن الكلمة والكلمة اذا صدرت من القلب لا تضل طريقها الى القلب وعندما تصدر كلماتنا من القلب تكون حتما قد تفاعلت بالوجدان والعواطف والعقل أحيانا ، عندما ننقل كلماتنا الى الناس نعمل في حساباتنا قضايا الناس ، فالمسرح ليس مدرسة وليس منبرا للوعظ ولكنه مع ذلك فن ملتزم بقضايا الانسان فعندما نقدم صورا ، عندما نقدم الانسان الرديء من غير أن نقول أن هذا

الانسان رديء نقدمه رديئا بأفعاله . بتصرفاته . بمواقفه . بذهنه . بعقليته . نكون قد أعطينا للناس صورة للانسان الرديء .

ان المسرح ملتزم احببنا ام كرهنا ولكن يجب أن ننتبه الى أمر هام جدا فالمسرح فن وفن فرجة . ينبغي ان يكون مشحونا بالالتزام ولا ينبغي أن يكون منبرا للوعظ والنصائح الرخيصة الجاهزة المسرح هو فن الصور فن الحركة الانسانية والعرب قالوا قديما رب اشارة أبلغ في كتاب والمسرح عندما يفتقد الحركة والاشارة والفن لا يبقى مسرحا في نظري . حتى المسرح التحريضي المفرط في التحريض ينبغي ان لا يخفي الفن والرمز والاشارة .

س ـ ضعف النص العربي ساعد على ظهور مشكلة معروفة في الحياة المسرحية وهي قضية النزاع بين المؤلف والمخرج . هل تعتقدون فعلا في وجود مثل هذه المشكلة وايهما اهم ؟

ج ـ مما لا شك فيه ان المسرح هو فن الكلمة والكلمة اذا صدرت من القلب لا تضل طريقها الى القلب وعندما تصدر كلماتنا من القلب تكون حتما قد تفاعلت بالوجدان والعواطف والعقل أحيانا . عندما ننقل كلماتنا الى الناس نعمل في حساباتنا قضايا الناس . فالمسرح ليس مدرسة وليس منبرا للوعظ مع ذلك فن ملتزم بقضايا الانسان فعندما نقدم صورا . عندما نقدم الانسان الرديء من غير أن نقول أن هذا الانسان رديء ولكن نقدمه رديئا بأفعاله . بتصرفاته

ج ـ مشكلة النص المسرحي كما أسلفت مشكلة عالمية ولنا في المغرب مثل علمي يقول : من احتقر رأس ماله أكله . لا ينبغي ان نكون نحن العرب متشائمين فقد ظهرت بعض المحاولات الجادة في البحث لا عن الهوية فقط ولكن في البحث عن المسرحية العربية العالمية المتكاملة التي يمكن أن تقدم في كل المسارح العالمية وبكل افتخار . نحن طبعا نشترك كمسرحيين في ازمة هي ازمة المؤلف المسرحي الموجودة على صعيد العالم . فعبر كثير من الاسماء والمسرحيات لا نجد خلال أربعمائة عام الا شكسبير واحد وموليار واحد .

المؤلف المسرحي يجب أن يكون واضحا عندنا نحن العرب انه شيء نادر . وليس كل من يكتب الحوار ومحاورة بين رجلين او اثنين او ثلاثة هو مؤلف مسرحي . المؤلف المسرحي شيء نادر وعندما يأتي . نكون أو لا نكون ؟ هناك مؤلف مسرحي أو ليس هناك مؤلف مسرحي ؟ الصراع بين الذي يحاول في الكتابة المسرحية والمؤلف المسرحي والمخرج هو صراع ازلي . قديم بقدم المسرح . جديد بكل ما قد يطرأ من مبدعات ومبتكرات خاصة بالفنون المسرحية الحديثة .

في رأيي ونحن نتكلم عن الاهمية بين المؤلف والمخرج هو أن هذا الأخير مؤلف ثان وينبغي أن تعطى له الفرصة في الخلق والابداع ومنطلق المخرج يكون في الغالب وجيها سليما . صحيحا لانه يلقى في اعتباره الناس ويبحث باستمرار عن ردة الفعل عند الناس .

س ـ هل يعتقد أحمد طيب العلج أن المسرح الذهني لتوفيق الحكيم هو مسرح خشبة ؟

ج ـ ليس بمسرح ذهني بالمعنى المطلق . ففي تجربة الحكيم بعض المشاهد وبعض المسرحيات الصالحة للعرض المسرحي . أنا شخصيا أعيب على توفيق الحكيم عدم انزوائه وهو يحور أو يدرج الحوار بين أشخاص مسرحياته . وهذه الظاهرة موجودة بشكل ملحوظ في مسرحيته الكبيرة (أهل الكهف) . عندما نستمع الى مرنوش وعليخا وميشيلينيا أو الملك نفسه يتحدث . نجد أن كل الاشخاص يتحدثون بلغة توفيق الحكيم فهو لا ينزوي ليجعل أشخاصه تتحدث بألسنتها . بعقليتها . بذهنيتها المستقلة بمفرداتها اللغوية . نحن نتحدث فقاموس استعمالاتي اللغوية ليس هو القاموس الذي تستعمله أنت . قطعا فاذا اجتمعنا ثلاثة أناس أو أربعة أناس لكل عقليته ولكل حدوده الفكرية والثقافية والبيئية . يعني أن الكلمة أو الفقرة على لسان الممثل تحدد موقعه من المجتمع الى أي طبقة ينتمي . تحدد موقعه الفكري . تحدد مستواه الثقافي ومن هنا جاءت صعوبة التأليف المسرحي . على كل تجربة الحكيم ليست سالبة بالمعنى المطلق وليست موجبة بالمعنى المطلق . انها تجربة ستدوم رائدة في العالم العربي بصفته من الرواد الاول . ولكنها تجربة لها ما لها وعليها ما عليها ككل التجارب . وكما أسلفت نحن نجرب ولسنا في ميدان المسرح الا هواة . ليس من ورائنا خلفيات أو تقاليد أو أشياء تجعلنا نقف . بل نحن الآن نكوّن البنية الاولى للجيل الآتي والأجيال الموالية .

س ـ رأيكم في مسرح الناس أو الشارع وهل تعتقدون أنه وصل الى قلوب الناس وعقولهم من أوسع سبيل ؟ الطيب الصديقي مثلا ؟

ج ـ هذه تجربة في رأيي لم تستمر والعامل الذي قدم بعض الأعمال وانزوى لا يمكن الحكم له أو عليه ولكن تبقى هناك الفكرة .

الفكرة هي فكرة رائدة ولا شك ولا يخفى عليك أن المال هو قوام الأعمال . هذه التجربة كان يمكن أن تكون ناجحة وايجابية لو انها استمرت أو لو أنها وجدت الرعاية لكي تستمر . على كل لم تكن تجربة سلبية في رأيي ولكنها أيضا لم تكن تجربة ناجحة نظرا لانها لم تجد الرعاية الكافية حتى نعلم ما لها وما عليها .

س ـ هل لأحمد الطيب العلج ما يقول في المسرح التونسي ؟

ج ـ المسرح التونسي هو كشقيقه المسرح المغربي أو المسرح العربي عامة . عندما ذهب الطيب الصديقي الى دمشق وقدم « بديع الزمان الهمذاني » خلف أثرا كبيرا وضجة كبرى من تجربته الرائدة . وسنتان بعد ذلك ذهبت أنا وقدمت مسرحية « النشبة » وأحرزت على وسام الاستحقاق الفكري وهو أعلى وسام على هذه المسرحية وحصلت على جوائز للنقاد وحصلت على ملف للصحافة لا أعتقد أنني مسبوق إليه أو بالظفر بمثل أهميته مثل هذا الملف . وسنتان بعد ذلك ذهب المنصف السويسي وقدم « ثورة الزنج » فحصل على ضجة وحصل على نفس التكريم ونفس الاكبار وهذا يدل على أننا نتكامل . تجربتنا وتجربتكم من خلال اللقاءات التي تمت في المنستير وفي قرطاج وفي تونس العاصمة وفي كل المدن التونسية . والفرق التي جاءت ابان المرحوم الفنان علي بن عياد وكل ما قدم المسرحيون هناك في تونس أو هنا في المغرب دل على أن هناك تقاربا ونحن ننتمي الى مدرسة واحدة . ننتمي لنفس التجارب ولنا عقلية واحدة . نحن المغاربة واقعيون وهنا أجمع المغرب العربي برمته . فعلى كل حال تجاربنا في تونس وفي الجزائر وفي المغرب تجارب في مستوى كل التجارب التي قدمت في العالم العربي على رغم تفاوت المسافة في البدء . لقد انطلقوا قبلنا وعلى رغم أنهم كانوا يرعون المسرح أكثر من الرعاية التي نحظى بها نحن في تونس وفي المغرب . المسرح ما زال لا يحظى بالرعاية الكافية ومع ذلك فان كل التجارب التي شاهدت في تونس ـ وهذه حقيقة ـ تجارب ناضجة وفيها الواعد وفيها المتفوق وتونس نفسها مرت بنفس التجارب التي مر بها المسرح في المغرب . عرفت كل التيارات . كل التجارب . الانسان المسرحي التونسي . إنسان منفتح .

انسان مثقف . انسان مبهر اذا قدم ومبهر اذا تكلم . لأنني أحب أن أشير هنا إلى أن هناك من يتكلمون ويتكلمون جدا .

س ـ مثلا ؟

ج ـ لا تحرجني أرجوك . هناك من يتكلمون عن المسرح ويتكلمون جيدا ويتكلمون نظريا بأفكار راقية عالية ولكنهم عندما يطبقون أو عندما يقدمون المسرح على الخشبة . نجد الفرق شاسعا بين ما يقولون وبين ما يعملون . لاننا نحن في المغرب قد لا نتكلم جيدا . ولكننا عندما نقدم أعمالا مسرحية نترك أعمالنا تتحدث عنا .

س ـ من حيث التأليف عزالدين المدني ومن حيث الاخراج المنصف السويسي

ج ـ انهما في مستوى القمة بالنسبة للعالم العربي . السويسي مخرج من المخرجين الكبار في العالم العربي في مستوى الطيب الصديقي . انا أعتقد أن الطيب الصديقي . لا أقول هذا بصفتي مغربي . ولكن أقول هذا بصفتي مسرحي . أعتقد أنه من كبار المخرجين المبتكرين في العالم العربي . مخرج ألمعي كبير . عيبه أن مطلعه الغرب . هو شمس لكنه لم يشرق من الشرق بل من المغرب .

عز الدين المدني مسرحي كبير وأعماله تتحدث بهذا وهناك تجارب أخرى في تونس . هناك الجودي . محمد ادريس . سمير العيادي . محسن بن عبد الله . هناك المرحوم علي بن عياد . كان مخرجا رائدا وممثلا بارعا . هناك تجارب سي مصطفى الفارسي والمساهمات الجادة والناضجة للاستاذ حسن الزمرلي . هناك في تونس أسماء مسرحية كبيرة وكبيرة جدا نفتخر بها نحن في المغرب . بل في المغرب العربي كله . على كل حال اذا كنت تريدني أن أقول شيئا إضافيا عن تجربة المسرح التونسي فهي تشابه تجربتنا الى حد كبير . وهي بمثابة المحك بالنسبة لنا . عندما نذهب عندكم الى تونس ونقدم عملنا ونناقش بكل حرية . وأحب أن أتحدث عن النقاشات المسرحية التونسية المغربية التي كانت تتسم دائما بالصراحة والنضج والوعي في البحث عن ما هو أحسن . نحن نذهب الى تونس لنفيد ونستفيد . لنأخذ ونعطي والاخوان التونسيون عندما يأتون هنا ويقدمون بضاعتهم الفنية يكون في اعتبارهم انهم يأخذون ويعطون وعلى هذا الأساس قامت علاقاتنا بالمسرح التونسي . لذا أقول أن تجاربنامتشابهة .

س ـ قال أحد النقاد العرب : «ان فكرة المسرح أخذت تشق لنفسها طريقا إلى نفوس الناس ووجدانهم وفي هذا ضمان معقول لمستقبل المسرح فليس هناك مسرح بلا ناس » .. ما هو رأيكم في هذا الحكم وفي مستقبل المسرح بالمغرب الشقيق وبالبلاد العربية عامة ؟

ج ـ انا مع هذا الرأي لكن لست مع عبارة « أخذ يتجه للناس » . لا أوافق على هذا الرأي لان المسرح متجه فعلا الى الناس وخصوصا في المغرب العربي لأن سي عبد الرحمان المجدوب وهو شاعر شعبي كان يجوب أطراف المغرب العربي . من تونس الى الساقية الحمراء وعبيدة العمر وفن الأصالة والمسيحيين والحلايقية . عندنا هنا موجودون وكذلك في الجزائر وفي تونس . نحن عرفنا المسرح ولكن لم نعرفه بمفهومه وتقنيته الحديثة . وأريد أن أوضح نقطة هامة جدا : تحدث الناس عن البساط المغربي ويعنون به « مسرح » ولكن هناك نقطة هامة جدا هي أن البساط في المغرب هو « مسرح » ويقصد به أيضا المكان الذي يقدم فيه المسرح فكان الملوك المغاربة يبنون ساحة عمومية في القصر يطلق عليها اسم البساط ويقدم فيها البساط والبسط هو التمثيل . اذن عرفنا المسرح بمفهومه العصري ولكن المرتجل الشيء الذي يشبه لحد ما (كوميديا دي لارتي) . بحيث أن الاشخاص عندنا أشخاص قارة كبنطلون وسكابان . نحن عندنا عنتر واديدان والرطل ونصف الرطل والفول . كان هؤلاء يرتجلون . يتوافقون على موضوع ما ويرتجلون في هذا الموضوع . المسرح في العالم العربي بالخصوص والمغرب العربي متجه الى الناس منذ الازل والناس يتجهون اليه دائما وسيتجهون اليه باستمرار ولا تنقصنا في المسرح المغربي الكامل الا الرعاية . الرعاية الناضجة . المخلصة التي تريد أن تحتضن ولا أن تدجن . الرعاية التي تعرف ما لها وما عليها . أما جمهورنا فهو جمهور موجود وكائن وحاضر ومجيب . جمهورنا يعرف الغث من السمين . ثم أن هناك أمر هام جدا هو أن ردة الفعل لدى جمهورنا هي ردة فعل مسرحية وليست ردة الفعل لجمهور كرة القدم .



○ مكناس ـ باب المنصور

ملامح من الفن التشكيلي المغربي :

الرسّامة شعايبية طلال



ولدت سنة 1929 ببلدة شتوكة بمنطقة الدار البيضاء . ترعرعت في الريف وتعلمت وهي صغيرة كيف تنسج الصوف وتغزله مما مكنها عندما كبرت من الارتزاق من عملها في خدمة الصوف وبالسهرة على تنشئة ولدها الوحيد الذي رزقت به مباشرة بعد وفاة زوجها . لم تعرف شعايبية ابدا المدرسة ولم تتعلم لا القراءة ولا الكتابة .. في السنوات الأخيرة وبحكم متطلبات المهنة والاتصالات شرعت في تعلم القراءة والكتابة .

سنة 1965 انطلقت شعايبية طلال واكتشفت ان لها موهبة من عند الله .. الفنان أحمد الشرقاوي كان أول من شجعها على السير على منوال الفن والرسم ومنذ ذلك الحين صبت كل عنايتها على الفن ..

شعايبية انسانة عصامية تتحدث بكثرة العربية .. اللغة العامية .. الفرنسية انها ترسم عالما داخليا باكمله تضفي عليه من قوتها واصالتها الكثير

شعايبية طلال تتحدث عما ما ترسم

شعايبية ترسم عالما كله قوة وأصالة

* الفن نعمة من الحياة وعطاء مستمر

* اللوحة الحقيقية تعبير صحيح عن حس الفنان

* الفنانة هي التي تحتضن الكون بصدقها الفني وبساطتها في التركيب وصفاء نظرتها

لم يسبق لي من قبل ان دخلت محلا لرجل من رجالات الرسم او النحت او النقش وقد اسعفني الحظ هذه المرة لأن ادخل في مدينة الدار البيضاء دار رسامة طبقت شهرتها الآفاق لاجراء حديث صحفي معها حول ما ترسم وحول الفن الذي تختص به عن غيرها من الفنانات في بلادها وجدتني في شبه حديقة تشبه « البلفدير » عندنا في تونس . تخللتها عشرات اللوحات الصغيرة منها والكبيرة التي لم تتوان رسامتنا البشوشة في اعطائي مدلولها ولماذا اختارت هذا اللون على الآخر ...

دخلت قاعة الاستقبال وكانت الجدران الأربعة لا اكثر مزوقة بفرشاتها ورسمت مراكش والحمام وعيد الفطر والمنجمة او « الشوافة » كما يقول المغاربة ، جئت الى الدار البيضاء بنية اقتلاع استجواب مع الفنانة شعايبية طلال لكنني لم انجح ولعل في « فشلي » هذا ما عاد علي بالنفع بعد ما تمكنت بعد ساعة ونصف الساعة من الحديث مع شعايبية من الخروج بحوصلة مفيدة ومتعة ... بين الصحفي والشعايبية لا تجد الأسئلة الجاهزة مكانها وقد تفطنت لهذا الأمر فتركتها تتكلم عما يجول بكل خواطرها على ان اتدخل احيانا لحصر الموضوع .

الموضوع .

ماذا قالت الشعايبية إذن ؟

قالت انها ترسم الشمس ، الفلاحة ، الخضرة ،

قالت انها ترسم منذ خمسة عشر عاما بالريشة والفن موهبة من عند الله .. اين عرضت ؟ عرضت في كثير من المتاحف العالمية ، في الدار البيضاء ، في القاعة الوطنية بباب الرواح ، ومراكش وفاس وطنجة وتعتزم العرض في تونس .

الفن بالنسبة للشعايبية طلال نعمة من الحياة « الفنان امام لوحته يرسم حياة جديدة تشبه ينابيع المياه . »

الشعايبية تقضي يومها بين ممارسة الرياضة والصلوات والرسم واستقبال الضيوف المتوافدين بكثرة على منزلها الهائل ..

الشعايبية تقول ان الفنان هو بمثابة عامل البناء ، من واجبه الحفاظ على ما تبني يداه وتشيد . الفنان من واجبه خدمة الفن كمثل ذلك المزارع الذي يخدم الأرض بعقله وروحه . الفنان مدعو للخلق او لا وهذا هام جدا في رأي الشعايبية . الفنان مدعو كذلك لأن يعكس ما يدور في بلاده وما يختلج في اعماقه من أحاسيس .

الفن شرف بالنسبة للفنان ولذا فهو مطالب بان يبذل ويعطي من عندياته ويشعر به ويحس كل الاحساس ..

الشعايبية تحس وتتفنن كما تقول .. انها كالشاعر الذي يواجه الطبيعة الخلابة : انها تغني .. تغني بالريشة حياة الشعب والبلاد ...

الشعايبية ترسم بتلقائية ..

في المغرب كما هو الحال في تونس هناك الماء والهواء النقي والشمس والجبال والمساحات الشاسعة .. هذه أشياء تغنيها الرسامة شعايبية .. تغنيها بحرارة ودفء لا يمكن لفنانة في أوروبا ان تعكس نفس الصورة . الشعايبية عرضت بقاعة « سولستيز » بباريس وبمتحف الفن العصري بباريس أيضا وكذا قاعة الوقائع الجديدة بالعاصمة الفرنسية . قدمت فنها بكثرة في عدد من العواصم الأوروبية وهي تقول انها تمقت التقليد لأن في التقليد مسخا للفن .. قالوا عنها والعهدة عليها انها بيكاسو ومن هم في مرتبته وصفه وشهرته .



الفن لا يمكن ان يكون لعبة او تجارة تدر علأرباح على اصحابها

لوحات الشعابية وجدت لدى الزوار في المغرب وفي الخارج الاعجاب ولقيت التقدير والاحترام .

الفن عطاء مستمر تشبهه الشعابية بباقة ورود تعطي دائما من رائحتها الطيبة .

قالت عنها ناقدة برازيلية معروفة انها الأخت الصغيرة لبيكاسو ... وماتيس انها من ابرز الرسامين في المغرب على الاطلاق . ان فنها ساذج ومع ذلك تقف امام لوحة من لوحاتها فاذا بك تهيم في لجة الألوان وتشابك الأشكال واندماجها في المساحات وانبثاق الوجوه من زوايا عميقة ذات جذور ثابتة . كتلة هنا وتكوم هناك وخطوط متعرجة يرتبط بها الكل برباط متين « انها اشياء محسوسة نسجتها الشعابية الفرحة ، المسرورة المتفائلة بطريقتها الخاصة ملتحمة بكيانها .

موهبة الفنانة تصدر عن كيان مندمج في الطبيعة التي ترسم . في الطبيعة التي تحفل بالألوان الزاهية وبالخصب وتوحي بالاحلام العذبة الغنية والتفاؤل والثقة بالنفس والايمان القوي بالله وبالحياة المتجددة .

هذا هو منهلها .. تلمس الحقيقة .. انها ترسم ما ترى . الفنان الفرنسي « كورناي » قال عنها « سعادتها في البقاء لا تمثل من يقف امام لوحاتها يشعر بالغبطة والأمل .. » قالت عنها « سبريز فرانكو » : « انها فنانة ستلهم .. انها ليست بالفولكلورية .. » وقال عنها اندري لود « شعابية ترسم الحقيقة كما تراها في علاقتها مع هذه الحقيقة بوصفها امرأة من لحم ودم وعظام » .

شعابية تعطى الفن الاستمرارية التى تطلبها تصوراتها مرتبطة بكيانها بطموحاتها . بحركاتها الجريئة ..

شعابية فنانة تعرفت في باريس على عدد من الفنانين التونسيين .. السهيلي الكسراوي القرجي انها معجبة بالفن التونسي وبالتونسيين وستعرض في قاعة ارتسام ودار لصرم قريبا ...

حوار مع الرسامين :
الفاسي وصبري

الحرف هو وسيلة تعاملنا مع الجمهور

التوفيق بين الأصالة والمعاصرة طريق سليمة للخروج من بوتقة الاغتراب

توظيف الفن للمجتمع وللحياة وليس الفن للفن

الفاسي وصبري في سطور :

محمد الفاسي الفهري من مواليد فاس 1955 ، محمد صبري من مواليد فاس 1954 تابعا دراستهما الابتدائية والثانوية بها ، ما زالا يتابعان دراستهما العليا بنفس المدينة ، على الصعيد الفني اهتما بالرسم منذ صغرهما ، حضرا حلقات دراسية اطلعا من خلالها على تاريخ الفن ومدارسه وعلى القواعد العامة للصباغة وتقنياتها وقاما بدراسة وافية لهذا المجال من خلال الكتب والمطبوعات الدراسية شاركا في مسابقات للرسم على صعيد المعرض الاقليمي بفاس . شاركا بملصقات في مهرجانات وسنوات دولية . اهتما إلى جانب اهتمامهما بالرسم بالمسرح ، شاركا في بعض المهرجانات الوطنية لمسرح الهواة على صعيد التمثيل والديكور انطلاقا من سنة 1970 تفرغا للخطوط العربية وعملا على إتقان كل أنواعها .

وفي سنة 1975 قاما بأول دراسة تعتمد الخطوط العربية كقاعدة للعمل والحركة التشكيلية اطار عام لها في سنة 1976 بدأ العمل لأول معرض رسمي أقيم بفاس بالمركز الاسباني سنة 1978 وثاني معرض أقيم بالقاعة الوطنية بالرباط سنة 1979 سيقاومان بجولة في بعض المدن المغربية خلال هذه السنة .

س : لو تتحدثان عن عملكما الفني . أسس هذا العمل بمقوماته ؟

ج : إن عملنا الفني يعتمد الحرف العربي الأصيل كمادة حية يزخر بها ماضينا وحاضرنا على السواء أما عن اختيارنا للخطوط العربية فإنه جاء كنتيجة؛ للقاءاتنا المستمرة مع الجمهور وبالتالي إحساسنا بأن ثمة وسيلة للتعامل معه وكانت وسيلتنا في ذلك هي الحرف ولكن بقي علينا أن نختار الاطار الملائم وجاء اختيارنا للحركة التشكيلية كواقع فني . يمتاز بتقنياته وبقدرته على تناول القضايا المعقدة .

س : لماذا اخترتما في لوحاتكما الحضارة العربية الاسلامية ؟

ج : إن الفن بصفة عامة يجب أن يكون مرآة صادقة تعكس واقع المجتمع وما دام واقعنا عربيا إسلاميا فلا غرابة في أن تصطبغ لوحاتنا بهذه الصبغة إلا أننا لم نصل بعد إلى مبتغانا . هذا المبتغى الذى لا يمكنه أن يتحقق من خلال لوحة أو قصيدة أو قصة فالمجهودات يجب أن تتظافر ونحن إذ نعمل في إطار محاولاتنا هذه على ضم مجهوداتنا إلى المجهودات الهادفة إلى فرض الشخصية العربية مبتعدين عن كل القوالب المستوردة التي تهدف إلى شد ذاتيتها بقيود التبعية .

س : كيف حال الفن التشكيلي في تونس ؟ هل لكما ما تقولانه في هذا الموضوع وهل سبق لكما أن عرضتما خارج المغرب ؟

ج : إن الفن التشكيلي في المغرب موجود من حيث الكم فالمعارض تقام على طول السنة في قاعات العروض أما من حيث الكيف فإن الكلمة الأخيرة تبقى للجمهور الذي يتساءل وباستمرار : لمن اللوحة ؟ على أننا نرى أن هناك طاقات فنية مرموقة يجب أن

توجه توجيها يكون في مستوى طموحات جمهورنا المتذوق .

س : الفن التشكيلي في تونس . هل لكما ما تقولانه في هذا الموضوع وهل سبق لكما أن عرضتما خارج المغرب ؟

ج : الفن التشكيلي التونسي موجود بحكم الأسماء المعروفة والمجموعات الكثيرة التي تعرفنا عليها من خلال المجلات الثقافية ومن خلال زيارتنا لبعض المعارض التي أقيمت هنا بالمغرب والتي برهنت عن مستواها الفني إلا أن ما يجب تأكيده هنا كما أكدناه في لقاءات أخرى هو أن الفن التشكيلي في العالم العربي ما زال محتاجا إلى توجيه أحسن للخروج بفننا من مناخ الاغتراب الذي يخيم على الكثير من أعمال رسامينا . وفي اعتقادنا أن هذا الهدف لا يمكنه أن يتحقق إلا بالتقارب الثقافي الذي يجب أن يتعمق أكثر بين الدول العربية فنحن في حاجة لمثل هذه اللقاءات ما دامت أهدافنا مشتركة وبالتالي فأهدافنا هذ تحتم علينا وضع برنامج عمل مشترك إذا كنا نريد ازدهارا للفن عامة والفن التشكيلي بصفة خاصة .

س : الرسام من خلال عمله وعطائه الفني الرائع يطمح لشيء معين يريد أن يجسمه ويريده أن يتجسم . إذن أين يصنف الفاسي وصبري طموحاتهما ؟

ج : صبري والفاسي يعملان ويقدمان عملهما إلى



الجمهور . وللجمهور الحق في الحكم على إنتاجهما الفني وتقييمه أما عن طموحاتنا فإنها لا تنحصر في معرض أو في نجاح فنظرتنا إلى المستقبل على العموم متفائلة وتحقيق طموحاتنا مرتبطة بقدر ممارستنا وإيماننا بأن العمل هو السبيل الوحيد لتحقيق أهدافنا .

س : يقول الرسامان الفاسي وصبري : يبدا العمل كحركة عضوية ككل وتتبعه الكلمة كتعبير وتعجز في الختام يتقدم الفن كأقوى حركة وأدق تعبير وأسمى خط لرسم الايحاءات الفنية التي تهز فكر ونفس الجماهير لكن بأي وسيلة يمكننا أن ننفذ إلى هذا المطلب ؟ ان هذا المطلب قد تراءى لنا نتيجة عملية التوفيق بين المعادلتين الأصالة والمعاصرة .

كيف وفقتما بين الأصالة والمعاصرة وما هو مفهومكما لكل منهما ؟

ج : إن تحديد الأصالة والمعاصرة كشعار لمعرضنا جاء ثمرة لانتاجنا الفني لأننا في إطار هذا المعرض حاولنا توظيف الخطوط العربية كتراث عربي أصيل يمتاز بفعاليته وجماله داخل الحركة التشكيلية كواقع يزخر بتقنياته الفنية التي حققت أكثر من نجاح وبهذا العمل نكون قد حاولنا التوفيق بين الأصالة والمعاصرة والهدف من هذا كله هو تقريب اللوحة من الجمهور والخروج من بوتقة الاغتراب الذي يتخبط فيه الكثير من فنانينا .

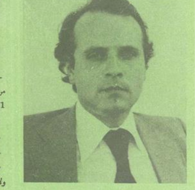
س : اللوحات المزدوجة . هذه فكرة جديدة لدى الرسامين المغاربة والعرب عموما . بالنسبة لكما ما هو الهدف أو الأهداف التي قصدتموها ؟

ج : إن اللوحات المزدوجة جاءت كنتيجة لتوافق الرأي ووحدة الأهداف بيننا واننا بمحاولتنا هذه نريد أن نظهر كيف يمكن للعمل الفني المشترك أن يلعب دوره الايجابي إذا كان منبثقا من أحاسيس مشتركة بين فردين أو مجموعة أفراد من نفس البنية الاجتماعية .

س : برامجكما ومشاريعكما في المستقبل وكلمة أخيرة .

ج : لنا مشاريع وأهداف مشتركة سنعمل على تطبيقها إن شاء الله . وأخيرا نشكر وزارة الثقافة التونسية على إتاحتها لهذه الفرصة التي تمكننا من خلالها من الحديث إلى اشقائنا في تونس كما نرجو من الله أن تتقوى عرى الصداقة بين فنانينا بصفة خاصة وبين الشعبين التونسي والمغربي بصفة عامة

حديث مع الأستاذ : البناني قويدر



س ـ من هو بناني قويدر ؟

ج ـ من مواليد 1945 بمدينة تازة

ـ حامل لشهادة مهندس الدولة في المواصلات متخرج من المدرسة الوطنية العليا للمواصلات بباريس سنة 1971 .

تولى المناصب التالية :

ـ مدير التلفزة المغربية .

ـ مدير المركز السينمائي المغربي منذ اكتوبر 1976 .

س ـ لن اطلب منكم وضع فهرس للسينما الغربية ولا كتابة تاريخ لها بمقدار ما اطلب شيئا من التقييم لما وصلت اليه ، خصوصا وانكم عاصرتم ولا تزالون السينما المغربية ؟

ج ـ انطلاقا من محاولات الانتاج السينمائي الاولى التي مهدت الطريق استطاعت السينما المغربية اليوم ان تعرف تقدما ملموسا وتسير قدما لتصبح صناعة حقيقية دون الاخلال بمهامها الاساسية التي تتمثل في الاعلام والتربية والثقافة .

وهكذا بدات السينما المغربية في الوقت الراهن تشهد تحركات هامة جعلتها قادرة على فرض وجودها في الاسواق الدولية والتفتح على العالم الخارجي .

ويبدو هذا التحرك بما تميزت به السنوات الاخيرة من انتاج للافلام نذكر منها على سبيل المثال : ألف يد

ويد ، غدا لن تتبدل الأرض ، المسيرة الخضراء ، عرس دم ، رماد السياج ، الأيام الأيام ، جرحة في الحائط ، القنفودي ، ذراعي أفروديت ، السراب ... الخ

س ـ المهمة الأولى للسينما المغربية وما هو الدور الذي يضطلع به المركز السينمائي المغربي ؟

ج ـ مما لا شك فيه ان السينما بصفة عامة تعتبر وسيلة من وسائل التثقيف والتربية والتوعية ، وصناعة تساهم مساهمة فعالة في جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وهكذا فاذا كانت المهمة التثقيفية والتربوية واضحة ولا تحتاج الى توضيح فان المهمة الاقتصادية تتجلى فيما يذره قطاع الاستغلال من أموال توجه الى القطاعات المنتجة في شكل استثمارات تعود بالنفع العميم على المجتمع .

أما عن الدور الذي يضطلع به المركز السينمائي المغربي فيمكن تلخيصه فيما يلي :

ـ السهر على تطبيق التدابير النظامية المتعلقة بالمهنة السينمائية ولا سيما التدابير المتعلقة برخص مزاولة المهنة وتنظيم المؤسسات السينمائية ونظام العروض السينمائية .

ـ مراقبة استيراد الافلام وتصديرها وانتاجها وتوزيعها واستغلالها .

ـ انتاج الافلام وتوزيعها واستغلالها والسهر بالخصوص على انتاج وتوزيع الافلام الاعلامية « الأنباء المصورة المغربية » .

العمل سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة لحساب الادارات والمؤسسات العمومية على انتاج الأفلام المتعلقة بنشاطاتها الخاصة .

ـ مراقبة مداخيل قاعات العرض السينمائي باتصال مع وزارة المالية ، ويؤهل المركز وحده لوضع تذاكر الدخول الى هذه القاعات وتوزيعها على المستغلين .

ـ احداث او المساهمة في احداث كل مؤسسة من شانها ان تساعد على تنمية الصناعة السينمائية الوطنية وخصوصا احداث استوديوهات ومختبرات لتظهير الافلام واستنساخها .

ـ تنظيم التكوين المهني والتقني باتصال مع الوزارات المعنية .

ـ اقتراح تدابير التشجيع لفائدة الانشطة السينمائية .

ـ ابداء الراي حول تحديد ثمن تذاكر الدخول الى قاعات العرض السينمائي وايجاد الافلام .

ـ التعاون مع المنظمات المعنية قصد تنظيم التظاهرات الوطنية او الدولية التي من شأنها ان تساعد على ازدهار الفيلم المغربي وكذلك ابداء الراي حول كل انتقاء للافلام التي تمثل السينما المغربية في المهرجانات الوطنية أو الدولية .

ـ التحكيم عند الاقتضاء في النزاعات التي تطرأ فيما بين الأعضاء المنتمين الى مختلف فروع النشاط السينمائي باستثناء نزاعات الشغل .

ـ العمل على تشجيع الوسائل الكفيلة بانتشار الثقافة بواسطة السينما .

وبصفة عامة تقديم مقترحات الى الحكومة حول جميع التدابير ذات الصبغة التشريعية أو التنظيمية التي تهم الصناعة السينمائية .

س ـ الفنان السينمائي غالبا ما يجد نفسه امام اختيارات ثلاثة :

ـ دفن الماضي

ـ الانكباب احساسا وفكرا على الواقع وحده

ـ الانقطاع كلية للمستقبل

ما رأيكم في هذا الكلام ؟

ج ـ لكي يؤدي كل سينمائي مهمته احسن اداء يكون من واجبه الأخذ بعين الاعتبار كل هذه الاختيارات لأنها متكاملة ، فالماضي نقطة انطلاق لا بد من الاعتماد عليها ، كما ان الانكباب على الواقع وحده لا يكفي اذ هناك من الامور ما ينبغي الرجوع اليها في غير وقتها ، اما الانقطاع للمستقبل فهو ـ وان كان ممكنا ومحبذا ـ الا انه يطرح مشاكل من الصعب تجاوزها .

س ـ معلقة صحفية لجريدة « لوموند » قالت : » ان الحديث عن الماضي وحده يشكل خطرا لتحجر السينما ويشكل خطرا اكبر بالنسبة للسينمائي ، اذ يجعله يميل الى الامور السهلة ، ويتخلى عن مسؤولياته ازاء بلاده في عصرها الجديد » لو عقبتم على هذه القولة ؟

ج ـ ج ـ نعم ان التفرغ للماضي والحديث عنه وحده يشكل خطرا على السينما والسينمائي على حد سواء ، ذلك ان الالتزام بالماضي لا يسمح بالذهاب بعيدا بل على العكس من ذلك اذ يحجر السينما ويجعلها ثابتة لا تعرف تحركا كما يؤثر على الفكر البشري الذي لا يحدث شيئا بل ينكب على ما وقع وهذا ما يفسر تخلي السينمائي عن مسؤوليته ازاء بلاده لانه في هذه الحالة سيكون غير مساير للاحداث وبالتالي غير مساير لتقدم بلاده وازدهارها .

س ـ الانتاج الجيد ذو المستوى العالمي لا يرتبط بزمن معين أو واقع فكلا الزمان والواقع يسيران في جدلية دائمة ، اذن فبماذا يرتبط هذا الانتاج ؟

ج ـ فعلا ان الانتاج السينمائي الجيد لا يرتبط بزمن معين أو واقع نظرا لجدليتهما الدائمة ذلك ان الانتاج السينمائي يرتبط بقضايا انسانية لا تنطبق على واقع او زمان معين بل بقضايا تبقى صالحة في كل زمان وواقع .

س ـ ما هي العلاقة بين الشكل والمضمون في الفيلم المغربي وهل تعتقدون ان الموضوع هو الذي يحدد الشكل ؟

ج ـ ان الجواب على هذا السؤال يتطلب وجود انتاج سينمائي من شأنه أن يساعد على معرفة هذه العلاقة ، والسينما المغربية مع الأسف لم تصل بعد الى هذه المرحلة ، ذلك أنه وان كانت هنالك أفلام من انتاج مغربي متنوع ، إلا أن هذه الأفلام ليست بالمستوى الذي يمكن من خلاله التعرف على علاقة مضمون وشكل الفيلم المغربي .

س ـ رأيكم في السينما التونسية انتاجا واخراجا وفنا ؟

ج ـ من المعلوم أن السينما التونسية غير معروفة بالمغرب نظرا لعدم استغلال الافلام التونسية بالمغرب ، ولهذا السبب فان معلوماتي حول هذه السينما لا تسمح لي باعطاء رأي فيها .

س ـ مشاريع المركز السينمائي المغربي ؟

ج ـ تبعا للمهام المنوطة بالمركز السينمائي المغربي والتي سبقت الاشارة اليها يبدو طبيعيا ان تكون لهذه المؤسسة مشاريع في مختلف الميادين ، وأود هنا أن أشير على سبيل المثال الى بعض هذه المشاريع وهي :

ـ مشروع في طريق الانجاز يتمثل في اتمام بناء وتجهيز مختبر للافلام بالالوان والذي من المنتظر ان يبدا نشاطه خلاله السنة المقبلة .

ـ مشاريع تتعلق بالانتاج السينمائي .

ـ مشاريع قانونية تتعلق بتنظيم المهنة السينمائية وتشجيعا وتطوير صناعتها كالتخفيف الجبائي واحداث رقم اضافي لمساعدة الانتاج وغيرها .

ـ مشاريع تتعلق باحداث شركات ذات الاقتصاد المختلط .

ـ مشروع احداث مندوبيات بأقاليم المملكة وذلك عملا على تقريب الادارة من المواطنين وتسهيل عملية مراقبة القاعات السينمائية وتتبع الانشطة الوطنية .

أجرى الحديث : **لطفي الشطي**



كنت حزينا . هذا كان من حقي . نفضت يدي من كل شيء ، ووقفت أطل على وجهي أمام الزجاج ، كان يغمره الضباب ، وتمنيت لو أنني أولد من جديد ، وأبدأ من جديد .

لقد جريت كثيرا ، ولذلك كنت تعبا . حبيبتي أيضا كانت قد جريت كثيرا . وحين قلت لها أنني أحبك . أغمضت عينيها . كانت تريد أن تختزن كلماتي . أن ترى اذا كانت صادقة . كيف أجعلها تعرف . لم أكن أستطيع . وفتحت عينيها . رأيت في داخلها سحابة حزن كثيفة . ولم تقل كلمة واحدة . افترقنا . وعرفت أنها لم تعد قادرة أن تصدق أي شيء .

وفي الواجهة الزجاجية . كان الضباب يغمرني . ان الضباب يغمر كل العالم . والتعاسة تطل من كل عين . تذكرت صديقي الذي مات له شخص عزيز . جاءني . وكان لا يبكي . ان تعاسته أكبر من ذلك . قال لي فيما بعد انه تعلم منذ ذلك اليوم أن يسمع صوت انهيار الأشياء داخله .. لكنه لم يعد يهتم .

لم أعد أهتم أنا أيضا برؤية وجهي ينعكس على الواجهة الزجاجية . انني أقتل الوقت فقط . البيت كان باردا . الحديقة مقفلة . المقهى عامر بالفضوليين . بالأمس . كنت عاريا في البيت . عمل مجاني للاحساس بالحرية الكاملة . منذ عام كنت أحب . ما زلت حتى الآن . لكن التعاسة هي وحدها سيدة هذا الليل . الكلاب تنبح كثيرا في الليل . وفي الليل تمتلىء المدينة باللصوص .

ـ أوراقـــك ؟

حين استدرت لأراه . تذكرت « هتلر » . كان له شاربان أيضا . وكان قميئا . ولم تكن معي أوراق .. وأطلق صفيرة حادة . وتجمع عدد اخر منهم :

ـ ها هو ... لقد كان هنا أمام الواجهة :

كنت قد تركت أوراقي في البيت . كذلك تركت اسمي . وكنت حرا في تلك الليلة ..

2

من اجل أن أهرب منها . هربت اليها . أوقفت السيارة . أطفأت أنوارها . واشعلت سيجارة . كل مساء . حين كانت تأتي .

كنا نقف فى نفس هذا المكان . من بعيد تلمع موجات البحر . من بعيد نشاهد أنوار البيوت والمآذن والشوارع . من بعيد نشاهد حركة السيارات المجنونة . أضمها بعنف . كانت تقول انني اضمها بكل هذا العنف لأوحي اليها انني أحبها . وكنت أقول انني أخاف أن أفقدها . وتضحك . وتلمع أسنانها . كان يغمرنا الدفء . وننسى أنفسنا . كان العالم جميلا . وكانت الحياة تبدو ملفوفة فى ثوب أبيض . ومن أجل أن أهرب منها هربت اليها.كان المكان فارغا.لم تكن معي ولكنني كنت احسها فى داخلي . وكان الناس يتحركون فى الطرف الآخر من المدينة . من فوق الطريق الرملية كنا نطل عليهم فى تلك الأمسيات . كانت قلوبنا بريئة . ولم نكن نعرف أن نكره . أو أن نحاسب . العيون التى يغمضها الحب . تفتحها الكراهية . لم أكن أريد أن أبكي .. لقد كبرت كثيرا حتى أفعل ذلك .. لكنني أذكرها بكثير من الحزن . فقد خلفت آثارها فى كل مكان . ها هنا فوق الطريق الرملية . وكنا نغرق فى الظلام . ونهمس كلماتنا بلا معنى . كنا ما زلنا صغارا . رغم ان ذلك الزمان ليس بعيدا . اننا نكبر فجاة .. نكبر كل لحظة . وهربت اليوم اليها . كما كنت أفعل دائما . أوقفت الساعات فى المدينة وجئت احلم .. هذا كل ما بقى لى ..

فجاة يغمر ضوء قوي كل المكان . تقترب سيارة شرطة . كنت أطل على الناس وعلى المدينة . لم يكن لى ما أفعله . فهربت الى ذكرى الحب . وفى الظلام كنت حرا . وكنت قد بدأت أرتاح .. لكن السيارة تقف . وينزل شرطي . يطل من زجاج السيارة :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

هل أقول له انني هارب منها .. هارب اليها ؟ هل يفهم ؟

ـ ها هو .. انه هنا ؟

وابتسم الشرطي . تذكرت وجه « هنا »

ـ من تنتظر هنا ؟

هل أقول انها لن تاتي الى هنا أبدا . ففى كثير من الأمسيات . منذ افترقنا . جئت لأجلس وحدى فى الظلام ولم تأت هى أبدا ؟ هل يفهم ؟

ـ تعال معنا

فى الظلام . فى الوحدة .. كنت حرا

3

قاعة المحكمة ضيقة . كنت أتفرس الوجوه . وفى داخلي تنبثق أغنية حب :

« فى وجوهكم جميعا أرى وجه حبيبتي . فى الشجرة فى الحجارة فى القمر . أرى وجه حبيبتي . فى البحر . فى زرقة السماء . فى حمرة وردة . وفى سواد الليل . أرى وجه حبيبتي . وأراكم . وأرى الدنيا . وأفتح عيني كل صباح »

ـ هل هناك شاهد ؟

يتقدم شرطي . لقد رأيته ذات مرة . لا أدرى أين رأيته . فى وجه حبيبتي ؟ . ربما .. فى عينيها . ؟ ربما . كنت أرى فى عينيها كل الناس ..

ـ مجنـــون . ؟

تلفتت أبحث عن « المجنون » . كانت القاعة ضيقة . وكان كل الناس ينظرون الى ..

ـ هل هناك شاهد آخر ؟

يبرز من الزحمة وجه أعرفه . لكنني لا أذكر أين رأيته . ربما فى عيني حبيبتي ..

ـ كان يتعرى في بيته ، قال لنا ذلك . وكان يقف أمام الواجهات ليفكر ، قال لنا ذلك ، وكان يذهب للقاء حبيبته .. ولكنها كانت لا تأتي ، قال لنا ذلك

عمن يتحدث ؟ انني أعرف شخصا بهذه الأوصاف ، رأيت وجهه مرة على واجهة زجاجية ، كان تعسا ، وقد نفض يديه من كل شيء .. وتمنى أن يولد من جديد ..

ـ مجنون ! مجنون ....

قالها شخص لم أكن رأيته من قبل .. وعلت الهمهمة في القاعة الضيقة . وبحثت عن المجنون ، وحين لم أجده ، فكرت أنه هرب .. وربما كان يحس ، في تلك اللحظة ، في مكان ما ، أنه حر .

ـ عبد الجبار السحيمي ـ

قضايا الأدب المغربي :

حديث مع الأستاذ مبارك ربيع



- الأدب موجود في المغرب وكذلك النقد
- شيء من الطفرة في الأدب المغربي قصة وشعرا
- الابداع والمسؤولية والالتزام ابرز مقومات الكتابة المغربية
- الانفعال بالقضية هو مفتاح العمل الأدبي

عندما تكون رجاحة الفكر وشمولية الرؤية القائمة على النزاهة والوضوح منطلقا لممارسة حوار فكري .. فانت في حضرة الأستاذ الأديب القصصي المغربي مبارك ربيع

س : من هو مبارك ربيع ؟

ج : في الجواب عن هذا السؤال كثير من الصعوبة وبودي لو يكون القراء على معرفة بي عن غير طريقي ومع ذلك يمكن الاجابة على هذا السؤال ببعض البساطة :

ليس في حياتي شيء غامض أو خطير أو عظيم ، بعبارة أخرى تبدو لي حياتي عادية جدا وبسيطة ، ميلاد متواضع في قرية من القرى الملكية ثم تعليم في المدارس العتيقة الابتدائية والمدارس الحرة في ذلك العصر ، ثم بعد ذلك تعليم في الثانوي وانخراط في سلك التعليم ثم عودة لاتمام الدراسة العالية أجد نفسي بعدها أستاذا بالجامعة وأجدني أيضا بين الأدباء والكتاب لي مكانة لا أريد أن أخوض في قيمتها ولكنني أستطيع أن أجزم وأؤكد بأن لي قراء يهتمون بما اكتب ويقدرونه واشعر بتجاوبهم فيما اكتب .

س ـ كثير هم الذين يتساءلون ، هل يوجد أدب في المغرب ولعلهم في تساؤلاتهم هذه كانوا مدفوعين بالفكرة القائلة : ان المغرب بلاد فقه وليس بلاد أدب . ما هو رأي الأستاذ مبارك ربيع في الموضوع ؟

ج : لا أريد أن أخوض كثيرا في تاريخ الفكر أو تاريخ الأدب ولكن يمكن أن المح إلى بعض النقط من ذلك مثلا أن نوعية الحضارة السائدة في بلد ما والظروف المحيطة به ـ السياسية والاجتماعية ـ من الممكن أن تؤثر بجانب عوامل أخرى في جعله يختص بمظهر ثقافي معين ، أظن هذا من الأسباب التي جعلت المغرب يتميز بثقافة فقهية أو ثقافة دينية مع التحفظ في اعطائه هذه السمة لأن هذا التميز لا يعني التخصص في الوحدة ، لقد كان دائما أعضاء التاريخ أدباء مغاربة ، إذا جاز لي أن المح لبعض ما قد يكون من أسباب هذه الظاهرة . وقد نستطيع القول أن غربة الاسلام في بدايته الأولى في المغرب وابتعاده عن مصدر الاشعاع أدت إلى مثل هذه الظاهرة في المغرب في عصور الفتوحات الاسلامية وأصبحت بعد ذلك تقليدا ثقافيا ، كما أدت إلى مثل ذلك في البلاد الشرقية والشرقية الاسلامية التي هي أيضا بعيدة عن مصدر الاشعاع الاسلامي ، حيث يكون هناك تخوف على الاسلام وبالتالي يكون هناك ميل كبير إلى التشبث بكل العلوم التي تخدم الدين الاسلامي .

هذه ظاهرة أولية ولكن ليس من باب الانصاف أن نقول دائما أن الأدب والفكر المغربيين غير موجودين ، اني اثبت هذا بفعل الشهادات المادية التي يستانس بها كردود فعل لدى من يقرأون هذا الأدب ، والكتابات التي تكتب عنه خارج المغرب باللغة العربية واللغات الأجنبية بل ان هناك من اصدقائنا المشارقة من لا يتردد في القول بأن الجديد المنتظر في الأدب العربي سيأتي عن طريق المغرب .

لذا فان الذين يتساءلون ، هل هناك أدب في المغرب ، إما أنهم لم يقرأوا كثيرا من هذا الأدب وإما أنهم مدفوعون برؤيا معينة وببعض الميول الشخصية التي لا

تساعدهم على تبين الظاهرة الأدبية بالمغرب والتي لم تعد تحتاج إلا لتسليط الأضواء عليها . وأعتقد أن الأدباء المغاربة كأدباء شمال افريقيا جميعا يفتقرون لذلك النوع من الدعوة لأنفسهم اذ يغلب على طباعهم التواضع والانطواء إلى حد يجعلهم يستنكفون من الاعلان عن أنفسهم بالطريقة التي تجعلهم نجوما .

س : استاذ مبارك ربيع لو تحدثون قراء الحياة الثقافية عن مسيرة الأدب بالمغرب الشقيق وإلى أين يتجه الانتاج الأدبي ؟

ج : هناك بعض التقسيمات العامة لمراحل الأدب المغربي فجانب منه يعتبر كلاسيكيا ، وهو الجانب الذي ما زال يمثل مظهرا من الثقافة التراثية او نوعا من التقليد نجده في الشعر العمودي ، ونجد مع ذلك التيار الأقوى الغالب عند الشباب الذي هو الميل الى التجديد والكتابة على الأشكال والانماط الموجودة سواء في الأدب العربي حاليا أو في الآداب الأجنبية الأخرى ، ويمثل هذا التيار الجديد في رأيي شيئا من الطفرة في الأدب المغربي ، بيدوهذا في الشعر ولكنه يبدو أيضا في الأدب القصصي بصفة خاصة حيث لا نجد ذلك التدرج الواقعي الحقيقي للأدب القصصي المغربي وان كنا نستطيع ان نتلمس نوعا من التصنع في بعض الآثار القصصية ونجده في الرحلات وبعض انواع الأدب الشعبي .

ولكن اذا أردنا أن نتحدث عن القصة المغربية بالخصوص فانه لا يمكننا أن نجد لها جذورا في التراث الثقافي المغربي بقدر ما نجد التأثيرات والجذور في الأدب القصصي المشرقي كما وصلنا وفي الأدب الغربي ، ولعل هذا مما جعل الكتاب والشعراء الشباب عندنا يميلون الى التجديد بصفة جذرية ؛ وبإلحاح يُبرر التخوف والتوجس . ربما كان هذا من مبررات القول بان الجديد المنتظر في الأدب العربي يمكن أن يأتي من المغرب .

س : الانتاج الأدبي إلى أين يتجه ؟

ج : الانتاج الجديد يتجه إلى التجديد ، يبحث عن خصائص مميزة بطرق تكاد تكون مزعجة في كثير من الأحيان عند بعض الشباب ، يفعلون ذلك محاولة للتخلص من كل تقليد لما هو شرقي ، ولما هو غربي ، وللخلق كيان قصصي مغربي جديد ، لا من حيث المحتوى فحسب ولكن ـ بصفة خاصة ـ من حيث الشكل ، وتجد لهذا بعض النماذج التي أعتقد أن نصيبها من النجاح قليل وإن كان نصيبها من التجربة قوي وكبير . بعض النماذج التي تحاول في الوقت الذي تبتدىء فيه شكلا ان تكسر اللغة بلغة جديدة فتقع في بناء لغوي آخر جديد يعتم الرؤية ويصعب معه تبين الخطوط الرئيسية اولا للحوار بين الشخصيات ان كانت هناك عدة شخصيات وثانيا للقضية المطروحة في هذه الكتابة . اذ فاتجاه هذا الأدب نحو التجديد فيه مخاطر المغامرة ولكن فيه أيضا شعور المتخفف من كل أعباء الماضي لأنه لا يجد فيه سندا قويا ولا تسهيلا لمهمته في الانطلاق والتحرر على أن ذلك يكون غالبا على حساب القيمة الأدبية شكلا ومضمونا .

س : لو نتعرف معا على المقومات التي يرتكز عليها الانتاج الأدبي في المغرب الشقيق ؟

ج : لكي يكون الأدب المغربي أدبا . يجب أن تتوفر فيه المقومات الأدبية العامة ومن بينها روح الابداع أي أن يكون خلقا جديدا مر من ذاتية الكاتب ومر بهذه العملية السحرية التي تجعل منه انتاجا فيه شفافية الفن وفيه عمقه وتلميحاته ، ثم من مقوماته أيضا . إنه فيه ذلك التسامي أو التعالي من جانبه اللغوي أو من نظام العملية الابداعية التي يلتزم بها الكاتب . أو بعبارة أخرى الشكل الذي يتخذه هذا الأدب أو هذه الكتابة .

لكن هناك أيضا مقومات أخرى بالنسبة للمقومات العامة للأدب لكن بالنسبة للأدب المغربي بصفة خاصة . هناك ظاهرة واضحة جدا وهي ظاهرة أن الكتابة وبالأخص الكتابة المتجددة جدا وهي كتابة الشباب أو كتابة ما بعد الاستقلال هي كتابة تتميز بالمسؤولية والالتزام اللذين يتحملها الكاتب ازاء مجتمعه ومواطنيه والمجتمع العربي والمجتمع المتخلف او الدول النامية بتعبير آخر، وتلعب قضية فلسطين دورا أساسيا ومحورا من محاور الفكر المغربي الآن لدرجة أن بعض الاخوان الفلسطينيين الأدباء عبر في إحدى المناسبات : أن المغربي يعيش الزمان الفلسطيني ، اذ هناك فكرة محورية في الأدب المغربي دائما تسيطر عليها القضية الفلسطينية ، تعالجها من شتى الجوانب والأشكال . هذه المسؤولية وهذا الالتزام بقضايا التحرر الوطني والعربي والتحرر في العالم الثالث تظهر الكاتب المغربي وكأنه مشبع بعقدة ذنب . وهذا شيء محمود جدا لأنه يبين أن الكتابة لديه ليست مجانية وليست عبثية وان الكتاب ليسوا عدميين . ولكن المظهر السلبي لهذه الظاهرة هو عندما يطغى هذا الجانب حتى يضحى في سبيله ببعض المقومات الابداعية والجمالية وغيرها من المقومات العامة للأدب . هناك تداخل بين المقومات العامة والمقومات الخاصة بالأدب المغربي ولكن يبدو في أن ما قلته يختص لحد كبير بالأدب المغربي .

س : بكل تجرد رأيكم في التزام عبد الكريم غلاب مثلا ؟

ج : إذا عدنا إلى أصوله هو مصطلح وجودي طغى في الوقت الذي كانت فيه الفلسفة الوجودية في مد بصفة خاصة في العالم العربي . وقد استعمله وأشاعه سارتر الذي كان ينطلق من موقع طبقي وثقافي وحضاري معين ويعني به في ما يخصه الالتزام الشخصي بقضايا الطبقات الفقيرة أو الكادحة أو الأغلبية الساحقة من مجتمعه مما يجعله يتخلى عن الامتيازات التي قد تخولها له طبقته البورجوازية . ويبدو تطبيق سارتر لهذا في سلوكه الشخصي في أنه انحاز إلى التيارات اليسارية أو القريبة من اليسارية في اتجاهه السياسي وإن كنا طبعا نرى أن سارتر لم يكن مخلصا لنزاهته الفكرية ولقناعته أو أنه كان مغرضا أو انه ضحية عندما لم يستطع ان تفهم كنه حركة التحرر الفلسطينية من جانبها الانساني ومن أبعادها الحقيقية .

هذا مصطلح الالتزام . لذلك فإننا عندما ننطلقه في مجتمعاتنا بعرضنا إلى ذلك التخوف من الخلط بين مفهومه ومفهوم الطبقات لأن الالتزام أساسا هو ناشىء في مجتمع توجد فيه طبقات محددة علميا وعمليا بينما يقول السوسيولوجيون المختصون ان مجتمعاتنا ليس فيها فوارق . ولكن استعمال كلمة الطبقة انما يكون في كثير من التجاوز كمثل استعمالنا للفظ الطبقة البرجوازية . ومع ذلك ليس معنى هذا اننا لا نستعمل الالتزام والطبقة . وما هذه في رأيي الا أدوات للتحليل يمكن استعمالها رغم اختلاف المجتمعات ولكن السياق الذي تستعمل فيه وبالتالي خصائص المجتمع الذي تستعمل في نطاقه وخصائص التحليل الاجتماعي الذي جرت في نطاقه هو الذي يعطيها حدودها . فعلى ذلك يكون الالتزام عندنا التزاما لقضايا الشعب والطبقات الضعيفة والمسحوقة والالتزام بحرية الانسان وكرامته والالتزام بديمقراطيته إلى غير ذلك من القضايا الانسانية الأساسية . فعلى هذا الأساس ، عندما نقرأ أدب عبد الكريم غلاب وحتى عند ملاحظة سلوكه كوطني نعتبره ملتزما ولا أستطيع أن أقول غير ذلك . وإن كنت لست

ناقدا ولا متعمقا في التحليل النق .

ولكن يبقى أن درجات هؤلاء الملتزمين كيف ما كانوا حتى خارج المغرب وخارج العالم العربي تختلف حسب درجات تشبع الشخص با لاتزام وايضا حسب درجات تطرف أو اعتدال . يمينية أو يسارية الحزب الذي ينتمي اليه . فهناك اذن تفاوتات في ما يخص الالتزام بصفة عامة . ان أدب غلاب يمثل التزاما ولذلك يمكن من خلال قراءة « المعلم علي » أو « دفنا الماضي » ان نجد فيها هذا . يبقى بعد ذلك التفاوت في الالتزام بينه وبين غيره وهذا شيء أخر لا يمكن تحليله بصفة مطلقة .

س : ما هو الأدب الرفضي في نظر الأستاذ مبارك ربيع ؟

ج : اذا كان المقصود بأدب الرفض هو رفض المقومات الأدبية الكلاسيكية أو رفض القيم الاجتماعية السائدة أو القيم الاخلاقية والسياسية فمن الواجب أن لا يكون واضحا واقعيا قابلا للتطبيق ، حتى لاتتيه في ميادين متعددة . يمكن أن نتصور الرفض بالنسبة للأديب في موقفه من الكلاسيكية في الأدب مثلا ان يرفض أن تكون للقصة بداية وعقدة متأزمة ثم نهاية . أن يكون لها زمان شخصيات وهذا مقبول ومعقول لأنه يدخل في نطاق التجديد الأدبي ولكن يجب عند تطبيق هذا الرفض أن يكون ذلك البديل ذاقيمة أدبية أيضا لا أن يكون مجرد كلام عادي أو تسطيع للصور أو مجرد تعسف في تناول الموضوعات ليقال انه أدب . يجب أن يبقى هناك فارق بين لغة الأدب واللغة العادية ، بين الصورة الأدبية والصورة العادية بين الشخصية الأدبية والشخصية العادية .

س : هناك من يتحدث عن وجود صراع أدبي في المغرب ما رأيكم في هذه الفكرة ؟ وان كان هذا الصراع واقعا بالفعل فما هي الدوافع التي تقف وراءه ؟

ج : يصعب بالنسبة للأدب أن أحدد وأقول أن هناك صراعا ، نعم ، نحن في لحظة تطور . لنأخذ الأدب الكلاسيكي والأدب المعاصر في المغرب ، ولنأخذ مثلا القصيدة العمودية التقليدية والقصيدة المعاصرة ، المتحررة هناك تطور من القصيدة الأولى الى الثانية ولا أستطيع أن أقول أن هناك صراعا ، لماذا ؟ لأن القصيدة الثانية منتصرة انتصارا كبيرا كما وكيفا على القصيدة الأولى . اذن فوجود بعض الظواهر من القصيدة الأولى لا يجعلني أبدا أقول ان هناك صراعات بين هذا وذلك .

في الميدان القصصي لا يوجد حتى المظهر البسيط لهذا الصراع إذن كيف يمكن الحديث عن الصراع ، بدلا عن التطور . هناك مرحلة تطورية ظهرت وبدأت تكتسح الميدان وهناك مخلفات المرحلة السابقة التي لم تختف برمتها مرة واحدة . ولكن ليس هناك مظهر للصراع . إذا أردنا أن ننتقل الى مستوى أعلى لنقول أن هناك مظهرا من الثقافة التراثية المعاصرة عندها يمكن أن نتحدث عن مصالح لكل فئة متميزة وعن نوع من التواجد لهذه الثقافة وتلك لكل منها موقفها ولكنها متقابلة فيما بينها ولكن ليس هناك ذلك المظهر الحقيقي للصراع الذي يبدو منه أن ثقافة تريد أن تقضي على ثقافة أخرى بل العكس من ذلك يبدو ان هناك من ناحية المبدأ حيرة في ما يجب أن يؤخذ وما يجب أن يترك وهذا تعبر عنه الانظمة التعليمية . وإذن هناك مظهر التواجد وكذا مظهر الحيرة ولذلك كثيرا ما تطرح قضية التراث والمعاصرة سواء في الكتابات أو في المحاضرات أو في غيرها . والخلاصة التي نخرج بها هو أن هناك آراء متعددة في هذا الميدان ، وجود هذه الثقافات يدل على تناقض ولكن عندما نقول صراعا يجب أن نقول أن هناك توقعا لنتيجة هذا الصراع ولكنه غير موجود لحد الآن اذا نظرنا الى هذه الثقافات بهذا المعنى لأن المقومات الخاصة لكل مظهر من مظاهر الثقافة لا تزال قوية بل وتقوى يوما بعد يوم ولذلك فالصورة غير واضحة بالدرجة التي تستحق أن نبسطها ونقول أنه صراع وصراع معقد بل هي أعقد لأنها لم تصل لمرحلة الصراع .

هنالك مظهر آخر . هو هذه الازدواجية بين الثقافة الفرنسية والثقافة العربية واعتقد أن هناك صعوبة في الحديث عن صراع بهذا المعنى لأن له نفس الخصائص التي يجسدها نظامنا التعليمي وحياتنا العامة أي الاهتمام بالثقافة العربية والاهتمام في نفس الوقت بالثقافة الأجنبية الفرنسية لدرجة المساواة تقريبا فاذن نرى في أغلب الأحيان أن هذه الثقافات تختلط في شخص واحد . وأعتقد أن المرحلة لم تصل بعد إلى درجة الصراع لأنها تتعقد عندئذ في حين أننا لم نقتنع بعد بأخذ مظهر واحد من مظاهر ثقافة معينة .

س : إشكاليات القصة المغربية : ما هي وإلى أين وصلت في المجالات التجريبية ؟

ج : الأدب المغربي وخاصة في ميدان القصة يتجه نحو التجديد ويساعد على ذلك ارتباطه بتراث قصصي عميق ولذلك يعمل على استحداث أشكال أدبية من الناحية الكمية لا تساعد الكميات الموجودة الآن لدى الكتاب او لدى الذين يميلون لهذه المغامرات الأدبية ، ليس عندهم العدد الكافي من المنشورات التي تسمح بالحكم على تجاربهم وفي مرحلة التجربة من الصعب أن نقيم ، وعلى كل حال فالتجريبية على مستويات : هناك من يجرب في حدود محدودة مع نوع من المحافظة على بعض المبادىء الكلاسيكية ، التي لا تجعله يبتعد ابتعادا مطلقا عن القارىء او الوسط الذي هو فيه ، أو ابتعادا يذهب بالرسالة التي يريد إبلاغها إلى القارىء أدراج الرياح ، وبما أن الأدب في ميدان القصة أدب حديث جدا ولا يعود لأكثر من عقدين فيجب انتظار فترة معقولة حتى نستطيع أن نحدد معالم هذه التجربة التي تواجه الكثير من الشباب اليوم .

س : لو تحدثون قراء الحياة الثقافية عن انتاجكم الأدبي ؟

ج : يصعب أن أتحدث عن الأدب الذي أكتبه ، أفضل أن يتحدث عنه القراء وبالفعل كتبت أشياء كثيرة سواء عن « الطيبون » و « رفقة السلاح والقمر » أو عن غيرهما ، هذه الروايات والقصص بالنسبة لي يمكن إدراجها ضمن تحليل مضبوط في إطار من الواقعية فهي على العموم تعالج قضايا المجتمع من جوانب متعددة . مظاهر اجتماعية ومظاهر سياسية وتحاول في بعض الأحيان أن تحدد أو تحاول أن تضع تحليلا لذهنية الانسان المغربي والعناصر والظروف التي تتحكم في حياته . تتشابه هذه القصص وتتكامل لدرجة أن من أراد أن يخرج برأي عنها ، من واجبه أن يقرأها جميعها .

ثم يمكن أن نقول أنها لحد كبير قطعة مني لا باعتبار أني كاتبها أو أنني عشتها ولكن باعتبار أنني أكتب بانفعال وعندما أكتب عن موضوع يجب أن انفعل به انفعالا يضعني في مستوى الكتابة وبهذا قد أكون مخالفا لأولئك الذين يكتبون بعيدا عن الانفعال ، قد يكتبون بتعقل أكبر ، طبعا ليس هناك انفعال خالص أو تعقل خالص وبالنسبة لي فالمسألة هي انفعال بالحادث ، انفعال بالقضية ، انفعال سواء كان نتيجة تخيل أو خبرة واقعية . وهذا مفتاح العمل الأدبي فيما اكتب .

س : مبارك ربيع ليس بغريب على الأدب التونسي والتونسيين ماذا لو قيم لنا مسيرة الأدب التونسي

قصة وشعرا ؟

ج : لي بالفعل بعض الاطلاع على الأدب التونسي ولكنه لا يتيح لي المكانة الحقيقية للحكم عليه وتقييمه لعدة أسباب من بينها أولا انني اقرأ الأدب لأتمتع به ولا أقوم بالعملية النقدية اللازمة في غالب الأحيان ومن جهة ثانية لأن كمية ما اعرفه لا يمكن أن توفى أو تعطيني الفرصة لكي أحكم فيكون حكمي صائبا ومع ذلك فلدي بعض الانطباعات تختص بالنماذج التي استطعت أن أقرأها وأطلع عليها . أعتقد أن الأدب التونسي له خصائص لحد ما مغايرة للأدب المغربي هناك محاولة للتجديد في ميدان القصة ولكنها أقل من المحاولة التي نجدها عند المغاربة وقد سبق أن قلت أن الحركة التجريبية عندنا أكثر الحاحا بينما على العكس من ذلك في تونس يبدو لي أن الحركة التجريبية في المسرح أكثر بحيث نجد ذلك الميل للتراث الذي نجده عند عزالدين المدني والمرحوم علي بن عياد . ونجد أنه رغم طالعه التراثي الظاهري ، فهو ميل إلى تجديد عميق ، في القصة أجد أن الميل إلى التجديد يوجد عند المغاربة أكثر . أما بالنسبة للقصيدة فلا توجد هناك ظاهرة قوية سواء في المغرب أو تونس تستطيع أن تعطي امتيازا لهذا الجانب أو ذاك .

لكن هناك ظاهرة يجب تسجيلها بالنسبة للأدب التونسي وهو روح المسؤولية المادية وهي أن الكتاب التونسيين في تصوري يشعر كل واحد منهم وكأنه مسؤول عن الحياة الأدبية والثقافية . حتى ولو كان خارج موقع السلطة بل بالذات أتحدث عن الذين هم خارج موقع السلطة . هناك أيضا نوع من وحدة المسؤولية التي تجعلهم يهتمون بما يكتب قصيدة أو قصة بينما لا نجد هذا في المغرب . نجد في المغرب نوعا من التشتت الفكري ونوعا من التكتلات التي هي في نفس الوقت تؤدى إلى إحداث تفرقة في الميدان الثقافي والفكري وتمنع في بعض الأحيان تواصل الممكن او تواصل المطلوب بحيث تكون هنا فوارق بين الأدبين وعلى كل حال قد يكون في هذه الانطباعات نقص لقلة اطلاعي على مظاهر وجوانب أخرى ونماذج كثيرة في الأدب التونسي . ولكني استقيته مما طالعته وقد كانت مطالعات عفوية وممن تعرفت عليهم من الأصدقاء وكان كل ذلك عفويا لا قصد الدراسة أو قصد التحليل .

النشاط الثقافي بالمغرب

نفيسة بنجلون تعرض بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية

تعرض الدكتورة نفيسة بنجلون الاختصاصية في الامراض النفسية معرضا فنيا بقاعة وزارة الثقافة .

وقد ولدت هذه الطبيبة الفنانة بفاس في 1949/11/15 . تابعت دروسها الابتدائية والثانوية بالقنيطرة وتخرجت من كلية الطب بالرباط محرزة على الدكتوراه بميزة مشرفة سنة 1976 ، حيث أنها قدمت أطروحة عنوانها : » الانهيارات المقنعة بالاضطرابات الجسمية النفسية ، مرض الاكتئاب »

نفيسة تدرس وتعمل بالمركز الطبي للامراض العصبية النفسية (الرازي) منذ 1974 ، وتعتبر من الفوج الاول للاطباء النفسانيين المغاربة ، تلقت سنة 1977 تدريبا لمدة سنة بمدينة « لوزان » السويسرية ، كما تلقت تدريبا ثانيا بتونس تحت اشراف الاستاذ سليم عمار ، وشاركت في مؤتمر الامراض العصبية والنفسية .

نفيسة بنجلون شغوفة بكل ما يتعلق بالفن على العموم وخصوصا الرسم الزيتي . بدأت ترسم من سنة 1977 ، خلال مقامها بسويسرا ، وهي تفضل الرسم اللاشعوري والرسم التلقائي العفوي مثل : صرخة الانسان ، وتأخذ الرسم على أنه تعبير حر ومتحرر من كل الضغوط .

الزمان المغربي : صوت جديد

صدر حديثا العدد الاول من مجلة « الزمان المغربي » وهي دفاتر ثقافية يديرها سعيد علوش ويسهم في تحريرها الدكتور بن سالم حميش . ومن خلال تصفح سريع لمجلة الزمان المغربي تتأكد جديتها ورغبتها في تقديم الاضافات المشرقة التي ما زالت الثقافة الوطنية في المغرب في أمس الحاجة اليها .

في الصفحات الاولى يطالعنا « تغريد الطائر الحبيس » للشاعر عبد اللطيف اللعبي الفائز بجائزة سنة 1979 الدولية ، من خلال قصيدته الى « أصدقائي وراء البحر » .

ويشتمل العدد على دراسات تتفاوت أهميتها وجديتها وان كانت تؤكد في عمومها على جودة الخط الذي رسمته لسيرها هذه المجلة الجديدة منذ عددها الاول .

في العدد أيضا مسرحية بعنوان « مهرجان الأصول وتاريخ الأساليب » وهي من تأليف الشاعر بن سالم حميش .

وتشير المجلة الى أنها تنوي اصدار ملفات خاصة عن الموضوعات التالية :

- الخطاب الأدبي في المغرب
- الكتابة الفلسفية في المغرب
- الكتابة التاريخية في المغرب
- الثقافة الشعبية في المغرب
- الجامعة المغربية

تاريخ المغرب في القرن العشرين

صدر في الدار البيضاء مؤخرا للكاتب الكبير روم لاند عن دار الكتاب المغربي للطباعة والنشر والتوزيع كتاب جديد يتناول تاريخ المغرب في القرن العشرين ويقع الكتاب في 740 ص من القطع الكبير ترجمه الدكتور نقولا زيادة مادة الكتاب استقاها المؤلف مما كتبه العرب عن تاريخ المغرب الكبير وكذلك مما اهتدى اليه من دراسات المستشرقين ومن خلال مشاهداته الخاصة وصلاته الوثيقة باحداث المنطقة وأشخاصها .

اللسان العربي :

صدر أخيرا المجلد الخامس عشر من مجلة « اللسان العربي الدوري عن مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية ، ويتكون هذا المجلد عن 3 أجزاء :

يشتمل الجزء الأول على أبحاث مختلفة في الدراسات العربية والألسنية وحوى الجزء الثاني سبعة معاجم متخصصة هي :

– معجم علوم اللغة – معجم الانسان الأصيل – معجم السوابق واللواحق الطبي – معجم الطب المبسط – معجم اشهر المدن الاندلسية مصطلحات الفلك – المصطلحات التربوية . أما الجزء الثالث فهو خاص بالمؤتمر الثالث للتعريب الذي انعقد في ليبيا عام 1977 .

الموسم الثقافي العراقي بالرباط

السيد محمد المرابط الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية افتتح في بداية شهر اوت الموسم الثقافي الذي ينظمه المركز الثقافي العراقي بالرباط بمناسبة شهر رمضان المعظم ويتضمن الموسم معرضا للمصحف الشريف واصدارات وزارة الاوقاف العراقية من الكتب والمطبوعات الدورية . وبعد زيارة لاروقة المعرض دشن السيد المرابط معرض قصة الطب العربي الذي يحكي مراحل تطور العلوم الطبية في الوطن العربي عبر القرون .

كما عرض بعد ذلك شريط بعنوان : الاضواء العالية ، يتحدث عن فن عمارة المساجد في التاريخ الاسلامي انطلاقا من المغرب الى الاندلس والعراق وسوريا .

معرض زيتي بباب الرواح

تحت اشراف وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية قام الفنانان « محمد القاسمي الفهري » و « محمد صبري » بعرض لوحاتهما الزيتية تحت شعار « الأصالة والمعاصرة » وذلك بالقاعة الوطنية باب الرواح الى غاية 30 من شهر اوت الماضي .

وقد ذكر الفنانان بانهما يستخدمان في عملها الفني الحركة التشكيلية والخط العربي ، وان فنهما ينبع من الحضارة العربية الاسلامية .

معرض روماني بالرباط

بمناسبة الذكرى 35 لاستقلال رومانيا نظمت المصالح الثقافية للسفارة الرومانية معرضا للصور الوثائقية وبعض المنتوجات من الصناعة التقليدية الرومانية وذلك بقاعة العرض التابعة لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية .

ويبرز هذا العرض الجهود التي بذلها الشعب الروماني والمنجزات التي حققها خلال سنوات ما بعد الاستقلال ، وكذا أنشطة رومانيا على المستوى الدولي ، واللقاءات التي تمت بين الملك الحسن الثاني والرئيس تشاوسيسكو عام 1970 و 1972 ، والتي رسخت علاقات الصداقة بين المغرب ورومانيا في جميع الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية الخ ...

صبحي الصالح في المغرب :

أقام بالمغرب الدكتور صبحي الصالح المفكر الاسلامي المعروف قادما من لبنان ، وشارك في النشاط الثقافي الاسلامي الكبير الذي نظمته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية خلال شهر رمضان .

ومعلوم أن الدكتور صبحي الصالح سبق له ان زار المغرب في السنوات الماضية وشارك في سلسلة الدروس الحسنية بمناسبة شهر رمضان .

حبابة السبتي في الدار البيضاء

قاعة المسرح البلدي بالدار البيضاء شهدت معرضا شخصيا للرسامة حبابة السبتي .

اين تقف حبابة بين الرسامات المغربيات ؟ تجيب هي على هذا السؤال بالقول : « حبابة كباقي الفنانات الطموحات لكنها تحب الرسامتين أمزيان وفاطمة حسن » .

الحان مغربية باصوات سعودية

الملحن عبد الحميد بن ابراهيم عاد الى المغرب من المملكة العربية السعودية بعد اقامة استغرقت حوالي الشهر امتدت بعد نهاية الاسبوع الثقافي المغربي الذي أقيم هناك .

الاذاعة السعودية سجلت مجموعة أغان للمطرب محمود الادريسي من ألحان عبد الحميد ابن ابراهيم وضمنها أغنية كتب كلماتها الشاعر الأمير عبد الله الفيصل بعنوان : « أتحداك »

التلفزة السعودية سجلت بدورها كل هذه الأغاني مصورة .

الناقدة فرانكو تزور المغرب

تنوي السيدة سيريز فرانكو التي زارت المغرب مؤخرا أن تقيم المزيد من المعارض في الخارج للتعريف بالفن التشكيلي المغربي . والسيدة فرانكو ناقدة برازيلية تستوطن فرنسا وهي عضو بارز بالجمعية العالمية للنقاد الفنيين وعضو باللجنة الدولية للفن العفوي لبراتيسلافا وحائزة على وسام فارس من هيئة الفن والآداب وتعمل حاليا مديرة لاحدى قاعات العرض بباريس .

وفي الدار البيضاء عبرت عن اعجابها بطبيعة المغرب وسحر جماله وعن تقديرها الكبير للتجارب التي يقوم بها فنانوه التشكيليون .

المناهيل المغربية : عدد خاص عن اليوسي

خصصت مجلة المناهل التي تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بالمغرب عددها الخامس عشر (جويلية 1979) لواحد من مشاهير أعلام الفكر المغربي في القرن السابع عشر م : أبي علي اليوسي (1102/1040 هـ) .

يقع هذا العدد الخاص في 420 ص وقد شارك فيه نخبة من الأقلام المغربية ببحوث ودراسات عن شخصية اليوسي وفكره وأدبه .

كتاب الدم :

أصدر الكاتب المغربي عبد الكريم الخطيبي كتابا بعنوان « كتاب الدم » وهو في هذا الكتاب يعطينا صورة جديدة من مغامرته في عالمه المقسوم بين شرق وغرب بين موت ما وحياة ما والخطيبي من أبرز الكتاب العرب معاناة داخلية لازدواجية اللغة .

ومعاناة الخطيبي تختلف عن معاناة مالك حداد الشاعر الجزائري وهي مأساة التحدث بلغة العدو فالخطيبي يتجاوز ذلك الى الازدواجية التي تعكس صراعا بين عالمين بكل ما تعكسه في نفس الكاتب .

النشاط الثقافي في تونس

اجتماع الخبراء العرب في البحوث التربوية

(تونس : من 17 إلى 22 سبتمبر 1979)

نظمت وحدة البحوث التربوية التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هذا الاجتماع بمقر المعهد القومي لعلوم التربية بتونس : ويندرج هذا الاجتماع في نطاق سلسلة الاجتماعات التي تعقدها وحدة البحوث التربوية تنفيذا لمشروعاتها المنبثقة عن توصيات مؤتمر وزراء التربية والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادي في الوطن العربي (أبو ظبي ، نوفمبر 1977) .

ومن أهداف الاجتماع :

1 ـ اعادة النظر في التخطيط المقدم لكل مشروع من المشاريع المنبثقة عن مؤتمر وزراء التربية والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادي في الوطن العربي (أبو ظبي) نوفمبر 1977 . وذلك على ضوء الظروف الجديدة للعمل التربوي في الوطن العربي .

2 ـ تسمية المؤسسات التربوية التي ستتولى تمثيل تلك المشاريع بانشاء فرق للبحث والاستفادة بالكفاءات لدى الخبراء المختصين .

2 ـ إعداد التخطيط للمشاريع المعروضة مع ضبط طريقة التنفيذ .

4 ـ إعادة النظر في مشاريع وحدة البحوث التربوية لسنة 1978 ـ 1979 .

5 ـ النظر في مشاريع البحوث والدراسات لعامي 1980 ـ 1981 مع تحديد المعالم الرئيسية والأهداف لكل دراسة .

6 ـ إعداد مقترحات عملية لانشاء المجلة العربية للبحوث التربوية وبعث شبكة البحوث التربوية في الوطن العربي .

كلمة الأستاذ منجي الشملي مدير المعهد القومي لعلوم التربية

حضرة السيد وزير الشؤون الثقافية الأستاذ الدكتور محمد اليعلاوي ،

حضرة السيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الاستاذ الدكتور محي الدين صابر .

حضرات الاساتذة والخبراء المحترمين ـ ضيوفنا الكرام ـ

مرحبا بكم في هذه المؤسسة الجامعية العلمية في هذه الندوة الافتتاحية لاجتماع الخبراء العرب في البحوث التربوية ـ وإني إذ أرحب بكم أقرنكم أحر تحية من السيد الأستاذ محمد مزالي وزير التربية القومية الذي يعتذر عن عدم الحضور بسبب غياب خارج الجمهورية التونسية . وقد حملني تحياته الأخوية وكذلك التعبير لكم عن أمله الوطيد في أن يكون هذا الاجتماع الكبير اجتماعا ذا نتائج مهمة لتطوير التربية في الأمة العربية . وإنه ليسعدني شخصيا أن ينعقد هذا الاجتماع في المعهد القومي لعلوم التربية ، إذ هو أول ندوة علمية تعقدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس منذ استقرارها في الجمهورية التونسية . فهذا الملتقى إذن عقدته المنظمة ونظمته وحدة البحوث التربوية التابعة للمنظمة كان شرفا أيضا في الوقت نفسه للمعهد القومي لعلوم التربية إذ نظم بالتعاون معه ، وإننا نعتقد أن هذه البداية بداية خير كبير في العمل الجدي مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ والحقيقة أن هذا الاجتماع ما كان ليكون لولا الجهود الكبيرة الحثيثة التي بذلها صديقي وأخي العزيز الدكتور عبد الله كريم الدين رئيس وحدة البحوث التربوية بالمنظمة ـ ولولا المساعدة العظيمة التي قدمها لنا صديقنا العزيز وأخونا الاستاذ الدكتور عبد العزيز جلال المدير المساعد ، للتربية بالمنظمة ـ ولولا الجهود التي قدمها لنا جميع الاخوان العاملين بالمنظمة ـ وكذلك لا بد لي من أن أشكر جميع الذين ساعدوني على التنظيم المادي والتنظيم العلمي في المعهد من خبراء ومشرفين على الاعداد ـ هؤلاء جميعا لولا جهودهم لتعذر عليّ أن اعد هذا الاجتماع اعدادا عاديا ويشرفني أن أرحب بكم مرة أخرى وأن أحيل الكلمة إلى السيد وزير الشؤون الثقافية الذي تفضل مشكورا بالحضور معنا إلى جانب السيد المدير العام للمنظمة في هذه الجلسة الافتتاحية .

كلمة الأستاذ محمد اليعلاوي ، وزير الشؤون الثقافية ، في افتتاح اجتماع الخبراء العرب في البحوث التربوية

بسم الله الرحمان الرحيم

حضرات الضيوف الكرام

أيها السادة والسيدات

يشرفني أن أفتتح هذا الملتقى المبارك الذي نظمته وحدة البحوث التربوية المنبثقة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وأود بادىء ذي بدء أن أرحب بالأخ الكريم الدكتور محي الدين صابر المدير العام لهذه المنظمة العربية الهامة ، كما أرحب بكافة مساعديه وبالأساتذة والخبراء والمديرين الذين حضروا معنا هذا الاجتماع .



○ جلسة افتتاح اجتماع الخبراء العرب في البحوث التربوية

وأشكر الدكتور صابر والمنظمة بصفة عامة على تنظيم هذه الندوة ـ وهي في ما أظن أول عمل جماعي تنظمه منذ حلولها المبارك بتونس ـ بمشاركة وزارة التربية القومية المثلة في المعهد القومي للبحوث التربوية الذي يديره بكل حزم وكفاءة صديقنا وزميلنا الأستاذ المنجي الشملي .

كما أشكر الدكتور عبد الله كريم الدين مدير وحدة البحوث التربوية ، هذه الوحدة الفنية التي أنشئت لـ« تحقيق التكامل والتنسيق في مجال البحوث والتجديدات التربوية ، بالنظر إلى الواقع العربي في قيمه وفي سياق متطلبات المعاصرة . »

وإنّه لمن حسن الصدف أن تبدأ أشغالكم مع بداية السنة الدراسية عندنا بتونس . ولعلّكم شاهدتم هذا الصباح جموع البنات والبنين وهي قاصدة المدارس والمعاهد ، في بدلاتها الجديدة أو النظيفة ، وهي تحمل آمال الآباء والأمهات ، بل آمال الأمة جمعاء في غد كريم ومستقبل أفضل .

وإذا كان مستقبل الأمّة العربية يكمن في تعليم أطفالها وشبابها ، وإذا كان تقدم العرب في المجتمع والاقتصاد والاستقلال والكرامة رهين تربية أبنائهم ، فإنّ دوركم أيها السادة والسيدات جد خطير والرسالة المعلّقة بكم عظيمة مقدّسة : فعلينا جميعا أن نكثّف الجهود ونبذل التضحيات الأدبية والمالية لنحشر جميع أبنائنا وبناتنا في المدارس والمعاهد أولا ، وهذا دور الحكومات ، والسلطات السياسية ، وعلينا ثانيا ـ وهذا دور المربين العرب ـ أن نتمس جميعا أنجع السبل لضمان النجاح لهذا النشء ، والتقليل من الضياع ، أي انتشال المنقطعين عن التعليم ، وإدماج جميع طاقات شبابنا سواء سواء حاملي الشهادات العامة أو الشهادات المهنية في مجتمعتم ، حتى تكون المدرسة متفتحة حقا على المجتمع بتطلباته الراهنة العصرية ، وهي تطلبات تقنية فنية اختصاصية أكثر منها ثقافية أدبية بحتة : فحاجتنا إلى الكهربائي والميكانيكي وإلى خبير الريّ والسدود والطرقات لا تقلّ تأكدا عن حاجتنا إلى الحقوقي والطبيب والشاعر والقصّاص . بل إن تكوين مختصين في هذه الميادين الحياتية الحيوية من أوكد واجباتنا في مخططاتنا التربوية ذاك ما دعا إليه ، ولا يزال ، الرئيس الحبيب بورقيبة حتى نلتحق بصف الأمم المتقدمة صناعيا الراقية اجتماعيا وحتى نكون في مأمن من الأطماع السياسية المتسترة بالكفاءات الفنيّة والخبرات التقنية .

حضرات السيدات والسادة

كان بودّي بصفتي مربّيا قديما أن أحضر جميع مداولاتكم لأستفيد من آرائكم الصائبة وتحاليلكم ومقترحاتكم . وإن في المواضيع التي

ستتباحثون فيها ما يتطلب حلولا ناجعة ، مثل نقص عدد الفتيات بالنسبة إلى البنين في المدارس ، ولا سيا في الأرياف ، وهو خلل نحاول هنا في تونس أن نتداركه بتقريب المدرسة إلى السكان ، وبتجميع المواطنين في تجمعات سكنية ، هذا في انتظار أن تسمح مواردنا بتنظيم شبكات للتنقل المدرسي ـ بَاس ـ سكول ـ في القرى والأرياف .

كذلك موضوع اللغات الأجنبية وواجب تعليمها للناشئة ، فقد علقت بهذه القضية ملابسات عاطفية حتى صارت توضع على أساس من الاختيار القطعي بين التأصل والذوبان ، أو المحافظة السلفية والقطيعة مع الجذور . والأمر لا يعدو في الواقع التكامل الضروري بين واجب المحافظة على الجذور ، أي الأصالة العربية الاسلامية ، وواجب الأخذ بالتقنيات الغربية والعلوم الصحيحة التي ، لئن كان للعرب شرف نقلها إلى الغرب في القديم ، فهي اليوم منحصرة عند الغرب وقد أصبح الغرب ضنينا بنقلها إلى العالم الثالث ، وما اجتماع « فيانا » الأخير ، والمفاوضات الشاقة الطويلة بين مجموعة الـ 77 والدول المتقدمة إلاّ دليل على هذا النوع الجديد من تفاوت القوى ، وهذا الضرب المؤسف من النخوة والترفع الذي يعمل على حرمان الأمم المستضعفة من وسائل التقدم الناجع السريع ، لأن في تقدمها كما يظنون خطرا على استمرار سيطرة الغرب الاقتصادية وبالتالي السياسية .

كذلك تفكيركم في متطلبات الانسان العربي في مستهل القرن الـ 21 وهي غاية جعلتها الحكومة التونسية بقيادة السيد الهادي نويرة نصب عينها .

وختاما أيها السادة والسيدات ، أرحّب بكم من جديد بأرض تونس بلدكم الثاني وقد أصبح الأول بالنسبة إلى المنظمة ـ وأرجو لأعمالكم كامل التوفيق والنجاح

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمناسبة انعقاد اجتماع الخبراء العرب في البحوث التربوية

معالي الأخ الأستاذ الدكتور محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية

سعادة الأخ الأستاذ الدكتور محمد الأحمد الرشيد مدير عام مكتب التربية العربية لدول الخليج

سيادة الأخ الأستاذ المنجي الشملي مدير المعهد القومي

السادة الاخوة العلماء ، أساتذة التربية العربية وخبراءها ...

السيدات والسادة ..

التحيةُ في هذا المقام ، وفي كل مقام ، هي السلام ، تحيةُ الاسلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فانه واجب أثير الى نفسي ـ ونحن نجتمع في هذا المشهد الرائع ، من مشاهد الفكر العربي ، في هذه العاصمة العربية الجميلة تونس ، وفي رحاب مؤسسة علمية جليلة الشأن من مؤسساتها القادرة هي ، المعهدُ القومي لعلوم التربية ـ أن امد الشكر مستحقا باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وباسمي الى الجمهورية التونسية رئيسا وحكومة وشعبا على استضافتها الكريمة لمنظمتكم ، وعلى دعمها الموصول لنشاطها في مجالاته المتنوعة مما اعان كثيرا على استمرار سعيها ، ومواصلة مسيرتها في هذه الظروف القومية الدقيقة والصعبة ..

وفي هذه المناسبة ، فان الشكر يتجه الى الوزارات المتخصصة التي قدمت العون ، دون حدود ، وفي مقدمتها وزارات الخارجية ، والتربية القومية ، والشؤون الثقافية ، ووزارة التعليم العالي ومؤسساتها الجامعية ، ووزارةُ الاعلام والمؤسساتُ الاعلامية الكبرى ، الصحافة والاذاعة والتلفزيون .

وانّه في وجود معالي الأخ الأستاذ الدكتور محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية بيننا اليوم دليلا على الاهتمام الرسمي ، والعناية الحفية بنشاط المنظمة وبرسالتها القومية .. واني احييه باسمكم ، واشكره على هذه المشاركة البارة ، والتي هي من طبيعة الأشياء فهو واحد من أبناء هذه الأمة العاملين في صناعة الفكر تخطيطا وتنمية وابداعا ورعاية . كذلك فان الشكر يمتد بحقه الى سيادة الأخ الأستاذ المنجي الشملي مدير المعهد القومي لعلوم التربية ولزملائه ومعاونيه من الأساتذة القادرين العاملين في المعهد ، الذين وضعوا امكاناتهم العلمية الكبيرة ، وخبراتهم النافعة ، بتوجيهات الأخ الأستاذ المنجي الشملي ، وبمبادرة كريمة منهم وبتعاون اصيل في خدمة البرامج التربوية للمنظمة ، فكانوا بذلك عونا اي عون ، فجازاهم الله عن امتهم ، وعن ثقافتها كل خير .

أما الاخوة العلماء ، طليعةُ الفكر العربي وقياداته ، الذين تجشموا ما تجشموا من الصعاب ، اسهاما منهم كريما في تنمية العمل التربوي ،

وعطاء منهم برًا في تأصيله ، فلهم من منظمتهم التي كان ، لالتزامهم المسؤول بأهدافها وبرامجها ، ومشاركتهم في سعيها تخطيطا وتنفيذا ومتابعة ، الفضلُ المبين في أدائها وعطائها لامتها العربية ، كما ان ذلك اعطى لنشاط المنظمة طابعَها المميّز في الحركة ، من حيث إن انشطتَها كانت تمثل دائما الفكر الجماعي والاداء الجماعي ، وهي ظاهرة تتساوق مع طبيعة عمل المنظمة الذي هو في الأساس عمل قومي شمولي ، يمثل ضميرَ الأمة العربية وتطلعاتها ، وامكاناتِها وقدراتِها ، فاليهم جميعا اتقدم باسم منظمتهم بالشكر ، وبالتقدير ..

أيها الأخوة :

تجتمعون اليوم ، في اطار منظمتكم ، كما اجتمعتم من قبل ، وكما تجتمعون ، ان شاء الله ، في كل حين ، حول قضايا التربية العربية ، وأنتم المسؤولون عن مسيرتها ، وان المنظمة لتشعر بالاعتزاز القومي ، بهذه القوة العلمية العربية الملتزمة وبتعاونها ، ولما يقوم بين العشيرة التربوية فيها من عمل مشترك ينتظم الأمة العربية كلَّها ... وأنتم أيها الاخوة اكثرُ الناس ادراكا لأهمية التربية في بناء الانسان ، وتشكيل صورته الاجتماعية ، وتأهيل قابلياته لصناعة الحياة ، في كل جيل من أجيال الحياة البشرية ، وان هذا العصر الذي نعايشه ويعايشنا ،هو بين عصور الحياة الانسانية عصر فريد في طبيعته الحضارية ، وفي التحديات التي يرفعها في وجه الانسان المعاصر ، بعد ان تعملقت المؤسسات العلمية ، والقدرات التكنولوجية ، والمنشئاتُ الاجتماعية ، واصبحت تفوت قدرة الانسان على السيطرة عليها . وفي هذا العالم المعاصر الذي يشهد تمييزًا أمميا قاسيا قائما على حظ الأمم من التقدم العلمي والتكنولوجي ، فان الأمة العربية تصنف ، مع مجموعة الدول النامية ، والنمو هنا تعبير أدبي مهذب عن التخلف ... والدول المتقدمة ، ما تزال تصر على الاحتفاظ بسر تقدمها ، وعلى احتكاره ، وهي تدعم ذلك بالنظم الاجتماعية المالية المختلفة : بالتنظيم الاقتصادي والمالي ، وبالوسائل الثقافية والفنية ، بحيث أصبحت الدول النامية محاصرة ، حصارا ماديا وفكريا وروحيا ، وبحيث اصبحت الهوة تتسع يوما بعد يوم بينها وبين حضارة العصر المفروضةِ على وجدان الناس وضمائرهم وحياتهم ، فرضا جعل منها نمط الحياة الانسانية الوحيدَ ، أو يكاد . وعلى الرغم من الجهود الدولية المبذولة لحوار حضاري ، فان الدول المتقدمة مصرة على التمادي في سلطاتها ، لأنه سلطان تجاري ، في عاقبة الأمر ، مهما اتخذ من اقنعة ، ورفع من شعارات ، ولعل مؤتمر الأمم المتحدة للعلم و التكنولوجيا الذي عقد في فينا منذ ايام ، وما توصل إليه من نتائج ، وما دار فيه من معارك فكرية وسياسية ، يكشف عن حقيقة هذا الوضع ، كما تكشف اللقاءات الدولية الأخرى في نطاق ما يسمى الحوارَ بين الجنوب والشمال ! !

هذا التحدى الذي نواجهه ، هو تحد فريد ، ونحن في الوطن العربي ، نواجه إلى جانب هذا التحدى الحضاري العام ، مع الدول النامية ، تحديا قوميا خطيرا ، هو التحدي الصهيوني الذي يغتصب أرضنا ويزيّف حضارتنا ، ويعدو على مقوماتنا الروحية ، ويؤذى كبرياءنا الوطنية ، ويمتص قوتنا ، ويمزق صفنا ، ويشرد شعبا عربيا مناضلا هو شعب فلسطين عن وطنه أمام الضمير العالمي ...

اننا بكل هذه الأعباء وبكل هذه المسؤوليات ، مسؤولون حضاريا ، ومسئولون قوميا ، لاستنفار مصادر القوة في بناء المجتمع العربي ، لتحقيق التقدم الحضاري ، ولاسترداد الحق القومي .

مسؤولون لتحقيق التقدم الحضاري ، ليس في صورة نقله أو تقليده .. ولكن بالمشاركة في صناعته ، وبالابتكار فيه ، فنحن أمة لها دورها في هذا التقدم الحضاري نفسه ، بما اسهم علماؤنا فيه بعطائهم الخلاّق في مجالات الرياضة والهندسة والعلوم الطبيعيّة والتطبيقية ، وهي الأسس التي قامت عليها هذه الحضارة المعاصرة ...

ومسؤولون لاسترداد الحق القومي أمام تاريخنا ، وأمام أجيالنا ، ليس لأنه واجبنا المقدس وحسب ، ولكن لاستكمال القوة العربية ، انطلاقا لبناء مجتمع عربي عظيم ومؤثر في احداث العالم ، وليكون ، كما كان في التاريخ ، ولما أُهّل له ، أحدّ مراكز الاشعاع العالمي للتقدم ، ولا سبيل الى هذا كله الا بالانسان العربي الذي هو وديعةُ المربين ومسئوليتُهم ، وانهم خير القائمين عليها وخير الموفين بها .

أيها الاخوة : وأنتم أول من يعرف ان هذا العصر ، هو عصر التربية ، بقدر ما هو عصر التنمية ، وان التربية ، كنظام ، وكمؤسسة ، وكصناعة ، أدركها من انفجار المعرفة ، وثورة الاتصال والمواصلات ، وان هناك مؤسساتٍ تربويةً متوازيةً في المجتمع وهذا كله يقتضي جهدا في الاستيعاب والتحصيل ، وجهدا في التكييف والتأويل ، وجهدا في الخلق والتأصيل ، ومن هنا فان الاعتماد على البحث التربوي ، يصبح ضرورة عضوية ووظيفية . فلم يعد البحث ترفا فكريا ولا متعة ذهنية ، ولكنه يصبح الوسيلة الوحيدة لاكتشاف الحقائق وللبحث العلمي ، في مجال التربية ، مشكلاتها الخاصة ، كمنهج وكتقنية ، فان أمام الباحث التربوي العربي قضايا فنيةً كثيرة ، في تطويع أدوات البحث التربوي ، وتكييف القياسات ومعاييرها الاجتماعية ، واستنباط مقاييس جديدةٍ قائمةٍ على قيم المجتمع العربي ، وفي ترشيد سياسات البحوث ، وترتيب الأولويات ، وفي خلق البنى الأساسية للمعلومات ، هذا ، على ان على الدول العربية ، ان تزيد من عنايتها بامر البحوث التربوية ، بانشاء المؤسسات وتزويدها بالاجهزة والوسائل الفنية المتقدمة ، وبتدريب الباحثين ، وبرصد الأموال المجزية لهذا المرفق الأساسي ، فالبحوث الجادة نشاط يتطلب موازنات ماليةٍ عاليةٍ .

وانه من الظواهر الايجابية ، أن الوعي بدأ يتسع باهمية البحوث التربوية في مختلف مستويات العمل التربوي العربي ، وأن مراكز البحوث التربوية تزايدت اعدادها ،وارتفع مستواها العلمي ؛ وأصبح الاهتمام بها واضحا في انشطة كليات التربية ومعاهدها .

أيها الاخوة : ان منظمتكم العربية ، تبذل بفضل تعاونكم معها جهدا ، هو من واجبها ، وهو سبب وجودها ، في مجال التربية ، وقد استطاعت ان تنجز فيه اعمالا هامة ، فمنذ ميثاق الوحدة الثقافية العربية في المؤتمر الثاني لوزراء التربية العرب في بغداد عام 1964 ، ذلك الميثاق الذي قامت على أساسه منظمتكم التي واصلت السعي ، في ادارة التربية في الاعداد لمشروع استراتيجية تطوير التربية العربية ، التي اصدر مؤتمر وزراء التربية في صنعاء عام 1972 قرارا بوضعها ، ولقد وافق المؤتمر العام في دورته الاستثنائية الأولى في الخرطوم في عام 1978 على تلك الاستراتيجية التي قام عليها لجنة من خيرة المربين والمفكرين العرب ، والتي اشترك في مناقشتها والاسهام فيها في مختلف مراحلها ، المجتمع التربوي العربي كله ...... وستظل الاستراتيجية كتاب التربية العربية الذي تدور حول قضاياه ومبادئه ومؤشراته انشطة المنظمة ، لأنه أول فكر عربي تربوي شامل ، ولا شك ان ذلك كله سوف يخصب ذلك الفكر ويغنيه . ولقد عُنيت الاستراتيجية بالبحوث التربوية ، وبدورها في تطوير التربية ، ومن هنا ، فقد رات المنظمة ان تفرد لها نشاطا خاصا في اطار عملها فانشأت وحدة البحوث التربوية ، التي قامت على جهدكم ، وعلى عونكم ، وانها بكم ومعكم ، تعلق الآمال المشروعة في القيام بدورها . ولقد كان اجتماعكم الأولُ في الخرطوم نموذجا طيبا ، وبداية موفقة في عمل الوحدة وها أنتم أولاء تجتمعون هنا في تونس ، وقد توضحت المعالم ، وعظم التعاون ، ونحن على أمل لا يتخلّف ، في أنكم مواجهون القضايا المعروضةَ عليكم فمنجزوها ، بما عهد فيكم من القدرة والعطاء ، ومن الانتماء والالتزام ، على خير الوجوه ... فهذا العمل هو مسؤوليتكم وهو سعيكم تخطيطا وتنفيذا ، وارتفاقا وانتفاعا .

واذا كان لي ، في هذا المقام ، وانا اتحدث إلى اخوة ، وإلى زملاء ان اوصي بشيء، فان موضوع انشاء شبكة المعلومات التربوية ، وتنظيمها ، هو من الأمور التي تدركون جميعا حيويتها في هذا المجال ، والتي سوف تجد من اجتماعكم الكبير هذا ، ما تستحقه من عناية في دراستها حتى تقوم بواجبها في التنسيق ، تنميةً للبحوث التربوية وللنشاط التربوي بعامة .

أيها الأخوة أسأل الله لكم التوفيق فيما تاخذون فيه من عمل قومي مجيد ، والسدادَ فيما تصدرون عنه من رأي رشيد ، وطيبَ الاقامة في هذا القطر العربي المضياف وشكر الله جميل صنعكم وحفظت لكم امتكم بركم وعطاءكم .

والله من بعد ، ومن قبل ، هو المؤيد والمعين والسلام عليكم ورحمة الله .

اختتام الملتقى : انعقدت جلسة الاختتام يوم الجمعة 79/9/21 بحضور السادة الخبراء والسيد مدير المعهد القومي لعلوم التربية والدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وبعد أن قدم الأستاذ المنجي الشملي مدير المعهد القومي لعلوم التربية نتائج الملتقى أحال الكلمة إلى الأستاذ محمد مزالي ، وزير التربية القومية ، فألقى كلمة الاختتام التي تجدون ملخصا لها فيما يلي :

أعرب السيد محمد مزالي في الكلمة التي ألقاها بالمناسبة عن ارتياحه للمجهودات التي بذلها الخبراء والأساتذة العرب في هذا الاجتماع مؤكدا سعي تونس للقيام بكل ما تتطلبه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من تحسين ظروف العمل فيها ، والنهوض بالنظام التربوي في مختلف البلدان العربية وقال « : إنني أسعى ـ بمعية بقية زملائي بوزارة التربية القومية ـ الى القيام بأدنى ما يفرضه الواجب علينا نحو منظمتنا العتيدة حتى يتوفر لها مزيد من الفرص للقيام بكل عمل صالح ونبذل من جهتنا أقصى الجهد للنهوض بالنظام التربوي في تونس ، وبذلك نخدم بصورة غير مباشرة التربية العربية بصفة عامة » .

وأضاف قائلا « : ان الذي حفزني للاجتماع بكم هو إيماني شخصيا بأهمية البحث بصفة عامة والبحث في شؤون التربية بصفة خاصة . ذلك أن البحث في هذا المجال أمر ضروري من شأنه أن يوقظ العاملين في حقل التعليم وينبههم إلى تصحيح خط العمل التربوي » .

وأوضح ان الدول النامية لا تخصص للبحث العلمي الا الشيء القليل من ميزانياتها بينما تنفق البلدان المتقدمة القسط الكبير من تمويلاتها لفائدة البحوث إلا أن المنظمة تسعى لسد هذه الثغرة وتولي عناية خاصة بالبحث العلمي والدليل على ذلك هذا الاجتماع ، وقال « : واني أعتقد أن الدكتور محي الدين صابر وزملاءه في المنظمة سيضيفون الى هذه العناية عناية



اخرى بشؤون البحث حتى نهتدى الى المناهج القويمة ، ونتعرف الى نقاط الضعف فنتلافاها ، وبذلك نزيد من فاعلية الأنظمة التربوية العربية بحيث تحقق الغاية التى من أجلها بعثت » .

وأضاف « : إن أهمية هذه العناية يجب أن تنحصر لا فى الامكانيات فقط ، لانها لا تقاس بعدد مراكز البحوث بل بإحكام التنظيم وسداد الرأى والتماشى مع الواقع العربى والنظرة العربية للحياة وللوجود ، والابتعاد عن التقليد الأعمى للغرب . فالواجب يفرض علينا أن تكون نظرتنا الى كل القضايا المتعلقة بالتربية أو البحث العلمى نظرة قومية عربية مرتبطة أشد الارتباط بواقعنا ، منتسبة أشد الانتساب الى طموحاتنا وملتحمة أوثق الالتحام بنظرتنا الى التطلعات العربية » .

ثم تحدث عن الفرق بين السياسة والخبرة فى ميدان التربية فذكر انه ينحصر فقط فى اختلاف المسؤوليات ، وأن الغاية واحدة وقال« : انه يوجد بيننا سياسيين كنا أو خبراء ـ جذع مشترك هو انتسابنا لأمة واحدة ، وايماننا بمبادىء واحدة ، وتعلقنا بقيم سامية تربوية وحضارية واحدة ، ورؤيتنا الواحدة الى مصير عربى واحد ، وكل ما سوى ذلك انما هو توزيع مسؤوليات . لذا لا يمكن فى ميدان التربية التفريق بين السياسى والخبير . ومن هنا يكون من حقنا جميعا ، سواء كنا خبراء ، أو مسؤولين عن السياسة التربوية « ان نتساءل عن غائية التربية ، وماذا نريد منها » ؟

وألح وزير التربية القومية فى هذا الصدد على ضرورة الاتفاق على تكوين موحد للشباب ، سواء من حيث المستوى العلمي أو الأخلاقي ، وعلى تخطيط موحد يرمي الى توفير الامكانيات المادية والبيداغوجية اللازمة لهذا التكوين ، وأشار الى أن الديمقراطية التى نريدها فى التعليم ليست ديمقراطية الأسفل ، بل ديمقراطية الأعلى . وبما أن المعنى الأساسي للديمقراطية هو تكافؤ الفرص فالمهم اذن أن يكون الجميع فى نقطة الانطلاق سواسية ، ثم نعطي الاشارة للسباق ، ويوم الامتحان يكرم المرء أو يهان .

كما أكد على وجوب توحيد المناهج والمراجع التربوية ومحتويات برامج التعليم ، وأشار في خاتمة كلمته الى وجوب تكييف السياسة التربوية مع متطلبات البلاد الاقتصادية والاجتماعية ، وتحسيس المربين بالمسؤولية المناطة بعهدتهم لتحقيق الوحدة على مستوى البرامج والمناهج في انتظار الوحدة الشاملة .

التوصيات العامة

يوصي الخبراء للمنظّمة العربية للتربية والثّقافة والعلوم بما يلي :

1 - أن تولي اهتماما متميزا لشبكة البحوث التربوية في الوطن العربي ، وأن تعمل على البدء بتنفيذ ما أوصى به الخبراء كنقطة انطلاق لبناء هذه الشبكة بناء متكاملا وفقا لأحدث التطوّرات العلميّة والفنيّة والتّقنية في هذا المجال .

2 - أن تولي اهتماما كاملا للمجلّة العربية للبحوث التربوية المقترحة من قبل الوحدة وأن توفّر لها الامكانيات المادّية والبشرية لتكون بالمستوى العلمي الرّصين التي تطمح إليه المنظّمة .

3 - ضرورة تخصيص مبالغ كافية لتنهض هذه الوحدة بأعبائها الكثيرة وتحقّق أهدافها على الوجه الأكمل . وذلك نظرا للأهميّة المتزايدة للبحوث في جميع المجالات ، وخاصّة في المجال التربوي ، ولما يصرف في هذا المجال من أموال طائلة من قبل الدّول المتقدّمة .

4 - ضرورة متابعة الافادة من نتائج البحوث التي تجريها المنظّمة .

5 - إشراك المؤسّسات التّعليميّة في الوطن العربي في تخطيط البحوث وتنفيذها حتى يتمّ التّكامل والتّنسيق بين الوحدة ، وهذه المؤسّسات .

كما يوصي الخبراء :

- بأن يؤكد في جميع البحوث والدّراسات التي تقوم بها الوحدة والمؤسسات المتعاونة معها على حصر الدّراسات السّابقة العربية والأجنبية في مجال البحث .

ملتقى سيدي بوزيد حول : الموارد الفلاحية وطرق استغلالها (من 18 إلى 20 ماي 1979)

نظمت وزارة الشؤون الثقافية أيام 18 - 19 و20 ماي 1979 الدورة الأولى لملتقى أبي بكر القمودي للتنمية بسيدي بوزيد حول « الموارد الفلاحية وطرق استغلالها » بمشاركة ثلة من الأساتذة والمهندسين المختصين في شؤون الفلاحة التقوا لتقديم نتائج أبحاثهم في مختلف اختصاصاتهم ومناقشتها مع الجمهور وفيما بينهم وقد تولّى الدكتور محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية اختتام أعمال الملتقى بكلمة أوضح فيها أن نجاح هذا الملتقى في تجسيمه للمفهوم الصحيح للثقافة التي لم تعد مقتصرة على الناحية الأدبية والفكرية العامة وإنما تجاوزتها إلى العلوم الصحيحة التي تساهم في تحقيق أغراض السمية وبين أن في تخصيص هذه الدورة لشؤون الفلاحة دليلا على ما يوليه المخطط لهذا القطاع من عناية وذكر بالمناسبة بسياسة وزارته من وراء عقد ملتقى في كل ولاية انطلاقا من معطياتها التاريخية أو الاقتصادية لتحقيق إشعاع الثقافة على كافة أنحاء الولاية التي ينتظم فيها الملتقى حتى تلتصق أكثر فأكثر بطامح الشعب وحتى يتمكن أبناء الجهة أنفسهم من المشاركة في إلقاء المحاضرات وإعداد الدراسات العلمية التي تفيد أكبر عدد ممكن من المواطنين

وقد تضمن برنامج الجلسات العلمية المحاضرات التالية :

1 - دور التوثيق في خدمة التنمية : عبد الباقي الدالي
2 - تاريخ الزراعة وتطورها في الوسط : صلاح الدين العامري
3 - ربوع قمودة قبل الاسلام : محمد حسين فنطر
4 - مدن قمودة وطرقها في الاسلام : محمد مسعود الشابي
5 - أعلام قمودة الاسلامية : أبو القاسم محمد كرو
6 - المقاومة في الشعر الشعبي : محمد الحضري النايلي
7 - دور الماء في التنمية الاقتصادية : عبد العزيز القصار
8 - التنمية الفلاحية والأمن الغذائي : منير المدري
9 - دور التمويل في التنمية الفلاحية : أحمد الشابي
10 - القطاع الفلاحي ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية : جميل حسباينية
11) الأفكار الصناعية والتنمية الفلاحية : علي حمزة
12 - دور التسميد في قطاع الأشجار المثمرة : محمد الغرائري

وفيما يلي ملخص لبعض المحاضرات التي نالت الحظ الأوفر من اهتام المناقشين .

التوثيق في خدمة التنمية

جاء في محاضرة الأستاذ عبد الباقي الدالي مدير مركز التوثيق القومي أن التوثيق هو فن يبحث ويجمع ويرتب ويفهرس ويعالج ويحفظ الوثائق قصد استغلالها ونشرها والغاية من التوثيق هي السيطرة على تدفق المعلومات وغزارتها لحسن الاستفادة منها عند الرجوع اليها وهناك عدة مؤسسات وهياكل توثيقية عالية وعربية منها الفيدرالية العالمية للتوثيق واليونسكو والمجلس الدولي للمحفوظات والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمركز القومي للبحث العلمي الفرنسي وادارة التوثيق الفرنسية والسوفياتية والأمريكية وقد كونت تونس اللجنة القومية للتوثيق المنبثقة عن المجلس الأعلى للاعلام ونظمت عدة لقاءات حول التوثيق وكونت خلايا مثل مركز التوثيق القومي والمركز القومي للتوثيق الفلاحي ودار الكتب الوطنية . ثم تحدث المحاضر عن دور الأدوات التوثيقية في تكييف العمل الانمائي وتهيئته اعتمادا على التوثيق في إعداد الخطط الانمائية والتصرف في الوثائق الرسمية وتدوين الاختيارات القومية وتقييم الانجازات دوريا وأبرز دور التوثيق في التقدم بالبحوث العلمية الموضوعية الدقيقة داعيا إلى ضرورة التخصص في العمل التوثيقي وفي الختام بين المحاضر أن التوثيق المنظم يصون الكيان القومي ويؤصل الذات الحضارية ويوفر حظوظ الفوز بالرهان في المعارك الانمائية .

منطقة قمودة في العصور الاسلامية الأولى

انطلق الأستاذ محمد مسعود الشابي من تحديد منطقة قمونية التي تمتد حسب نصوص البكري والمالكي وياقوت من جبل وسلات إلى الساحل التونسي إذ أن المنستير باب من أبوابها الشرقية ومن القيروان شمالا

إلى قسطيلية أي بلاد الجريد جنوبا وكانت لها أهمية سياسية واقتصادية إذ اختارها جرجير لتأسيس عاصمته الجديدة سبيطلة وكانت الهدف الأول للفاتحين العرب إذ غزاها لأول مرة عبد الله بن سعد ابن أبي سرح ثم هاجمها معاوية في غزوتيه الأولى والثانية وأنشأ بها قاعدة عسكرية هي قيروان إفريقية « عند جبل القرن كانت جيوش الفاتحين تنطلق منها لنشر الاسلام في أرجاء البلاد ولم يعجب المكان عقبة بن نافع فسار إلى موضع القيروان اليوم . وتحتوي هذه المنطقة على السهول الخصبة ، يقول ابن عبد الحكم : « وكان لموضع القيروان اليوم واديا كثير الشجر كثير القطف » . إلى جانب عاصمتي البيزنطيين والمسلمين فلا غرابة أن يطلق اسمها على كامل البلاد كما يطلق اليوم اسم تونس على العاصمة وعلى القطر والأمثلة عديدة في اطلاق اسم الجزء على الكل ويبدو أن اسم قمونية واسم إفريقية كانا متعايشين زمنا ما حيث نجد اسم قمونية في كتب المغازي والجغرافيين . ونظرا إلى أن منطقة قمونية تشمل منطقة قمودة فهل يمكن أن نتساءل هل أن قمودة هي تحريف لقمونية أو بالعكس ؟ الجواب صعب لندرة الوثائق وأكثر ما يمكن إثباته هو تواجد الاسمين قمودة وقمونية طيلة القرون الخمسة الأولى للهجرة فقد أطلق ابن حوقل الذي زار افريقية في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري إسم قمودة وكذلك الفيلسوف أبو بكر القمودي في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع وقد أطلق ابن عبد الحكم إسم قمونية على نفس المنطقة في النصف الأول من القرن الثالث واليعقوبي كذلك في نهاية القرن الثالث والبكري أيضا في النصف الثاني من القرن الخامس . ويرجع الدكتور حسين مؤنس أن أصل السمية تعريب للاسم اللاتيني لمدينة Caput-vada الواقعة جنوبي سوسة بينما يذهب غيره إلى أن أصل التسمية بربري وهو Tagamuda والمهم أن المنطقة غنية وغاصة بالمدائن والحصون والطرق إلى حد بلغت فيه غنائم الفاتحين في غزوة سبيطلة مبلغا مهولا إذ تم الصلح على أن تدفع المنطقة وحدها مقدار ثلاثمائة قنطار من الذهب ومهما بلغت المبالغة فالقيمة جد باهضة .. واختتم المحاضر بحثه باستعراض نصوص المؤرخين العرب للتعريف بمدن قمودة ومزروعاتها ومعالم العمران بها .

اعلام قمودة الاسلامية

أوضح الأستاذ أبو القاسم محمد كرو في محاضرته كيفية انتشار الاسلام في منطقة قمودة وعن كيفية تحول بعض مدن المنطقة إلى مراكز ثقافية منها قمودة ومجدول وطرزة ومذكور .. ثم استعرض أربعين علما من مشاهير الجهة في مختلف فروع المعرفة وعبر العصور الاسلامية منهم أبو موسى عيسى القمودي وعلي الطرزي وأبو الحسن علي القمودي وسعيد بن يوسف القمودي وأبو القاسم القمودي وعبد الرحمان المجدولي ومحمد بن علال القمودي وتحدث الأستاذ كرو بالتفصيل عن أبي بكر القمودي (ت حوالي 320 هـ) المتكلم المعتزلي الذي اطلق اسمه على الملتقى وهو من أشد المجادلين للشيعة الفاطمية إلى درجة خشي فيها على نفسه من القتل فانقلبت إلى المذهب الاسماعيلي وكلف بالاشراف على دار ضرب السكة أي ما يقابل اليوم بنك اصدار العملة وبقي كذلك حتى وفاته وترجم المحاضر للمتصوف أبي جعفر القمودي (ت 324 هـ) ووعد بتحقيق مناقبه التي عثر عليها ونشرها قبل موفى هذه السنة كما ترجم للقاضي محمد بن محفوظ القمودي الذي تشيع قبل قيام الدولة الفاطمية وهذه حالة نادرة بالنسبة إلى فقهاء القيروان في عصره وتولى قضاء القيروان من سنة 303 هـ الى سنة 306 هـ تاريخ وفاته ، وترجم المحاضر أيضا لأبي الأسود موسى القطان (ت ق 4 هـ) الفقيه السني المتعصب ضد الفاطميين وقد ترك كتابا مفقودا في أحكام القرآن (12 جزءا) وقد اشتهر بالزهد والتقوى حتى قال بعض أصحابه بعد وفاته « رأيت صاحبا لنا في النوم فسألته عن أستاذنا موسى رحمه الله فقال : ذلك رجل يدخل على الله متى شاء » . وتحدث الأستاذ المحاضر بالتفصيل عن الشاعر أبي بكر المجدولي المعاصر لابن رشيق وعن الشاعر السكدلي وعن الشاعر والفقيه أبي حفص القمودي .

المقاومة في الشعر الشعبي

أبرز الأستاذ محمد الحضري التابلي قيمة الشعر الشعبي من حيث تأثيره في الجماهير الشعبية وتسجيله للأحداث التاريخية والسياسية خاصة المتعلقة بالكفاح التحريري وأشاد بدوره في تحريض المواطنين على الصمود في وجه المستعمر داعيا الى جمع شتاته وتدوينه ثم قدم نماذج من انتاج شعراء ولاية سيدي بوزيد نقتطف منها ما يلي :

قال الشاعر محمد بن علي الغداوسي (في الثلاثينات من هذا القرن) :

زرع الحبيب فينا حياة جديدة
نقص ربقة التقليد للترشيدة
زرع الحيا واسلكها
في نفوس كانت ساكنة حركها
ظهر مقالة في العمل شاركها
وبين أسلوب القصد في التجريدة
حقوق المضت في السابقة تاركها
وطالب صلاح الوطن في تمهيده

وقال في وصف الحرب العالمية الثانية :

داوي يرعد في الفضا والقاعة
زلزال ذكرنا قيام الساعة
زلزال حسه قاوي
يرعب شجيع القلب يبقي حاوي
تهزك سهاوي من السحاب سهاوي
طافح فضاوي درزته فجاعه
زاحف مع الطيار كيف يساوي
ثماش من يسفر بغير قطاعه

وقال الشاعر علي الأمين في الأربعينات :

لقلوب مرضى كاسدة واحزانه
في حق ما دار الزمان اعهانا
لقلوب حارت ياسر
من وقت همو جابنا متغاصر
حصل وفدنا بين الى ربح والخاسر
في ناس لا يتعبرو بحنانه

وقال الشاعر الشيخ ابراهيم الشريف في الخمسينات :

يا تونسي كافح أمامك ديمة
بلادك عزيزة غالية في القيمة
بلادك ثمنها غالي
بلادك عزيزة ديرها في العالي
لا ذهب لا فضة ولا لآلي
ثمنها النفس الطاهرة الثمينة
بالدم لا غيره حساب ايوالي
بالدم يغلى الوطن في تقويمه

ومن شعر المرحوم الشيخ الجيلاني الشريف في نفس المعنى :

يا تونسي خط التاريخ وزينه
واثبت ثبات الصيد وسط عرينه

دور التمويل في التنمية الفلاحية

أبرز الأستاذ أحمد الشابي المندوب الجهوي للتنمية

الفلاحية بسيدي بوزيد أهمية توفير التمويلات الضرورية لتظافر المجهودات البشرية والوسائل التقنية قصد تطوير الفلاحة وتنمية الاقتصاد القومي ذلك أن التمويل المضبوط يخلق مواطن شغل ويحل مشكل التشغيل خاصة في مجال تصنيع وترويج المنتوجات الفلاحية بواسطة بعث معامل التحويل والمعاصر والمخازن وإيجاد مسالك النقل ووسائله ودعا الفلاحين في الختام إلى استغلال الادخار وتجنب الاقتراض حيث يطول انتظار القرض ونخسر الفائض .

القطـاع الفلاحـي ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية

اتبع الأستاذ جميل حسانية المهندس الزراعي والاقتصادي والأستاذ المساعد بالمعهد القومي الفلاحي بتونس هذا التخطيط :

ا ـ القسم الأول : الفلاحة والتطور الاقتصادي : لمحة نظرية .

1 ـ الفلاحة والدخول في التطور

تحقيق الزيادة في الانتاج

التحرر من الجوع والانعزال التجاري والاستقرار الاقتصادي

2 ـ مساهمة الفلاحة في النمو :

ـ نمو الانتاج الفلاحي والنمو الاقتصادي العام

ـ تحويل الموارد إلى القطاعات الاقتصادية الأخرى

ـ توفير العملة الصعبة وتوازن ميزان الدفوعات

ـ المساهمة في خطة التصنيع

ب ـ القسم الثاني : الفلاحة والتطور الاقتصادي في تونس : بعض المعطيات .

ـ الفلاحة ونمو الانتاج الداخلي الخام

ـ النزوح وتحويل راس المال

ـ العجز الفلاحي وميزان الدفوعات

ـ تعصير الفلاحة والتصنيع

الخاتمة :

تساءل المحاضر في المقدمة : هل قدر على الدول النامية أن تبقى فلاحتها تقليدية ذات انتاج غير كاف ؟ إذ أن دراسة التاريخ الاقتصادي المعاصر قد بينت أن الفلاحة المتقدمة لا توجد إلا في البلدان المتقدمة اقتصاديا والعكس بالعكس ، فهل هناك علاقة متينة وسببية بين الفلاحة كجزء والاقتصاد ككل ؟

وحاول أثناء المحاضرة الاجابة عن ذلك السؤال لمعرفة مدى مساهمة الفلاحة في القطاع الاقتصادي نظريا وتطبيقيا واستنتج في الخاتمة بعد الاحصاء والتحليل ان الفلاحة قد ساهمت في العديد من البلدان بقسط وافر في انطلاق التطور الاقتصادي وتمويله الا انه عندما يتحقق ذلك التطور خارج المساهمة الفلاحية فان القطاع الفلاحي مطالب بان يتلاءم مع المعطيات الجديدة التي تنشأ عن التطور الاقتصادي وهذه حال تونس حيث يجب على الفلاحة ان تطور هياكلها وخططها الانتاجية لكي تصبح ذات دور محرك في دعم الاقتصاد وفي تمويل التطور الاقتصادي والا ظلت حجر عثرة في سبيله .

دور الأقمار الصناعية في دراسة ظاهرة التصحير

استعرض الأستاذ علي حمزة في مقدمة محاضرته بعض الاحصائيات التي قدمت في مؤتمر نيروبي للتصحير ودلت على ان 5 ملايين من الهكتارات من الأراضي الفلاحية تنقلب سنويا إلى صحاري وتشير الدراسة التونسية إلى أن مساحة 500 12 كلم مربع بالوسط والجنوب التونسيين تحولت إلى أراض قاحلة في الماضي القريب نسبيا وتزداد خطورة هذه الظاهرة الطبيعية إذا أطلعنا على أرقام الانفجار السكاني في العالم المهدد بالمجاعة .. والعامل الأساسي في التصحير هو الانسان وقد عرضت في مؤتمر نيروبي بعض الحلول لمواجهة هذا الخطر منها الري والتهيئة لتحويل الأراضي المتصحرة أو التي هي بصدد التصحر إلى مناطق فلاحية وميدان الاستشعار من البعد وخاصة منه جانب صور الأقمار الصناعية يمكن المختصين من أخذ فكرة عامة وشاملة عن المناطق المهددة بالتصحير وتتبع حركية هذه الظاهرة وسرعتها . وأعطى المحاضر بسطة فنية عن أنواع الأقمار الصناعية التالية : ميتيوزا ـ لاندسات ـ سكايلاب نوا ـ ومن أهم خاصياتها التقاط ما تعجز العين البشرية عن إدراكه واتساع محيط الرؤية وقد تبين أن التصحير يظهر بدقة أكثر في صور لاندسات في القنال عدد 5 (0.7M ـ 0.6) مم

ثم استعرض المحاضر أساليب الاستشعار من البعد وأهمها تنظيف الصور وتصحيحها قبل تحليلها ثم قدم أمثلة دراسات في التصحير وقع فيها استعمال الأقمار الصناعية وقد شملت مناطق من الجنوب التونسي ومن السودان ومن ليبيا منها مشروع ارزوتو Arzotu للجنوب والوسط التونسيين إذ انجز اعتمادا على أربع صور التقطها القمر الصناعي لاندسات بين سنة 1972 و 1973 .

وختم المحاضر بحثه بالتعريف بالمخبر التونسي للاستشعار من البعد وامكانياته الحالية في دراسة ظاهرة التصحير وقد سعى إلى اقتناء التجهيزات الضرورية لتكوين الفنيين التونسيين في نطاق إدارة المياه والتربة بوزارة الفلاحة وهو يجمع الصور التي تلتقط لتونس ويعتزم تنظيم ملتقى استعمال صور الأقمار الصناعية بعد أن تبين مزاياها وهي : النظرة الشاملة للظواهر ـ التتبع المستمر لها ـ التدقيق في تسجيل المعلومات ـ امكانية استغلال هذه المعلومات آليا .

الهامش

على هامش الملتقى عاشت معتمديات الولاية جملة من التظاهرات الثقافية الفنية والفكرية تمثلت في عرض كتب ولوحات زيتية واشرطة سنمائية وتقديم عروض في المسرح والفروسية وتنظيم سهرات موسيقية الى جانب القاء بعض المحاضرات الأدبية والفلاحية والاجتماعية بحيث حقق الملتقى اشعاعه وتنوعه ، واستجاب بالتالي لسياسة وزارة الثقافة التي نبارك توفقها إلى هذا الاتجاه الأصيل والهادف إلى اعتبار الثقافة شاملة لكل فنون المعرفة المساهمة في الرفع من مستوى الانسان حسب المفهوم القديم للفظ الأدب وهو الأخذ من كل شيء بطرف فلا مانع إذن من تشمل الملتقيات العلمية والفكرية ميدان الفلاحة والصيد البحري والتكنولوجيا وغير ذلك إلى جانب الأدب والفلسفة والدين والتاريخ .

أحمد الحمروني

مهرجان دقة القومي

مساء الجمعة 6 جويلية 1979 افتتح مهرجان دقة القومي الذي تواصل شهرا وقدمت فيه العروض التالية :

79/7/6 : مسرحية أخت شكسبير تقديم مسرح الاكواريوم

79/7/16 : مسرحية على نخبك يا وطن تقديم فرقة نهاد قلعي

79/7/20 : احدى الفرق العالمية المشاركة مع مهرجان الفنون الشعبية بقرطاج

79/7/21 : مسرحية حمة الجريدي تقديمالفرقة القارة

بقفصة

1979/7/24 : مسرحية موش عجب يقدر يصير تقديم الفرقة القارة بجندوبة

1979/7/29 : سهرة موسيقية سورية مع فاتن حناوي ومصطفى ماهر

1979/8/4 : سهرة موسيقية عراقية مع فرقة الانشاد البغدادي

وإن المتتبع لمهرجان دقة منذ سنواته الأولى يلاحظ انه بنذ ثلاث سنوات تغير اتجاهه من الاختصاص في ميدان المسرح الى التنوع والأخذ بطرف من جميع الفنون تقريبا وبهذا التحول يحقق مبدأ شمول الثقافة ... وهذا شيء ايجابي إلا أن هذا التنوع قد جعل المهرجان يفقد شخصيته الأصيلة ... كما انه الى جانب تقلص عروضه رغم توزعها على شهر كامل اضبح يستهلك ما يلقي به اليه مهرجان قرطاج وغيره بحيث لا يدشن عرضا جديدا على المستوى القومي فكل العروض اما انها قدمت على الشاشة الصغيرة مثل مسرحيتي فرقتي قفصة وجندوبة ومقتطفات من عروض فرق الفنون الشعبية التي شاركت سابقا في مهرجانتها بقرطاج ومن أغاني فرقة الانشاد البغدادي والمطربة فاتن حناوي الفائزة في مهرجان ام كلثوم بتونس .. واما انها قدمت في مسرح قرطاج ، وأعيد تقديمها في مختلف الولايات وجيء بها الى دقة بعد أن شاهدها الخاص والعام فكيف سيكون اقبال الناس عليها ؟

نقول باختصار ما عبر عنه جمهور الافتتاح : ان برمجة مهرجان دقة في حاجة ملحة للمراجعة بعد أن اتضح في هذه الدورة افتقارها الى الجديد والطريف البكر وتبين قضاؤها على لذة المغامرة الثقافية ومتعة اكتشاف المجهول لدى الجمهور فكل شيء قد شوهد وقرىء عنه الكثير من المقالات وقيمته بعض البرامج الاذاعية والتلفزية ... كما أن مهرجان دقة في حد ذاته في حاجة بدوره الى وقفة تأمل موضوعية في مدى جدوى انعراجه الجديد .

مهرجان المالوف والموسيقى التقليدية بتستور (من 24 إلى 30 جوان 1979)

في نطاق المهرجان الدولي الثالث عشر للمالوف والموسيقى التقليدية الذي انتظم من 24 إلى 30 جوان



○ فرقة المملكة العربية السعودية

عاشت مدينة تستور تظاهرات ثقافية متنوعة تمثلت في معارض للرسم والنحت للسطاري سفرون وابراهيم العزابي والمنصف السخيري ومعارض للانتاج المدرسي وللتحف والآلات الموسيقية التقليدية ، كما شهدت المدينة على هامش المهرجان مقابلات رياضية وندوة فنية حول الموشح في الموسيقى العربية استعرض فيها الأستاذ محمد الحبيب تاريخ الموشح كفن شعري وتتبع الأستاذ صالح المهدي تطور موسيقى الموشحات ومشاغل الانتاج الجديد على غرار التراث والتدخل بين ايقاعات الموشح والتصرف في أدائه مبرزا دور المسابقة العربية المنتظمة في المهرجان الماضي في احياء فن الارتجال الذي يعتبر أصلا للمقامات خاصة في العراق .

واذا خصصت السهرتان الأولى والا خيرة للفرق الفائزة والفرق الشرقية فان بقية السهرات قد قامت اساسا على المباراة بين الفرق الجهوية وان كانت كل سهرة تختتم بعروض فنية قدمتها فرق موسيقية من العراق والسعودية وليبيا وفرقة الفلامنكو الاسبانية وقد تعذرت المشاركة على فرق اليمن والجزائر والمغرب . وافتتحت الرشيدية احدى السهرات .

شاركت في المباراة فرق من صفاقس وباجة وسليانة وسوسة ومجاز الباب وشباب الرشيدية وبنزرت والمنستير ونابل والمهدية وزغوان وشباب تستور ببرامج متنوعة من حيث المحتوى رغم تكرر بعض الوصلات ومتباينة من حيث مستوى الأداء، ولكنها خاضعة في اغلبها لهذا الهيكل الذي اشترطته لجنة التحكيم وهو أن يحتوي برنامج كل فرقة على نوبة من المالوف ووصلة أشغال أو موشحات قديمة لم يسبق تقديمها واستخبار قصيد في أداء مرتجل على نغمات تونسية وذلك مع وصلة من انتاج الفرقة ومن اختيارها وفي مقام تونسي وتتركب على أدنى تقدير من بطائحي ، أو موشح ، أو زجل ، أو شغل يليه برول تختار كلماته من الانتاج المحلي ، أو من التراث ، وأن يكون ضمن تخت الفرقة عود ورباب تونسيان .

وخلال سهرة الاختتام اعلنت لجنة التحكيم المتركبة من الأساتذة فتحي زغندة ، وخالد بسة ، ومحمد الحبيب ، ومن الشيخين عبد الرحمان المهدي والحاج محمد بن اسماعيل من رواة المالوف بالرشيدية وبتستور عن النتائج التالية :

- الجائزة الأولى وقدرها 300 دينار ، احتفظ بها لعدم توفر كل الشروط

- الجائزة الثانية وقدرها 200 دينار فازت بها فرقة المنستير لعزفها الطيب .

- الجائزة الثالثة وقدرها 100 دينار فازت بها فرق مجاز الباب وباجة والقيروان وبنزرت وقليبية وصفاقس .

- جائزة تشجيعية وقدرها 80 دينارا اسندت الى الفرقة الشابة بتستور

أما الجوائز الفردية في العزف والغناء فكانت على النحو التالي :

ـ الجائزة الأولى احتفظ بها لعدم توفر المستوى المطلوب

ـ الجائزة الثانية : في الغناء فاز بها توفيق بن خليفة من مجاز الباب ومحمد فوزي من باجة وتحصل كل منهما على 70 دينارا .

الجائزة الثالثة : في العزف فاز بها المنصف الحشيشة من صفاقس (الناي) والرايس الاندلسي (كمنجة) من مجاز الباب وتحصل كل منهما على 50 دينارا .

ومع الفرق الدولية شعر الجمهور ان فرقة ليبيا جاءت لتقدم « حضرة اسلامية » تقرع فيها الدفوف بتشنج عصبي فكانت فرقة العراق نسيا فراتيا حمل الى تونس انغام المقام العراقي والموشحات الشرقية والأغاني التراثية والفلكلورية باسلوب ناظم الغزالي مثل (طالعة من بيت ابوها) (كل لحظة أمر عليك) التي ارتجلها المطرب الشاب سعد عبد الحميد على ايقاعات او توقيعات روحي الخماس على العود وغانم حداد على الكمنجة وعلاء الدين عبد العزيز على القانون وحسين عبد الله على الدربوكة . أما فرقة العربية السعودية فقد انشدت مختارات من الشعر العذري الفصيح وبعض الأغاني الحجازية الأصيلة ، بينما ادت الراقصة الاسبانية البارعة والفاتنة لولا رقصات (لاكاتيا) و (بولاربياس) و (فروكة) و (لاروميدا) و (صوليا) وغيرها مع الراقص الشاب « المنبري » على انغام العزف على القيتارة والغناء الفردي التي تعيد الى الذاكرة حياة ملوك الطوائف في قصور اشبيلية وغرناطة والزهراء وفي جنات العريف بالأندلس .

في هذا العالم توسع مهرجان المالوف من حيث عدد الفرق المتبارية وعدد الدول المشاركة ، وشمل جل أنواع الموسيقى التقليدية فصلا عن المالوف والموشحات وحقق لأول مرة اشعاعه المفيد على أهم معتمديات الولاية باحياء سهرات بها وبفضل مهرجان تستور أصبح الفنان التونسي ينسج على منوال التراث في غير قطيعة بين القديم والجديد ، واصبحت تونس من البلدان العربية القليلة التي دونت مالوفها ، وأحيت آلاتها التقليدية ...

ورغم النقاط السلبية التي يمكن تداركها مستقبلا فان مهرجان المالوف قد اضطلع برسالته الفنية على الصعيد العربي وحقق تحسنا ملحوظا في المستوى والتنظيم وسيتطور باستمرار اذا تشكلت لجنة تحكيم تكون أكثر حزما وكفاءة لتقييم مستوى الفرق بموضوعية وتسند الجوائز حسب مدى احترام الفرق لشروط المباراة وحسن الأداء، وتقدها ببرنامج المهرجان وبمعايير اسناد الجوائز مسبقا وبتقارير عن مشاركتها توجهها ..

وعلى الجملة فقد حقق مهرجان المالوف تلاقح الفن العربي بالفن الاسباني وكان فرصة تعارف واطلاع على الأنواع الموسيقية في الأقطار العربية ومناسبة لاحياء التراث والعادات .



عبد القادر القرجي ... ومدينة المدائن

ولد بتونس 8 ماي 1940 .

في أسرة ساهمت في الفن بقسط وافر نذكر بصفة خاصة الرسام عبد العزيز القرجي شقيق عبد القادر .

نشأ في المدينة ومن ثم انتقل في البحث عن تركيزها ابداعيا .

ساهم في العديد من المعارض داخل وخارج تونس وكلها جماعية ما عدا هذا المعرض الذي وقع بين 18 ـ 24 جوان 1979 بقاعة الاخبار تواصل بقاعة يحي ...

قراءة أولى في لوحات العروس :

هذا الطريق يؤدي طريق ... وهذه الابنية تحمل الى ضباب تبدو في الأفق ... وتلتمس الحيطان وتسير معك مرافقة .... وقد تبحث عن اوجه صادفتها في المدينة لكنك ... تعلم انهم هاجروا تاركين ... ولا بصمة واحدة ... لقد مضوا ... ولن تتساءل اين وكيف ... ومتى ... اذ المدينة هي العالم الرحب هي ... الملامح التي تبدو امامك ، صادقة التعبير ... ولا تمويه ... فلتقف من بعيد ... ولترمق المدينة الآن وقد اخضر الشفق ... واصابت المدينة عتمة غريبة النكهة ... اقتفى اثر هذا الظل الشديد السواد اتبعه ... سيؤدي حتما الى باب ... مغلق احيانا ... ومفتوح في الأغلب ... لا تخشى ... وواصل السير ... السراديب تنفتح امامك تنفتح ... ولن تصل الى نهاية .

مدينة المدن ... هي مدينة احتوت مدن العالم لكنها اتخذت شكلا واحدا ... شكل المدينة العربية التي تمتد امتدادا طبيعيا ... ولعل تلك اصالة طالما بحث عنها الرسام ... فوجدها في المدينة ذات الحيطان العالية ... والشبابيك ... والأبواب ... والشوارع ... ذات النكهة الخاصة .

يؤكد الرسام ... بان الدافع له في الحقيقة يرسب في ميله الخاص لاجواء المدينة القديمة وانه الآن يقطن بحي جديد ... وما حنينه الطاغي لأجواء المدينة الا الوازع على تصورها وهدوئها واحلامها ... يقول : أقف في الشوارع اليوم فارى الفرق شاسعا ... الازدحام ... قلة الهواء ... فالى اين المسير ... ومن ثم اهرب الى اللوحة كبحث عن بديل ... وبالتالي اقتل في نفسي كل ما من شانه ان ينغص احلامي ... احلام عروس المدائن لقد عشت فيها حقبة من الزمن فكانت مولاتي التي شغفتني بحنان ودود وحب طاغ ... ولم التزم في تصويرها طريقة فنية واحدة ... ذلك أنني أخرجتها على الزرابي ايضا ...

زرابي المدن ذات الألوان الزاهية ....

فقدت المدينة ـ اللون ... اناسها ... ولعلها احتوتهم داخلها ... في صمت مطبق كسكون الليل الشتائي ... ولعلها هربت منهم في طور من اطوار التحول العميق ...

اما المدينة ـ الزربية فعلى العكس من ذلك ... احتوت كل ما يمكن احتواؤه ... من بحر ... وصيادين ... وسفن ابحار الى الأعماق العامقة العمق ... ان هذه المدينة اكثر انسانية ... ولعلها ارأف ... فهي بطانة ... واحتواء صادق ... واحسن مثال على ذلك لوحات « الظلال » و « وجهة نظر » و « افق » ...

لقد اكد الرسام ان المدينة الهادئة الحالمة هي ما يبحث عنه ... وان الصنعة التي يبحث عن اتقانها ، ما تزال تدعوه الى البحث المستمر ... عن اللون ، والظلال البعيدة ...

لكننا نتساءل ... هل سيقف عبد القادر عند هذا الحد ، أم هل سيثور على طرقه هذه الهادئة ... الصاخبة في آن ... والمحملة بآلاف التصورات والأشكال ؟

حمادي بن سعد ...

ـ ولد بتونس في 29 ـ اوت 1948

ـ الدراسة : مدرسة ترشيح المعلمين بتونس

ـ مارس التدريس منذ سنة 1968 ، بمدرسة شارع الطيب المهيري بالمرسى ...

ـ تعامل مع القلم واللون واللوحة منذ الصغر وتحسس

الرسم كفن بمدرسة الترشيح حيث كان عضوا في نادي الفنون التشكيلية بالمعهد ...

ـ جابهه الرسم اول مرة وهو يلج قاعة الدرس فاذا الحيطان تشكو الفراغ فامتدت يده الى الورق الأبيض ... ودفع التلامذة لاتباعه .

ـ عرف ابان تدريسه بالمحمدية محيطا ريفيا أذكى فيه الميل الى الرسم ... وعلى عكس ذلك كانت مدرسة نهج المرحيث احس بالضيق ... فهرب ... هرب الى اللوحة وبثها شعوره الفياض ... ودفع معه التلاميذ لذلك أيضا ...

ـ أقام أول معرض شخصي بالمركز الثقافي الايالي من 4 إلى 15 مارس 1975 . الصالون التونسي . فاز فيه بجائزة الجمهور ...

ـ شارك في المعرض عرض بقاعة الأخبار من 17 إلى 31 ديسمبر 1975 .

ـ شارك في المعرض الجماعي بمكتبة شارل ديغول في اواخر 1976 .

ـ اقام معرضا بقاعة الفنون من 20 ديسمبر الى 3 جانفي 1977 .

ـ شارك في معرض جماعي بالحي العالمي للفنون بباريس في جوان 1978 .

ـ عرض بالمركز الثقافي الأمريكي من 29 نوفمبر الى 11 ديسمبر 1978 .

ـ عرض بقاعة الفنون من 19 الى 30 جوان 1979 .

ـ يعتزم اقامة معارض بفرنسا : من ضمنها معرض بدار الفنون والثقافة « اندري مالرو » بكريتي ـ ضواحي باريس ـ

حمادي بن سعد ... والقراءات بعيون متعددة .

العيون عند حمادي بن سعد ... هي المميزات التي بها نقيس ... وهي التي تحتوي العالم في نطاقها لتخرج لنا اشكالا أخرى ... والعين عند حمادي متعددة منها العين التي لا ترى ... لكنها تستوعب وتستجلي ... ومنها العين التي تصف ما ترى ولا اكثر .. ومنها العين التي هي انعدام النظر تماما ... هذا الانسان ... القناع الذي يملكها عبارة عن وحش ياكل ، يقتات يقرأ الصحف فيسجل كل ما يقال دون وعي أو فكر نافذ ذكي ...

تتعدد العيون وتتشابه ، وتتعدد الصحف المقروة لكنها تلتقي في سن واحد هو فراغ هذا العالم من وحدة عضوية تستوعب تعدد العيون التي تقرأ ... وتتغير الصحف التي قرئت ... لكنها لا تلتقي الا في كلمة « العالم » البساط المفروش عليه ظلالا لعيون فارغة ... واوجه مسودة كوتها الشمس التي اكتوت بنارها (لوحة « الشمس » .)

هل هو فقدان اللون أم هو اللون المشع قويا فيقمع الرؤية الصافية ؟ وهل هو الأبحار في « الاقنعة » الى الداخل ... يجيب « حمادي » : ان الداخل هو ما نحمله في أنفسنا من انانية وكذب ورياء ... وان الصحف الطائرة هي الصحف التي سيعود اليها العالم الذي يأتي بعدنا ليعرف مدى انهيارنا في هذا العالم ... وسينهار ذلك العالم ... وستتكاثر الاقنعة وتتعدد وستبقى الصحف تفقأ أعيننا دون ان نعرف السبب ...

على ان للعالم وجها أخر ... لعله الوجه الذي لا يموت ، ولعله أيضا الوجه الوحيد الذي سيمكن هذا العالم من الانهيار الكلي « فبيكاسو »» ، المعجزة ، و « دي كيركو » الفنان الايطالي المقيم باليونان والذي توفي في العام الماضي هو فنان الصبر ... و « رودجير » و « دوسنابل » ... و « « نولد » و « جوكرمتي » الفنان الذي جمع بين الرسم والنحت ، و « ديبرار » الفنان المعذب برؤوس البشرية المتقولبة ، و « دستوس » الشاعر الذي قتله الألمان لدفاعه على بلده فرنسا .. كل هذه الأوجه هي الأوجه الأخرى للصورة القاتمة التي يرى بها حمادي العالم .

وليست هي الوحيدة . فلحمادي جذور ضاربة في القدم . .. فنحن نجد « ابن سينا » ، و « ابن خلدون » و « ابن رشيق » ، وهم كما نعلم قد اضافوا الى هذا العالم شيئا من الحضارة واعطوا دفعا كبيرا لحركة التاريخ نحو العلوم ... بل ابن خلدون كتب التاريخ الحق ... وعالجه بمعاصرة فريدة

لكن لماذا كان اللون الأسود هو الحضور ؟

لعلها كتابة جديدة ، فوق كتابة ما اعتبرها الرسام كتابة حقيقية ... ولعلها أيضا ... عود لكتابة الرجل الأول الذي أتى العالم ... ليملأه عدلا وخضرة وملأه كلاما ولغوا وقتلا وتشريدا ...

لقد أكد حمادي بن سعد ، وهو الذي بدأ فنه منتميا إلى « الفن الساذج » قد تغير من تلك الرؤية التي تحمل في جذورها بذور البساطة والتبسط والتبسيط مبطنا بنوع من التهكم السوداوي ، قد تغير إلى ضرب من القراءة الفريدة لعالم يسير نحو الجنون ...





ان حمادي بن سعد قد تشبع بروح عصره فسافر إلى أروبا وزار المتاحف الكبرى ... ومن ثم اتسم فنه بنوع من الجدية والفرادة ... لكننا نتساءل ماذا سيقدم لنا حمادي بن سعد فيما ياتي من معارض ؟ ؟

اليكسندر زادليتز

- ولـد في مقاطعـة قوارليتـز من جمهورية المانيا الديمقراطية
- عاش بديسلدورف Dusseldorf وفي نيويورك
- درس في معاهد نيويورك بأمريكا
- أقام عدة معارض منذ سنة 1963 بلغ عددها حوالي 20 معرضا هي :

1963 قاعة امستال 44 امستردام
1964 قاعة فلازيك بوشوم
1965 قاعة هاملتون لندن
1966 قاعة أتيكا سيتل واشنطن
1968 قاعة الفن الحديث روما
1971 قاعة لتشتر فرانكفورت
1972 قاعة نيبالونق ديسلدورف ـ متحف القيصر وليام كريفالد
قاعة المثلث بباريس ـ قاعة كياكل بوشوم
1973 قاعة توفل كولونيا ـ قاعة نيبالونق ديسلدورف قاعة هنري واشنطون
1974 قاعة الكسندرا مونات بريسال ـ قاعة اورني مونيخ
1975 قاعة الان ستون نيويورك
1976 قاعة الكسندرا مونات بريسال
1977 قاعة Fica باريس
1978 قاعة بوسا امستردام
القاعة السوداء باريس
قاعة الكسندرا مونات بريسال
1979 قاعة ارتسام بتونس من 14 الى 30 جوان 1979 .

الكسندر ... وتموج اللون عبر احلام الورد

يقف الكسندر أمام اللوحة ـ القماش في مواجهة صارمة .. هل هي عدائية تبعث على الخلق والابداع أم هي لحظة الانفجار الكبرى . يحمل الكسندر « مسدسه » اللوني ليمطر القماش بسيل متنوع من الألوان المنسجمة فيخرق القماش ويبقعه تدريجيا .. حتى يعطي للقماش ضربا من الدفء الداخلي يحلو للعين ويجلب الانتباه .

يصعب ان نلج هذا العالم الغريب الذي يخلقه هذا الرسام . فهو لا يبوح بسهولة ولا يعطي مداليله ببساطة وعفوية .. وانما نحس ونحن امام مبدعاته بضرب من الاندهاش .. والانغلاق .. يصل حد عدم التفاهم ... على ان هذا الرسام الذي اتبع طريقة تعتمد على رش القماش بمسدس خاص .. تضيع المشكل الأساسي لحقيقة الرسم وابعاده ..

فهل هذه الطريقة ضرب من الفن وجنس من التصوير والتخييل ام هي صناعة لا غير ... ؟

ان الرسام البدائي عندما احس بمواجهة العالم ، وشعر بتنافر كبير مع الكون ركز على تصوير صراعه مع هذا الكون بكل أبعاده فصور حياته ـ الصراع وبث اللوح والجدران والصخور والكهوف احاسيسه .. واعتمد في ذلك الحفر والنبش والصقل وهو بذلك عبر عن مكنوناته بما ملكت يداه وما توصلت اليه مداركه .

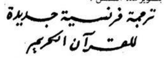
وما انفك الانسان يطور حضارته ويدفعها في طريق التغير والتقدم وهو في ذلك يستغل كل العلوم التي حققها بعقله وفكره ... فلا غرو ان يندفع الكسندر لاستغلال ما توصل اليه الانسان من تطور في نطاق الفنون الأخرى كالنجارة ... وغيرها ...

فالمسدس ـ الالة يصبح عند الكسندر فرشاة ويصبح بالتالي للفوهة القول الفصل .. والفوهة مجموعة نقاط تكون دائرة .. ومن ثم يصبح للنقطة الاهمية القصوى في اللوح .

ان المساحة تنتفي عند الكسندر لتحل محلها النقطة كركيزة للعمل .. وقد يحاول الكسندر ان يخرج من هذه المحدودية فيخلق ضربا من المساحات المفتعلة لكنها في الحقيقة تكسير للمسيرة التي حددتها الطريقة تلك ...

لكننا نتساءل اين يكمن الابداع ؟

قد ينفي البعض ـ انطلاقا من الطريقة ـ الصناعة ـ كل فرادة لصاحب العمل ... لكننا نرى ان لهذه اللوحات فرادة في التلوين .. فالمشاهد لا يتمالك من الاعجاب من كيفية خلق هذه الألوان المتقاربة . المتباعدة الفاتحة الحاضرة ـ الغائبة .. فالرسام عندما يشكل لوحته يعطيها صبغة التموج الذاتي .. فيكاد يكون القماش متحركا لا مستقرا ، فهو كالشراع الذي يداعبه الريح فيتموج .. والسحب التي تلوح لنا متنقلة في الفضاء والفن الحق هو التصوير الدقيق للعالم في تحركه .. في لحظة فريدة فاذا الزمن يتوقف .. ويصبح الماضي حاضرا على الدوام .. والمتنقل في لحظة متواجدا على المدى .. وتلك لعمري ركيزة كل فن مبدع .



من حكايات هذا الزمان

نشر عزالدين المدني خلال إقامته بباريس مجموعة قصصية جديدة بعنوان « من حكايات هذا الزمان » على صفحات مجلة « المستقبل » احدى المجلات العربية الصادرة في العاصمة الفرنسية .

وقد استوحى الكاتب قصصه من الأدب الشعبي العربي ، ومن التاريخ ، ومن التراث ، ومن الواقع ، ومن الخيال والحلم ، وقد قام الرسام اللبناني « نبيل » بتصوير هذه القصص .

ترجمة فرنسية جديدة للقرآن الكريم

يعد الأستاذ الصادق مازيغ ، وهو مبرز في الآداب ، ترجمة فرنسية جديدة للقرآن الكريم . ستكون هذه الترجمة حسب الأصداء التي بلغتنا عنها من أدق الترجمات . ومعلوم أن أشهر الترجمات إلى الفرنسية هي من عمل :

رجيس بلاشير (صدرت عن ميزنوف لاروز 1976)
كهازيميرسكي (عن دار فاسكيل)
دنيس ماسون (قاليار 1967) .

النشاط الثقافي في الأقطار العربيّة

ندوة تاريخ الجزيرة العربية

نظمت كلية الآداب بجامعة الرياض الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، حضر الندوة اكثر من 80 عالما من مختلف الأقطار العربية والاسلامية والأجنبية .

ندوة عالمية في العمارة الاسلامية

في شهر صفر من عام 1400 سوف تعقد بالسعودية ندوة عالمية عن العمارة الاسلامية والتخطيط وقد دعي للمشاركة فيها أكثر من 200 عالم من كافة أنحاء العالم الاسلامي .

الاحتفال بذكرى مرور 900 سنة على مولد ابن عساكر

احتفلت سوريا بذكرى مرور 900 سنة على ميلاد المؤرخ العربي « الحافظ ابن عساكر » وهو « القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي وقد عرف بابن عساكر توفي عام 571 كان محدث الشام في عصره ، ومن أعيان فقهاء الشافعية ، من أهم كتبه « تاريخ دمشق » في ثمانية اجزاء » .

دائرة المعارف البريطانية تترجم الى العربية

تصدر في عام 1981 ، الطبعة الأولى من دائرة المعارف البريطانية باللغة العربية ثم تصدر بصفة دورية بعد ذلك . وقد كلفت جامعة اكسفورد المشرفة على المشروع عددا من اساتذة الجامعات العرب بالاشراف على ترجمة الطبعة العربية واصدارها .

مجلة الآداب الأجنبية : عدد خاص بالرواية

هذه المجلة التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب في دمشق والتي تعنى بترجمة الآداب العالمية الى العربية . تحاول في عددها الأخير وهو عدد خاص عن الرواية تغطية أكبر مساحة ممكنة من النتاج الروائي في القرن العشرين .

يطالعنا في هذا العدد تلخيص الدكتور حسام الخطيب محاضرة للكاتب الامريكي « بيتر برسكوت » كان قد ألقاها في مقر اتحاد الكتاب العرب بدمشق وموضوعها « الاتجاه الاجتماعي في الرواية الامريكية المعاصرة » .

كما اشتمل العدد عن المقالات التالية :

- هل كان همنغواي بطل رواياته ـ مقالة فيليب يونغ وهو أشهر مؤرخي حياة همنغواي وأدبه ترجمها عاطف معتوق .
- أدب المقامات والرواية التشردية الاسبانية مقالة لجليل أسي حيدر ترجمة ابراهيم الشهابي يقدم فيها الكاتب مجموعة من آراء المستعربين تتفق معظمها حول تأثير أدب المقامات على ما يسمى في الأدب الاسباني الرواية التشردية .
- مأساة ستيفان زفايج : لافويم كارانفيلوف ترجمة ميخائيل العيد .
- الرواية الفرنسية الجديدة دراسة كتبها يوسف اليوسف وهي مؤلفة لا مترجمة .
- رواية يوليسيز لجيمس جويس تأليف ريتشارد ايلمان وترجمة فاروق هاشم .

وفي العدد يقدم محمد أبو خضور عرضا وتلخيصا لكتاب صادر عام 1964 يحوي سبع مقالات نقدية لسبعة نقاد امريكيين تناولوا فيها أعمال سبعة روائيين أمريكيين معاصرين .

في العدد أيضا مقالات عن ديستوفسكي وتورجنيف والكتابة القصصية الجديدة في بريطانيا عام 1927 و « الرواية أو واقع الحياة » و « ديكنز والتراث الشعبي » وآلان روب غريبة وقضايا الرواية الجديدة .

من آخر ما صدر في العواصم العربية

ديوان لأبي تمام

صدر عن وزارة الثقافة والفنون في بغداد الجزء الثاني من ديوان الشاعر أبي تمام « شرح الصولي » دراسة وتحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان .

بودلير في كتاب جديد

صدر مؤخرا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في العراق ضمن سلسلة أعلام الفكر العالمي كتاب جديد عن الشاعر الفرنسي شارل بودلير من تأليف لوك ديكون وترجمة كامل داغر .

تدبير المتوحد

صدر في بيروت كتاب الفيلسوف العربي الشهير ابن باجة « تدبير المتوحد » وقد قام بتحقيق الكتاب الدكتور معن زيادة رئيس قسم الفلسفة في الجامعة اللبنانية ويعتبر ابن باجة المتوفى عام 533 هـ واحدا من أشهر فلاسفة الأندلس .

مجموعات قصصية للأطفال

صدرت عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق ثلاث مجموعات قصصية الأولى « فارس عين جالوت » لعبدو محمد ، والثانية ـ الثعلب ـ لوديع اسكندر ، والثالثة عرس العصافير لمقبولة الشلق ، وقد أصدر الاتحاد هذه المجموعة ضمن خطته لنشر كتب الأطفال بمناسبة العام الدولي للطفل .

خريدة القصر وجريدة العصر

صدر مؤخرا الجزء الثالث من المجلد الأول لكتاب

« خريدة القصر .. وخريدة العصر » تأليف عماد الدين الاصبهاني الكاتب وتحقيق محمد بهجت الاثري وهو يضم مختارات رائعة من دور الأدب القديم صدر الكتاب عن وزارة الاعلام العراقية .

التبشير والاستعمار في نيجيريا

كتاب من تأليف خضر مصطفى رسالة ماجستير من جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي

ذلك هو عنوان الكتاب الذي ألفه الدكتور طه مصطفى أبو كرنسه

السلام يحاصر قرطاجنة

مسرحية شعرية تأليف خالد محي الدين البرادعي .

الاسرائيليات في الغزو الفكري

تأليف الدكتورة عائشة عبد الرحمان ، بنت الشاطىء

المواسم الاخرى

مجموعة قصصية تأليف عبد الرحمان مجيد الربيعي صدرت عن دار الطليعة ببيروت .

لوعة الشمس

مجموعة شعرية للشاعر جبرا ابراهيم جبرا صدرت عن دار رمزي للطباعة والنشر .

جهود العلماء المسلمين في الرياضيات

كتاب من تأليف د. علي عبد الله الدفاع عميد كلية العلوم في جامعة البترول بالسعودية ، أسندت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية الى الدكتور جلال شوقي الاستاذ بكلية الهندسة بجامعة القاهرة ترجمة الكتاب الى الانجليزية .

الموروث الشعبي في آثار الجاحظ :

أصدرت وزارة الاعلام العراقية كتابا بعنوان « الموروث الشعبي في آثار الجاحظ » وهو عبارة عن رصد ومسح للعناصر الفلكلورية في مؤلفات الجاحظ . وهي تتناول الحياة الشعبية في العراق وحياة العرب عموما بالاضافة الى معلومات عن طبائع العديد من بقاع الارض .

نزار قباني والمواويل الدمشقية

صدر عن منشورات نزار قباني في بيروت « مواويل دمشقية الى قمر بغداد » ومرسوم باقالة خالد بن الوليد » وهذا الكتاب اشتمل على مقدمة وقصائد اربع منها ثلاثة مواويل دمشقية الى بغداد وقصيدة مرسوم باقالة خالد بن الوليد .

ملحمة القيد والحرية :

يصور كتاب « ملحمة القيد والحرية » حياة أسرى المقاومة الفلسطينية في سجون العدو الاسرائيلي ألفه عدنان جابر ، وصدر عن دار الطليعة . والكتاب يقع في أربعة أبواب الباب الأول (الناحية الحقوقية والقانونية) الباب الثاني (الاعتقال ، التحقيق والتعذيب - المحاكم ، التوقيف الاداري) الباب الثالث (الحياة داخل سجون العدو الاسرائيلي) والباب الرابع (سياسة النفي والابعاد)

اللغة العربية :

صدر العدد الجديد من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني وقد احتوى مجموعة من المقالات القيمة كتبها عدد من الباحثين المعروفين مثل « في العربية التاريخية » للدكتور البسيوني - و « الثنائية والميزان الصرفي في اللغات العربية في الجزيرة العربية » للدكتورة باكزة رفيق حلمي وغيرها من البحوث والدراسات القيمة .

الزمن المستعار

كتاب جديد للناقد العراقي ماجد السامرائي . نشر وزارة الثقافة العراقية يقع الكتاب في 176 من القطع الكبير .

عدد ممتاز من مجلة البيادر

صدر عدد ماي من مجلة « البيادر » المقدسية في 152 ص من القطع الكبير وتضمن العدد مجموعة من القصص والقصائد والدراسات منها دراسة عن فدوى طوقان ، ودراسة عن الحركة الثقافية بالضفة الغربية وقطاع غزة ودراسة عن نماذج من القصة القصيرة في الضفة والقطاع ودراسة عن جبرا ابراهيم جبرا .

الأدب المغربي في السربون

حصلت جاكلين ارنو على درجة الدكتوراه برتبة الشرف الاولى من جامعة السوربون بفرنسا ، عن رسالتها « الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية »

كتاب الفروق بين الأمراض

هو كتاب ألفه أبو بكر الرازي المتوفى سنة 313 هـ بتحقيق الدكتور سلمان قطاية الأستاذ بكلية الطب بجامعة حلب . والكتاب يتحدث فيه مؤلفه عن الصعاب والعقبات التي تصادف الطبيب المعالج اثناء اشتباه الأمراض عليه وخطورة التفريق بينها والمساوىء التي تنجم عن الخلط بينها وما تؤدي اليه من أذى وضرر . يقع الكتاب في 344 صفحة .

المتنبي يسترد أباه

ستصدر الطبعة الثانية من كتاب الأستاذ الباحث

عبد الغني الملاح « المتنبي يسترد أباه » ، وهو الكتاب الذي نال تقدير الأوساط الأدبية والفكرية .

ازمة الحضارة العربية

صدر عن دار الفارابي في بيروت الطبعة الثانية من كتاب « ازمة الحضارة العربية ام البرجوازيات العربية » والكتاب مناقشة لأبحاث ندوة الكويت في موضوع أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي .

أخبار أبي العيناء اليامي

مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ محمد بن ناصر العبودي أحد الرواد من أدباء المملكة العربية السعودية . والكتاب يضع لنا على بساط البحث تحليلا جيلا لشخصية أبي العيناء وأدبه وظرفه وفكاهته ونقده ولطفه والكتاب جامع لأخبار أبي العيناء ، الذي قال عنه ابن خلكان انه من ظرفاء العالم .

الحصريان

هو اسم الكتاب الذي ألفه الدكتور محمد بن سعد السويعر ، وهو كتاب الشهر للنادي الأدبي بالرياض ، والحصريان هما : أبو اسحاق ابراهيم ابن علي ، وأبو الحسن علي بن عبد الغني ، وكلاهما من رجال القرن الخامس هـ .

أنباء متفرقة

المهرجان الثالث للتراث الشعبي الفلسطيني

أقامت لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني في البيرة بالضفة الغربية المحتلة مهرجانها الثالث للتراث الشعبي بمناسبة العام الدولي للطفل . وقد تضمن المهرجان فقرات من الدبكات الشعبية والأغاني والأزجال بالاضافة الى عرض للأزياء الشعبية .

تصوير ذخائر التراث

يدرس مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر مشروعا لتسجيل ما تضمنته مكتبة الأزهر من ذخائر التراث الاسلامي وتصويره والعمل على نشره على المراكز العلمية العالمية .

آثار ابن سينا

انشىء في ايران متحف خاص سوف يضم آثار الشيخ الرئيس ابن سينا ومؤلفاته وقد بدأت البعثات الثقافية في عمليات البحث في العالم لجمع ما تركه ابن سينا من آثار ثقافية وفلسفية .

النشاط الثقافي في العالم

مهرجانات بوشكين الشعرية

في السابع والعشرين من ماي الماضي 1979 استقبلنا المستعرب ايغوريز ماكوف والمترجمة الفرنسية هيلين في مطار موسكو وأكرم هذا الرفيق الصديق وفادتنا واستضافنا مشكورا ، وإثر العشاء ودعنا في محطة القطار صحبة المترجمة حيث انطلق بنا قطار « السهم الأحمر » نحو « لينين غراد » التي وصلناها ضحى اليوم الموالي 79/5/28 وفي المساء وقع افتتاح المهرجان في مسرح لينين غراد ، وهو ضخم عتيق واستمعنا الى الكلمات الرسمية والى بعض الاشعار ...

وبعد ذلك شاهدنا مسرحية تمثل حياة بوشكين وكان يجلس بجوارنا الصديق علي صالح وهو طالب سوري ينهي هذه السنة دراسته كان قد قال لنا الرفيق إيغور اننا سنجده فور وصولنا الى لينين غراد وهو الذي سيترجم قصائدنا الى الروسية ، وقد قام بهذا العمل مشكورا خير قيام وترجم لنا في مختلف المناسبات والزيارات ما يدور من حوار وترجم عنا ما نقول من كلمات في كثير من المواقف الداعية الى ذلك ، الى جانب هيلين . والملاحظ اننا قد قضينا بقية صباح ذلك اليوم متجولين في مدينة لينين غراد حيث شاهدنا جميع الاماكن التي عاش فيها بوشكين وخاصة المكان الذي تقاتل فيه مع خصمه بالمسدس حيث أصابه في بطنه ثم المنزل الذي عاش فيه وقضى فيه نحبه بعد ثلاثة أيام



○ الشاعر الروسي بوشكين

من إصابته ومنه نقل الى « ميخايلو فسكي » حيث ضريحه . وفي هذا المسكن الذي صار متحفا توجد وثائق كثيرة تتعلق بهذا الشاعر ... فالمنزل ما زال على صورته التي كان عليها أثناء حياته ... ومكتبته ومكتبه وغرفه على حالتها كأن صاحبها قد غادرها منذ برهة وجيزة وفي الحديقة المجاورة تمثال يمثل الشاعر واقفا . وتماثيل بوشكين لا تكاد تحصى في شتى الاماكن .

وفي اليوم الموالي 79/5/29 زرنا (بوشكين) وهي قرية بها قصر كاترينا الثانية ومدرسة كان قد درس بها بوشكين في صغره واثر جولة طويلة في هذه المعالم الهامة عقدت في هذا المتحف جلسة شعرية شارك فيها نخبة

من الشعراء، كنت من بينهم ممثلا لتونس إلى جانب شعراء من : ايطاليا وبوغسلافيا والهند وكوبا وتشيكوسلوفاكيا ومختلف جمهوريات الاتحاد السوفياتي ...

وفي المساء استضاف اتحاد الكتاب الوفود في ناديه الذي كان قصرا لأحد امراء عهد القياصرة وهناك ألقيت الكلمات أثناء تناول العشاء وكانت تلقائية عفوية أخوية وتكلم كل المضيفين والضيوف باسم بلادهم **وتكلم مصطفى الفارسي** باسم تونس .

وفي اليوم الموالي 79/5/30 زرنا متحف مخطوطات بوشكين الذي يحتوي على ما خلفه هذا الشاعر بخط يده الى جانب وثائق اخرى ثم تحولنا الى (الارميتاج) متحف لينين غراد الضخم الذي لا يقل قيمة واهمية وثراء، عن متحف اللوفر بباريس ان لم نقل انه يفوقه ... والحديث عن هذا المتحف يحتاج الى حديث طويل ووثائق تستغرق كتابا كاملا فالتماثيل والرسوم والادوات والاواني .. أكثر من أن تحصى أو توصف .

وفي المساء غادرنا لينين غراد متجهين الى مدينة (بوسكوف) .

وفي اليوم الموالي 79/5/31 تجولنا في معالم هذه المدينة الواقعة في ضواحيها : كنائس قديمة حيث المتعبدون والمتصوفون وقلاع عتيقة وفي المساء ذهبنا الى مصنع القطع الكهربائية للسيارات بهذه المدينة حيث سمعنا شعرا كثيرا من مختلف المشاركين وكلمات ترحيب وشكر ... ثم استضافنا المسؤولون عن هذا المصنع في الغابة على ضفة النهر ... فكان عشاء رائعا تخلله كلام شعري طريف ... فتفاءلت بمستقبل الشعر الذي يهتم به أصحاب المصانع والآلات .

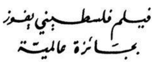
وفي صباح اليوم الموالي 1979/6/1 زرنا متحف لينين فقد نفي الى هذه المدينة عندما كان في الثلاثين من عمره إثر نفيه الأول الى سيبيريا وفي هذا المتحف كثير من الوثائق المتعلقة به في تلك الفترة كما زرنا « الكرملين » الموجود بهذه المدينة وهو ثالث كرملين في البلاد الروسية الى جانب « سوس دل » و « موسكو » . ثم شاهدنا « متحف الايقونات » وفيه روائع الرسوم العتيقة المتعلقة بالمسيح والمسيحيين والقديسين ومريم العذراء . وفي اليوم الموالي 1979/6/2 سافرنا نحو قرية « ميخايلوفسكي » التي نفي فيها بوشكين بعد أن خفف القيصر عنه العقاب ونقله من منفاه الأول الى هذه القرية التي أحبها الشاعر وأوصى بأن يدفن فيها ... ففيها كتب أروع أشعاره ...

أدينا زيارة إلى قبره الواقع خلف كنيسة في أعلى ربوة ثم تجولنا في الغابة .

وفي صباح اليوم الموالي 1979/6/3 توجه الزائرون والمواطنون في موكب فخم الى ضريح بوشكين حيث وضعت عليه باقات الزهور وأنشدت الأناشيد وعزفت الألحان داخل الكنيسة المحاذية للقبر ثم توجه الحاضرون الى ساحة فسيحة جدا تقع في غابة مجاورة وهناك فوق منصة ملاصقة للغابة أقيم المهرجان البهيج حيث توالى على المنصة الشعراء من مختلف أنحاء العالم ومن مختلف الجمهوريات السوفياتية وأنشد مصطفى الفارسي قصيدة مترجمة عن شعره الفرنسي وكاتب هذه السطور قصيدة خاصة بالملتقى بعنوان : « صفحة من الماضي المظلم » ترجمها الصديق السوري علي صالح نثرا وسكبت عليها الشاعرة الروسية « لويا » شيئا من شاعريتها فصيرتها شعرا موزونا في لغتها ثم الاخ علي صالح في قصيدا عن بوشكين وان نسيت فلا أنسى تلك الجلسة الشعرية الرائعة في رابعة النهار تحت لفح شمس افريقية نادرة المثال في تلك الربوع . ثم عدنا الى بوسكوف حيث أقيم عشاء تودعي ألقيت فيه الكلمات الودية واثر ذلك سافرنا الى موسكو بالقطار وقد وصلناها على الساعة الحادية عشرة والربع صباحا .. وفي المساء تجولنا في كل ما له صلة ببوشكين فهذه الدار التي ولد فيها ثم تمثاله أمام سينما روسيا في ساحة بوشكين ولعلها أجمل ساحة في موسكو ثم متحف بوشكين الذي يضم آثاره المطبوعة والمخطوطة وكثيرا من الوثائق الهامة والملاحظ ان جميع محتويات هذا المتحف تبرع بها اصحابها للمتحف بدون مقابل . ومن أجمل ما رأيت وأثر في جميع الزائرين مكتبة كانت على ملك أحد المثقفين الروسيين أهدتها زوجته الى هذا المتحف وظلت تعمل في هذا القسم بدون مقابل حبا لمكتبة زوجها الراحل . وقد أعطت لمحة عن محتويات المكتبة ومميزاتها .

هذا ما يتعلق بمهرجان بوشكين وفي الأيام القليلة الباقية لنا في موسكو بعد انتهاء المهرجان زرنا معهد الاستشراق يوم 1979/6/6 حيث استقبلنا أنا ومصطفى الفارسي الرفقاء المستعربون المهتمون باللغة العربية وخاصة الرفيق (فلاديمير شغال) المهتم بالأدب التونسي فأعلمونا بأنهم ترجموا مختارات من القصص التونسية لمصطفى الفارسي والبشير خريف ومحمد فرج الشاذلي ومحمد المرزوقي وسمير العيادي وغيرهم وطلبوا منا المزيد من الآثار التونسية ليعرفوا بها ... وفي مساء ذلك اليوم حضرنا حفل الاختتام للمهرجان بالعاصمة في مسرح « تشايكوفسكي » تكلم فيه كثير من المنظمين والشعراء، ومن بينهم الشاعر الروسي الكبير « يفتوشنكو » الذي قرأ شيئا من شعر بوشكين .

اعداد : نور الدين صمود



فيلم ـ حصار مضاد ـ الذي مولته منظمة التحرير الفلسطينية وأخرجه قيس الزبيدي فاز بجائزة خاصة في مهرجان « أوبرهاوزن » للافلام القصيرة مع العلم أن مهرجان « أوبرهاوزن » يعتبر أهم المهرجانات للأفلام القصيرة .



انعقد في صوفيا المؤتمر الأول للجنة التي ستتولى كتابة تاريخ السينما ، في العالم عبر سلسلة مجلدات تشكل موسوعة السينما العالمية .

ويكتسي هذا المشروع أهميته من كونه عملا جماعيا يساهم فيه عدد من نقاد ومؤرخي السينما في العالم ، ينتهي العمل في هذا المشروع عام 1988 وتشرف عليه منظمة اليونسكو بمشاركة الحكومة البلغارية والاتحاد الدولي لأرشيف الفلم .



درست لجنة توحيد المصطلحات الطبية العربية التابعة لمنظمة الصحة العالمية في اجتماعاتها الأخيرة إصدار معجم طبي باللغات العربية والفرنسية والانكليزية في أفريل 1980 ويضم حوالي 40 ألف كلمة وهذا المعجم

سيكون مكملا للمعجم الطبي الذي صدر ببغداد 1972 باللغتين العربية والانكليزية كما أنه سيساعد على توحيد المصطلحات الطبية التي تدرس في كليات الطب العربية .

أكثر الشعوب قراءة

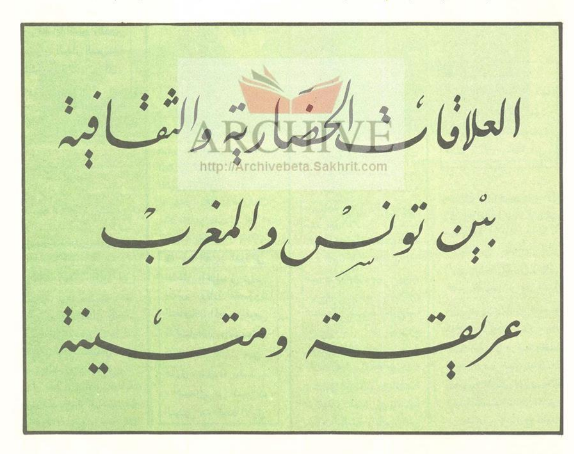
قامت إحدى دور النشر بدراسة أثبتت أن الشعب الصيني أكثر الشعوب قراءة على وجه الأرض . فقد نصت هذه الدراسة على أن كل مدينة في الصين لها دور النشر الخاصة بها . ففي مدينة شنغهاي مثلا وهي من أكثر مدن العالم اكتظاظا بالسكان يوجد 85 مكتبة رئيسية و 24 دارا للنشر ويبلغ ما تطبعه هذه الدور سنويا 1.500 عنوان .

المرأة العربية والمعاصرة

ـ أصدرت دار العلم السوفياتية كتاب « المرأة العربية المعاصرة » للمستشرقة السوفياتية لويز اشابدولينا . ويتناول دور النساء في حركة التحرر الوطني في الشرق العربي وفي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المعاصرة في الأقطار العربية .

بيبليوغرافيا المقالات حول المرأة العربية

ـ صدر عن مكتبة هارفرد في الولايات المتحدة الامريكية « فهرس ألف مقال عن المرأة العربية خلال مائة عام » جمع أليس شكري دباب مراجعة وتقديم فوزي عبد الرزاق . يضم الكتاب فهرس العناوين ـ فهرس المؤلفين المشاركين والأعلام ـ فهرس المواضيع حسب الدول ـ الفهرس الموضوعي ـ المصادر ، وذلك في 115 صفحة من الحجم الكبير .



خطب ورسائل للخلفاء الفاطميين

تقديم وتحقيق

محمد اليعلاوي

خُطبٌ ورسَائل للخلفاء الفاطميّين إبّان ثورة أبي يزيد (323/934 - 336/947)

تقديم

كنّا نشرنا بمجلّة « حوليّات الجامعة التونسية » (1) طائفة من القصائد والأبيات المتّصلة ، إن مدحا أو ذمّا ، بالخلفاء الفاطميّين الأربعة الأوّل ، جمعناها من مصادر مخطوطة ومطبوعة . وأردفنا تلك المجموعة بطائفة أخرى جرّدناها من الجزء الخامس من كتاب « عيون الأخبار » للدّاعي إدريس عماد الدين ، تتّصل بالخصوص بثورة أبي يزيد الخارجيّ ، وستنشر في العدد السابع عشر من المجلّة نفسها .

والداعي إدريس بن الحسن هو الداعي الفاطميّ التاسع عشر في الفترة اليمنيّة من تاريخ الدعوة الاسماعيليّة ، تولّى زعامة المذهب سنة 832 / 1428 الى وفاته سنة 872 / 1468 . فهو مؤرخ متأخّر بالنظر الى الفترة التي يؤرّخ لها ، فلا غرابة أن ينقل صراحة عن مصادر فاطميّة ، قديمة معروفة مثل « استتار الامام » و« سيرة جعفر الحاجب » (2) ، و « سيرة الأستاذ جوذر (3) » و « افتتاح الدعوة » (4) و« المجالس والمسايرات » (5) للقاضي النعمان ، أو مجهولة مفقودة كرواية القاضي النعمان لأحداث ثورة صاحب الحمار ضمن « أخبار الدّولة » الذي ألّفه بطلب من المعزّ (6) .

وكتاب الدّاعي إدريس ـ وعنوانه المطوّل هو : « عيون الأخبار وفنون الآثار ، في ذكر النبيّ المختار ، ووصيّه عليّ بن أبي طالب قاتل الكفّار ، وآلهما الأئمّة الأطهار » ـ يشتمل على سبعة أجزاء تنطلق مادّتها من بدء الخلق ، وينتهي بمقتل الآمر سنة 524/1130 . وقد نُشر منها الى حدّ الآن الجزءان ـ أو السّبعان ـ الرابع والخامس ، نشرهما (7) و « حقّقهما الدكتور مصطفى غالب » الذي ، لئن افتخر بانتسابه الى الطائفة الإسماعيليّة فانتصب « مؤرّخا » لرجالها كالآغاخان الراحل ، وحارسا غيورا لما تحصّل عليه من وثائقها ، فهو غريب عن الأصول المشترطة في محقّقي التّراث ، وأوّلها الأمانة العلميّة ، ثمّ المعرفة والخبرة والاختصاص والتّواضع ، وأخيرا العمل والاجتهاد . وهي صفات لا تظهر قطّ في الجزءين اللذين « حقّقهما » ، ولا سيّما الخامس الذي

---

1 ـ العدد 10 . سنة 1973 . ص 96 .

2 ـ نشرها ايفانوف الباحث الانقليزي المختص بالاسماعيلية بمجلّة كلية الآداب بالقاهرة مجلد 4 . جزء 2 . ديسمبر 1936 . ص 89 .

3 ـ نشرها محمد كامل حسين منشىء السلسلة الفاطميّة ومحمد عبد الهادي شعيرة بالقاهرة سنة 1954 .

4 ـ نشرته وداد القاضي ببيروت سنة 1970 . ثم فرحات الدشراوي بتونس سنة 1975 .

5 ـ نشر بتونس سنة 1978 (كليّة الآداب) .

6 ـ أشار القاضي النعمان إلى هذا الكتاب في المجالس ص 117 .

7 ـ الرابع . بيروت . 1973 (دار التراث الفاطمي ؟) .
الخامس . بيروت بدون تاريخ (دار الأندلس) .

أفعم بالأخطاء ، وحرّف نصّه عمّا كان في المخطوطة ، حتى صارت قراءة النسخة الخطّيّة أضمن للفهم الصحيح من قراءة النصّ المطبوع .

ونحن ، إذ نأسف لهذا التّهاون ، فإنّ أسفنا مضاعف : أوّلا ، لأنّ هذا الجزء الخامس نفيس ثمين بما يورده من تفاصيل جديدة عن ثورة صاحب الحمار تستوجب وحدها النشر المتفصل والدراسة المعمّقة (1) . وثانيا ، لأنّا ، سعيا إلى نشر كلّ ما يتّصل بتاريخ تونس ، نوينا تحقيق هذا الجزء على مخطوطة وافانا بها الباحث الكبير الدكتور إحسان عبّاس ، وشرعنا فعلا في العمل ، حتّى طالعتنا طبعة « الدّكتور » غالب ، فأصبحنا محجوجين مغلوبين ، ولا غالب الاّ اللّه .

فقصرنا همّنا ، مكرهين ، على دراسة الخصام العقائدي بين أهل القيروان السنّيين وحكّامهم الفاطميّين ، كما يظهر في شعر الشعراء ، وعلى تتبّع مواقف الخلفاء السّياسيّة والعقائديّة من خصمهم العنيد ، وذلك من خلال خطبهم الرّسميّة الى رعاياهم ، ومراسلاتهم مع رجالات الدّولة .

هذا وقد اكتفينا بإعادة تحقيق الخطب والرسائل التي لم تنشر في غير كتاب عيون الأخبار . فأهملنا الرّسائل التي أوردها القاضي النعمان في افتتاح الدّعوة مثل رسالة المهديّ إلى أشياعه في القيروان وسائر البلدان (افتتاح ـ ص 294 من نشرة الدشراوي ، وعيون الأخبار ص 109) ، ورسائل أبي عبد الله الداعي الى أتباع المهديّ (افتتاح ، ص 261 و ص 289 ، وعيون ... ص 102 و ص 106) .

كما أهملنا خطبة العيد التي توجّه بها القائم ـ وهو وليّ العهد ـ الى أهل الاسكندريّة (عيون ... ص 129) لأنّها لا تهمّ أهل افريقيّة مباشرة . ولئن أقدمنا على نشر بعض الرسائل والخطب التي نشرت في سيرة الأستاذ جوذر (النصّ الثاني والنصّ الخامس) فلأنّ فيها بعض الزيادات على نصّ العيون أو لأنّها تحتاج الى توضيح .

ويتمثّل عملنا في تقديم النصّ أوّلا في صورة حاولنا أن تكون مفهومة واضحة ، ثمّ التّعليق عليه بما يعرّف بالأشخاص والأماكن والوقائع ، وبشرح المعتقد الاسماعيليّ في الإمامة واستحقاق الأئمّة لخلافة الرسول (صلعم) دون غيرهم ، وبوضّح السّياسة التي سلكوها لاستدراج أهل إفريقية وفصلهم عن أبي يزيد .

ورجاؤنا أخيرا أن لا يطلع علينا الجزء السّادس ـ وهو الّذي يعرض لأخبار المعزّ ـ في صورة من الاهمال والاستخفاف مماثلة لحال الجزء الخامس هذا .

1 ـ استغرقت رواية ثورة أبي يزيد الصّفحات 172 ـ 330 من الجزء الخامس المطبوع .

I

رسالة القائم إلى لهيصة من الكتاميين يستنجد بهم على أبي يزيد

عيون ... ط ، 199 ، خ ، 146 .

بعد استيلاء أبي يزيد على سوسة ، توقّع القائم محاصرة المهديّة « فأمر بحفر خندق حول أرباضها لسبع بقين من ربيع الأوّل من سنة ثلاثمائة وثلاثين . وأمر بانفاذ الكتب الى الكتاميّين وإلى من يليهم ، وأمرهم بالحركة الى المهديّة وحضهم على الجهاد للخوارج النكّاريّة اللعناء ، وندبهم أن يأتوه خفافا وثقالا ... وبعث بالكتب في السرّ والخفاء ، لئلاّ يطّلع عليها أبو يزيد ومن تابعه من الأشرار الخبثاء (1) . فأخذ أصحاب أبي يزيد بعض الرسل ومعه كتاب من تلك الكتب ، وقد كان الرّجل جعله مجلّدا بين تمائمه . وجاؤوا الى أبي يزيد لعنه الله بالكتاب ، ففتحه وقرأه وهذا نصه (2) :

الحمد لله ربّ العالمين ، والعاقبة للمتّقين .

من عبد الله محمد بن أبي القاسم القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى جماعة لهيصة . سلام عليكم ! فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا اله إلاّ هو ، ويسأله أن يصلّيَ على محمد عبده ورسوله ، صلىّ اللّه عليه وعلى عِترته الأبرار ، الطيّبين الأخيار .

أمّا بعد ، فقد تقدّمت كتب أمير المؤمنين إليكم يتلو بعضُها بعضا ، يأمركم بالاسراع في الخروج بالاحتفال بالخيل والرجال ، لجهاد الفاسقين ، الكفرة المارقين ، أهل أوراس (3) ، اذ جهادهم أفضل من جهاد المشركين

1 ـ كثيرا ما يجنح الداعي إدريس ، أو صاحبه الذي نقل عنه ، إلى السجع ، خصوصا في المواقف التي يقصد منها الاثارة بالاستحسان أو الاستهجان ، فلا يستنكف من التهويل والمبالغة وحتّى الخرافة .

2 ـ لا يذكر المؤلف كيف تحصّل على نصّ الرّسالة ، ولعلّها نسخة من رسالة موحّدة في الصّيغة والمحتوى وجّهها القائم إلى كافة أنصاره .

3 ـ جبال أوراس كانت منطلق ثورة أبي يزيد ، وأوّل انتصار له كان على عامل باغاية صولات بن مملول في جمادى الأولى سنة 323 .

(1) . وكانوا بالأربس (2) بعد قتلهم من قدروا عليه من إخوانكم ، وسبيهم ذراريهم ، وانتهاكهم حرمهم ، وأكل أموالهم ،وتقوّوا على ذلك بنفاق أهل إفريقيّة كافّةً معهم ، ومعاضدتهم إياهم على فسقهم (3) . فقد آلت أمورهم إلى ما تقدّم به الكتاب (4) من غدر بخليل (5) بداخل مدينة القيروان مع معاونة الفجرة أهلها وهم على ذلك ، سيما أنّ اللّه عزّ وجلّ . أنزل بهم من الخزي والنّكال ، وسبي الذراري / ، وانتهاب الأموال ، ما في (خ 146) أقلّه شفاء لما في الصّدور ، وعبرة لأولي العقول ، جزاء لهم بكرهم .

فتثاقلتُم عن القدوم ، وتربّصتم عما لكم فيه الحظّ الجسيم لدينكم ودنياكم حتّى استقدر الكفرة مع دجّالهم الّذي نصبوه علَما لنفاقهم ، ونزلوا على أثنين وعشرين ميلا من المهديّة ، وانحفل جميع إخوانكم بمن تخلّص من أهاليهم ، وأبنائهم اليها ، وهم متثبّتون على المصافّ لقتال الكفرة الأخسرين . وهم منتظرون لقدومكم ، فاعلموا ذلك ، وبادروا بالقدوم ساعةَ ورود هذا الكتاب إليكم ، فان كان سبب تخلّفكم لخروج الرجّالة ، فانهضوا بالخيل وحدَها مسرعين وجدُّوا ، وخُذوا في ذلك بالجدّ وقوّة العزم ، واحذروا أن يكون لكم تثبّط وتثاقل ، مبتغين لما يرضي اللّه عزّ وجلّ ، ويحمد أمير المؤمنين إليكم ، وتستزيدون من النّعمة عندكم ، لأولاكم وأخراكم ، إن شاء اللّه ، والسلام عليكم ، ورحمة اللّه .

1 ـ هذا حكم قاس خطير يدلّ على مدى خوف الفاطميّين على سلطانهم من ثورة أبي يزيد . والأئمّة ، والحقّ يقال ، لم يقعدوا عن قتال الروم أيضا في صقلّية وجنوب إيطاليا .

ولكنّ المعز الفاطميّ يعيب على الناصر الأمويّ مهادنته للامبراطور البيزنطي للتفرّغ لقتال حكّام إفريقيّة . وكأنّ أمير قرطبة يطبّق بذلك حكم القائم هنا (انظر المجادلة بين المعزّ والناصر ابتداء من ص 164 من المجالس والمسايرات) .

2 ـ الأربس : موقع بين الكاف (شقبنريّة) ودقّة الأثريّة . وكان كما يقول المؤلف « مدينة عظيمة ، وهي باب إفريقيّة ، ولما أخذت في أيام بني الأغلب ، وهنت دولتهم ... » (ص 181) . غدر بها أبو يزيد بعد أن آمّنها فدخلها « للنّصف من ذي الحجّة « سنة 333 وقتلوا المشارقة ـ أي الشّيعة ـ وأتباع السّلطان ... ولجأ كثير من أهلها إلى المسجد الجامع فقتلوا فيه ، وأفتضّت الأبكار من النّساء في المسجد ، وأظهروا الكفر والطّغيان ، وزادوا على كفر فرعون وهامان » (ص 181) . والأربس اليوم أثر بعد عين .

3 ـ لقد اختار أهل القيروان مُرُوقَ الخارجيّ على بدعة الشّيعة ، ولفقهائهم في ذلك مواقف مشهورة رواها المالكي في رياض النّفوس : انظر ترجمة أبي إسحاق السبائي هناك .

4 ـ هذه الرسالة لم يتقدّم ذكرها في الكتاب .

5 ـ خليل بن إسحاق التميميّ : أحد قوّاد الدّولة المعروفين ، ولاّه القائم على صقلّية فأخمد ثورتها سنة 329 / 940 . ثمّ جعله في عسكر القيروان لمجابهة أبي يزيد فأظهر تخاذلا غريبا في مقاومته إلى أن ظفر به صاحب الحمار فقتله شرّ قتلة في صفر 333 . وكان خليل شاعرا رقيقا . (انظر افتتاح الدّعوة ، نشر الدشراوي ص 140 فرنسي ، تنبيه 2) .

II
خطبة القائم محاصرًا بالمهديّة في رجب سنة 333هـ

سيرة الأستاذ جوذر ، ص 53 .

عيون ... ط ، 205 ، خ ، 151 .

... « ورحل أبو يزيد يريد المهديّة لثلاث خلون من جمادى سنة 333 ، ووجّه كثيرا من البربر إلى باب الفتح (1) ، وكان هناك عسكر أمير المؤمنين (عم) من كتامة . ووجّه الى الباب المعروف بباب أكّه أيوب الزويلي ، وكان هناك من قوّادأمير المؤمنين صندل الخادم الأسود في العبيد المسترقّين لأمير المؤمنين (عم) .

وتوجهَ أبو يزيد الدّجّال بنفسه ومعه أبطال الرّجال من حماته وغزاته ومن أهل القيروان ، ومن انضمّ اليه من جبل أوراس وأعمال إفريقية وسائر البلدان ، وقد انتقاهم واختارهم ، فقصد الخندق المحدث ، وكان عليه من رجال أمير المؤمنين رشيق الرّيحاني الكاتب في عدّة من العبيد ... » (ص 202) .

ووقع قتال شديد على السور والخندق بالسّهام والرّماح واقتحم أبو يزيد شاطىء البحر ووصل إلى مصلىّ العيد الذى ابتناه المهديّ خارج المهديّة عند موقع السّهم الّذي رماه من قصره فقال : إنّ الدجّال ينتهي اليه (2) .

وانصرف أبو يزيد عن المصلىّ « فقال القائم لمن حوله : « ابشروا ! فقد بلغ الفاسق إلى أقصى مدى غايته ، وقد انصرف عنكم ، وليس ترونه بعد هذا بالغا إلى هذا المكان أبدا » ...

واستنفر أبو يزيد ـ حين طال الحصار ـ أهل القيروان وأخذهم بالخروج إلى عسكره بجميع ما عندهم من القوّة والعدّة ، « وزحف بهم وبجميع عساكره إلى المهديّة يوم الاثنين لسبع بقين من رجب سنة 333 » .

وأنشأ الامام القائم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه خطبة يحرّض فيها المؤمنين ، وأمر / (خ 150) المروذي (3) قاضيه بالمهديّة ان يقرأها عليهم ، يقول

1 ـ باب الفتح أو باب الفتوح : هو« السّقيفة الكحلاء » المعروفة اليوم بالمهديّة .

2 ـ قصّة هذا التنبّؤ من المهديّ مذكورة في معظم كتب التّاريخ (انظر افتتاح الدّعوة ، ص 327 عربيّ) .

3 ـ المروذي : القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد ، صحب المهديّ والقائم والمنصور ، وله في مناقبهم أرجوزة مطوّلة (انظر الحوليّات ، 1973 ، ص 157) .

فيها بعد حمد الله تعالى والثناء عليه ، والصلاة على النبيّ محمد وآله الطاهرين :

أيها الناس ، إنّ هذا اللعين النكّاري قد استشرى شرّه واستوبأ مرتعه ، وحملته الأماني الغرّارة ، والنفس التي هي بالسوء أمّارة ، على أن يغمط نعمة الله عليه ، وسوّل له الشيطان الذي هو قرينه أن لا غالب له ، وإنما أرخى له أميرُ المؤمنين في زمامه ليعثر في فضل خِطامه ، فلعنه الله لعنا وبيلا ، وأخزاه خزيا طويلا ، وصيّره إلى نار لظى « لاَ يَصْلاَهَا إلاَّ الأَشْقَى » (1) .

وقد علمتم يا معشرَ كتامة ما مضى عليه آباؤكم ، وقدماء أسلافكم من لزوم الطاعة ، والاعتصام بحبلها ، والتفيُّءِ بظلّها ، والمجاهدة في الله حقَّ جهاده ، وأنكم خبيئةُ الله لهذا الحقّ المحمّدي ، الفاطمي ، المهديّ ، حتى أظهره وأعلاه ، وجعل لكم فخره وسناه ، فانتم كحواريّي عيسى ، وأنصار محمّد صلى الله عليهما (2) .

يا أبناءَ المهاجرين والأنصار ، والسابقين الأوّلين المقرّبين ، أليس بكم أزال الله دُوَلَ الظالمين التي مضت لها أحقابُ السنين ، حتى جعلَهم حصيدا خامدين ، وأورثكم أرضهم ، ودیارهم ، فصرتم تَغْزُون ، بعد أن كنتم تُغْزَوْن ؟

ونزل بإزائكم دجّالُ لعين في شرذمة ضالّة مضلّة ، لم يستضيئوا بنور هداية ، فهم كالأنعام المهملة ، والصور الممثّلة ، والخُشُب المُسندة ، والحُمُر المستنفرة ، إن قاموا هلكوا ، وإن طولبوا أُدرِكوا ، فلا تنكِصُوا بعد الإقدام ، وأنتم حزب الله ، وهم حزب الشيطان ، وقتيلُكم في الجنة ، وقتيلهم في النار . فأيُّ حقّ بعد هذا الحق تطلبون ، ومع أيّ إمام بعد إمامكم تقاتلون ؟

فقاتلوا رحمكم الله أحزاب الضلال ، وذئابَ الطمع ، وفراش النار ، واطلبوهم في نواحي الأرض وأقاصي البلدان ، وجميع الآفاق ، حتى يُحِقَّ اللّهُ الحقّ ، ويُبطِلَ الباطلَ ، ولو كره المشركون .

فلمّا سمع الأولياء هذه الخطبة ، قالوا : سمعا وطاعة وارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج ، وانصرفوا للقتال ...

---

1 ـ اللّيل ، 15 .

2 ـ من المعلوم أنّ كتامة هم شيعة الأئمّة الأوّلون . وجندهم الأوفياء الذين ناصروهم منذ حلول أبي عبد اللّه الدّاعي بإيكجان إلى أن اصطحبهم المعزّ الى مصر . فقاتلوا أعداءه بالمشرق ، وأشتهر من بينهم قوّاد متفوّقون ، مثل جعفر بن فلاح الكتاميّ . فلا غرو أن يقارنهم القائم والمنصور والمعزّ من بعده ، بالمهاجرين والأنصار أو بالحواريّين .

ويفهم من مخاطبة القائم هنا لهم أنّ حامية المهديّة كانت من الكتاميّين خاصّة ، فلذلك خصّهم بالتّحريض .

III

خطبة المنصور عند تعيينه لولاية العهد

عيون ... خ 167 ، ط ، 224 .

« وأظهر أمير المؤمنين أبو القاسم محمد القائم بأمر اللّه أمر ولده أبي الطاهر إسماعيل المنصور باللّه صلوات اللّه عليهما ، لسبع خلون من شهر رمضان المعظّم من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (1) ، وفوّض إليه عهده ، وأوعز اليه بوصيّته ، وأعلم بذلك أهل دعوته ، وأبان لجميعهم أنّه وليّ عهدهم ، والخليفة من بعده . وكتب بذلك إلى الأمصار والبلدان والجزائر (2) ، وعرّف به كلّ باد وحاضر .

وكان المنصور باللّه عليه السلام يومئذ قد بلغ من العمر ثلاثا وثلاثين سنة ...

... ولَمّا كان يوم الفطر خرج المنصور باللّه أبو الطاهر إسماعيل بن أبي القاسم القائم بأمر اللّه عليهما الصلاة والسلام ، للصلاة من قصره . وقد حفّ به بنوه وإخوته وشيعته وأولياؤه وأهل دولته وعبيده . والناس يرفعون أصواتهم بالدعاء له ويسألون اللّه (تع) أن يركسَ عدوّه ويخذِلَه . والأعلامُ تنشَرُ . والطبُول تُضْرَبُ ، والمسرّة قد ملأتِ القلوب وأثلجت الصدور ، ونجومُ السعد قد طلعت قاضية لأولياء اللّه بالظهور .

فحين أنتهى الى المصلّى صلّى صلاة العيد وقام عليه السّلام خطيبا وقال :

باسم اللّه الرحمان الرحيم .

الحمد للّه الذي أحسن الينا في قضائه وأضفى بالجزيل من عطائه . أحمده حمد من شكر حسناه . وأثر في الأمور كلّها رضاه . وأستعينه / أستعانة من لا يرجو غيره ولا (خ 167) يثق بسواه . ولا يتوكّل إلاّ عليه في أولاه / وأخراه . [ط 225]

وأشهد أن لا إلاه إلا اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله أصطفاه لوحيه واختاره لتبليغ رسالته . فابتعثه داعيا إلى الحقّ وشاهدا على الخلق . فبلّغ رسالة ربّه . ونصح لعباده ، وجاهد في سبيله . صلّى اللّه عليه نبيّا مصطفى ، ورسولا مرتضى ، وسلامه [عليه] ورحمته وبركاته .

عباد اللّه ! إنّ يومكم هذا يوم عيد ، شرّفه اللّه وعظّمه وفضّله وكرّمه . ختم به شهر رمضان وآفتتح به حجّ بيته الحرام . فأخلصوا فيه نيّاتكم ، وأرفعوا إلى اللّه (تع) فيه طلباتكم . وأستغفروا لسيّئاتكم ، فإنّه يقول جلّ ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه :

« استَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّارا » (3) .

اتّقوا اللّه عبادَ اللّه . فبتقواه نجح الطّالبون وفاز الفائزون ، وهي وصيّة اللّه (عج) في الأوّلين والآخرين ، وتمسّكُوا بطاعته ، وحافِظوا على ما استحفظكم اللّه (تع) من دينه وكتابه ، واسترعاكم من حقوقه وحدوده . فلمثل ما رغّبكم اللّه فيه من جزيل ثوابه وكريم مآبه ، وخوّفكم من عقابه وأليم عذابه ، فليعمل العاملون !

ألهمَنا اللّه وإيّاكم رُشدَنا وعزم لنا ولكم على تقواه واتّباع هداه وبلوغ رضاه .

•

1 ـ في تاريخ التعيين اختلافات أشرنا إليها في ص 137 من كتاب المجالس والمسايرات ، تنبيه 3 ، فلينظر هناك .

2 ـ الجزيرة : مصطلح إسماعيليّ يعني رقعة من الأرض تكون محلّ الدعوة . انظر المجالس ، ص 265 تنبيه 3 .

3 ـ نوح ، 10 .

الخطبة الثانية :

وجلس (عم) جلسة خفيفة ثم قام وقال :

باسم الله الرحمان الرحيم

(خ 168) الحمد لله مسبغ النعماء ، وكابت الأعداء ، ومستحقّ الشكر والثناء .

وصلّى اللّه أفضل صلواته على أفضل أنبيائه محمد خاتم النبيّين وسيّد المرسلين ، وعلى آله الطيّبين .

اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد ، وأرحم محمّدا وآل محمد (1) ، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كأفضل صلواتك وبركاتك ورحمتك على إبراهيم وعلى آل ابراهيم ، إنك حميد مجيد .

اللهمّ ، وصلّ على شمس الهدى (2) الذي بضيائه أشرق [ط 126] الاسلام وانجاب الظلام ، وعزّ الدين ، وتمّت النعمة على المؤمنين . عبد اللّه أبي محمد الامام أمير المؤمنين المهديّ باللّه من المهديّين . الكريم بن الأكرمين ، صلّى اللّه وملائكته عليه ، وأكرم اللّه مثواه لديه في المُقام الكريم ، والنعيم المقيم .

اللهمّ ، وصلّ على وليّ الأمر ، ووارث المجد والفخر ، الذي أعظمت عليه مِنَّتَكَ ، وأسبغت عليه نعمتك ، وألبسته حلل الكرامة ، وتوّجته تاج البهاء والخلافة ، وجمعت له خلافة الأنبياء المُرسَلين ، وإرثَ آبائه الأئمّة المستخلفين ، الهُداة المهديّين ، الأوصياء المنتجَبين ، محمد الامام القائم بأمر اللّه أمير المؤمنين .

اللهمّ ، عرِّفه فيما وليّته واسترعيته ، واستحفظته عليه وأئتمنته / أفضل ما عرّفت أحدا قبله من خلفائك الأئمّة الراشدين ، آبائه المهديّين ، من النصر والاعزاز والتأييد والإظهار . وأوقع بأعدائه ، شرقا وغربا ، برّا وبحرا ، أشدّ ما أوقعت وأحللت بأحد من أعدائك من السطوات والنقمات والقوارع والمبيدات ، والمَثُلاتِ (3) المخزيات ، ودمِّرهم تدميرا وأصْلِهم سعيرا .

اللهمّ ، انصر به الدين ، وأيّده بالظهور والتمكين ، والعلوّ والقهر ، والنصر والظفر ، وأجعل كلمته العليا ويده الطولى ، وجندَه الغالبين ، وحزبَه المنصورين ، وافتح له فتحا مبينا تُعزُّ به الدين ، وتَشفي به صدورَ المؤمنين ، إلاهَ الخلق ربَّ العالمين ، إنك سميعُ الدعاء ، فعّال لما تشاء ، لا تخلف الميعاد .

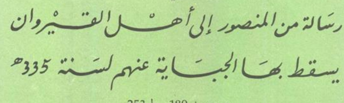
ثم نزل صلّى اللّه عليه وعاد إلى قصر أبيه أمير المؤمنين والناس مستبشرون فرحون بيمن طلعته وإقبال دولته .

1 ـ الترحّم على الرسول غير معروف عند أهل السنّة .

2 ـ ألقابُ التقديس جارية على ألسنة شعرائهم مثل ابن هانيء .

3 ـ المَثُلَةُ والمُثْلَةُ : العذاب والعقوبة . قال تعالى : « وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ » (الرّعد ، 6) .

IV



عيون : خ 189 ، ط 253 .

دارت معارك طاحنة بين الثوار وجيش المنصور على أبواب القيروان ، وكان المنصور قد احتفر خندقا حول المدينة استعدادا لهجوم أبي يزيد . وكانت الوقائع سجالا بين اليوم والآخر ، وبين ميمنة وميسرة ، فربّما انهزم الجناح وثبت القلب . فدارت وقعة يوم

الجمعة لسبع خلون من المحرّم « قتل فيها من الفريقين خلق كثير ، ودخل الظّلام ، فأوقدت المشاعل ، وبقي القتال إلى الصّباح ، وتسمّى تلك الوقعة وقعة المشاعل (ص 251) » .

واستمرّ القتال أسبوعا كاملا أبلى فيه المنصور بنفسه البلاء الحسن ، فكان يحمل « على الدّجّال المارق لا يريد سواه ، ولا يقصد إلاّ إيّاه ، فكلّ من حال بينه وبينه من البربر حمل عليه فأرداه ، وكرّ عليه بذي الفقار (1) وقد أنتضاه ... » .

فكان له الفتح (2) . ولّما أصبح يوم الجمعة 14 محرّم 335 ، « أخرج أحمالا من الدّنانير والدّراهم كثيرة ، فتصدّق بها ، وفرّقها في الفقراء والمساكين ، وذوي الحاجات من المسلمين ، وتولّى تفريقها في القيروان قاضي الإمام عليه السّلام ، وهو محمد بن أبي المنصور رحمة الله عليه ، وغيره من صلحاء البلد .

... وأمر الإمام [المنصور] عليه السلام ، جعفر بن عليّ (3) ، مولى جدّه المهديّ بالله (عم) إلى جامع القيروان ، فصلّى الجمعة وأقام الخطبة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبيّ صلّى الله عليه وعلى آله ، وعلى وصيّه والأئمة الطاهرين من ذرّيته ، وأكثر من حمد الله وشكره على ما فتح لأوليائه من النصر ، وأحلّ بأعدائه من الذلّة والقهر ، وما كشف الله به عن أهل الاسلام ، الخاصّ منهم والعامّ ، من البلاء والمحنة ، وما صاروا إليه من السلام والأمنة ، ثم قال :

معشرَ الناس ، مولانا وسيّدنا الأمير إسماعيل المنصور بالله أطال الله بقاءه ، يقرأ عليكم السلام ويقول لكم :

« قد علم الله سبحانه حُسنَ نيّتي فيكم ، وما أُضمره من الخير لكم ، وما أُحبّه من صلاح أموركم ، وما أجده في نفسي من الغمّ لما حلّ بكم من البلاء ، وما نزل بكم من الفقر وذهاب الأنفس والأموال .

وانّ لي آمالا كثيرة حسنة أؤمّلها فيكم ، ما منعني عن إظهارها إلاّ كونُ هذا العدوّ بحذائي ، ومحاربتي له ، وما كان من هذه الوقائع بيني وبينه . فلو كنّا أظهرْنا ما كنّا نؤمّله من الاحسان اليكم قبل الظفَر ، لقال الجهّالُ : إنّما فعل ذلك استمالةً لقلوب الرعيّة وخوفا من العدوّ .

فلمّا كان من [منّ] الله علينا ما علِمتمُوه ، ومن نصره ما رأيتموه ، وفتح لنا على عدوّه بمنّه وطوله ، أردنا أن نقابل مِنّة الله جلّ وعلا علينا بالشكر له عزّ وجلّ ، والإحسان إلى عباده ، والرفق بخلقه ، وأن نظهر بعض ما نويناه فيكم ، إذ كان اظهاره في وقت الفتح أولى وأشبه منه قبل ذلك للوجه الذي ذكرناه .

فقد ترك لكم الأمير أعزّه الله (تع) ما يجب عليكم في هذه السنة الآتية ، وهي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، من العُشُر (4)

---

1 ـ ذو الفقار : هو سيف الرسول (ص) ثم عليّ . وللشيعة تغنّ بمناقبه كثير . انظر المجالس ص 115 تنبيه 2 .

2 ـ يسمّي جوذر هذه الوقعة الحاسمة « وقعة يوم الجمعة » ، وهي حسب السياق هنا ، دارت أسبوعا بعد وقعة المشاعل ، وانتهت ليلة الجمعة 14 محرّم 335 ، خلافا لما توهّمه ناشرا سيرة الأستاذ جوذر في تعليقها رقم 38 ص 159 .

3 ـ هو جعفر الحاجب ، الذي صحب المهديّ من سلميّة الى سجلماسة . وقد كتب سيرته محمّد بن محمد اليماني ونشرها إيفانوف IVANOV كما أسلفنا .

4 ـ العشر والصدقة واللوازم : لعلّه يعني بالعشر الزكاة المفروضة على الزروع والحبوب والذهب والفضّة ، ومقدارها يتفاوت من العشر إلى نصفه . وكذلك العشر الذي يفرض على أهل الذمّة في تجارتهم .

أما الصدقة فلعلّه يعني بها زكاة الأنعام ، ومقاديرها مختلفة بحسب الأنصبة المبينة في كتب الفقه .

أمّا اللوازم ، فالظنّ أنّه يعني بها الضرائب الاضافيّة من جنس الخمس المفروض للامام على كل فرد من رعاياه . وقد يطلق عليه أيضا عبارتا « الواجبات » و« الأعمال » (انظر المجالس والمسايرات ص 335 و 498) . وقد فصل القاضي النعمان في كتاب « الهمّة » القول في الخمس واحتجّ لشرعيّته . وانظر كذلك فصل الحبيب الجنحاني عن « السياسة المالية للدولة الفاطميّة في المغرب ، بمجلّة « الأصالة » الجزائريّة ، عدد 9 ـ 10 سنة 1977 ص 46 .

والصدَقة وجميع اللوازم ، وفعَلَ ذلك بجميع الناس مسلميهم وذمّيهم ، رفقا بهم وعونًا لهم على عِمارة أرضهم وبواديهم .

فليبلِغ الشاهدُ الغائبَ ، وليرجع كلُّ بدويّ منكم إلى باديته ، بلا مُرزِئة عليه ولا كُلفة . ثمّ إنّه لا يؤخذ منكم (1) في إقبال السنين (خ 189) الاّ العُشر والصدَقة : الطعامُ من الطعام ، والشاةُ من الغنم ، والثورُ من البقر ، والبعيرُ من الابل ، على فرائض الله سبحانه وسُنّةِ جدّي رسول الله (صلع) . ثمّ بعد ذلك يساق اليكم من الاحسان وإظهار العدل وإحياء الحقّ وإماتة الباطل ما تعظُمُ به مِنّةُ الله (عج) عليكم وتعرفو[ن] بركة أيّامي ويُمن دولتي ان شاء الله » .

فكبر الناس عند ذلك وفرحوا بما سمعوا وارتفعت اصواتهم بالبكاء والتضرع الى الله (عج) في بقاء الامام المنصور ...

1 ـ خ : منهم

V

رسالة من المنصور إلى جوذر بالمهدية موسومة باسم القائم حتى لا تعرف وفاته ، يبشره فيها بوقعة يوم الجمعة

سيرة الأستاذ جوذر ، ص 45 .

عيون ... : ط ، 255 . خ ، 190 .

وكتب الإمام المنصور بالله صلىّ اللّه عليه وسلم كتابا الى المهديّة ، وأمر عبده وعبدَ آبائه الطاهرين جوذر الأستاذ أن يقرأه على المنبر في المهديّة . وجعل عُنوانَه ولفظه إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله صلىّ الله عليه ، وقدّس روحه ، ورضي الله عنه ، وعلى ذلك كان يكاتب عبده جوذر (1) ، وكان جوذر يكتب إليه باسم أمير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، على ما نشرحه إذا انتهينا اليه بعون الله سبحانه ومنّه .

وهذه نسخة الكتاب ، بعد البسملة والصلاة على النبي وعلى آله :

اللّه أكبر . اللّه أكبر . اللّه أكبر . لا الاه الا اللّه .

واللّه أكبر . اللّه أكبر ، وللّه الحمد .

الحمد للّه على نعمه التي لا تُحصى ، ومننه التي لا تُجازى .

واللّه أكبر تكبيرَ وليّ عهد المسلمين ، سيفِ أمير المؤمنين ، ناصرِ الدين .

1 ـ يقول صاحب سيرة جوذر ، ص 44 : « ... أستخلف [المنصور] الأستاذ على دار الملك ... وكانت مكاتبة المنصور ترد إليه من مدينة القيروان ، وعنوانات الكتب باسم القائم بأمر الله بجميع ما يجري من أموره ووقائعه في جميع تلك الحروب المهولة بعد وفاة أمير المؤمنين القائم بأمر الله » .

شكرا لنعمة ربّ العالمين .

يا وارثَ النبيّين ، يا سيّدَ المرسلين ، يا خليفةَ ربّ العالمين ، يا خيرَ الخلق أجمعين ، يا وليّ ربّ العالمين !

اليومَ أعزّ اللّه دين جدّك محمّدٍ رسوله المصطفى ، صلّى اللّه عليه وعلى آله ، وسُنّتَهُ وأُمّتَه ، وأدْعمَ به أركانَ الدين ، وأظهر برهان أمير المؤمنين ، وأفلج (1) حجّته ، وأعلى كلمته ، ونصر حزبه !

اليومَ فُتحت مشارقُ الأرض ومغاربُها !

اليوم ازداد الحقّ ضياء ، وعلاء وسناء !

الحمد للّه ربّ العالمين الذي نصر عبده ، وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده .

واللّه يا سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين ، ما سمع من عهد جدّك المصطفى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله بيوم كان أعزّ نصرا وتأييدا وظفرا وقهرا منه ، بعد أن عاند الفسقة الفجرة الكفرة عناد من أيقن بالموت واستبسل ، وناصب وعاند ، فأبى اللّه عزّ وجل الاّ اتمام نوره وعلاء كلمته على كره الكافرين ورغم الراغمين .

جملة ما أبشرّ به سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين أنّ قتلاهم غطّت الأرض ، وامتلأ العسكر المنصور من غنائمهم ، وكذلك القيروان .

وما عجز الأولياء عن حمله وأستثقلوه أطلقت / عليه النار (خ 190) فأحرقته . واستولينا على مناخ اللعين بما فيه من قليل وكثير ، فقتل فيه ما لا يحصى ، سوى من قتل في المعركة ، وليس إلى إحصائهم من (2) سبيل لكثرتهم .

وكان اللعين قد صابر وحامى ، فقصدته بنفسي ، فأخذته السيوف والرماح بين يديِ .... (3) وان كان قد هرب بحشاشة نفسه فهو أسير يومه أو غده ، وأنا راحل في اثره لأشقّ البلاد طولا وعرضا ، أطأ ديار الفاسقين ، وأمحو بسيفك آثارهم بحول اللّه وقوّته ، وعزّه ونصره ، وقد بعثت بكتابي هذا الى أمير المؤمنين مولانا وسيدنا [أمير المؤمنين مع ثلاثة من عبيده ممّن شهد الوقعة الميمونة تحت ركابي ليشافهوا أمير المؤمنين (ص) بما شهدوه ، وإن كان وصف النعمة معيبا وشكرها معجزا .

والحمد للّه ربّ العالمين ، وصلىّ اللّه على محمد نبيّه سيّد المرسلين ، وعلى آله الطّيبين الطّاهرين .

وكتب يوم الخميس الثلاث عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة 335 (4).]

1 ـ أفلج الأمرَ : أظهره وغلّبه وفوّقه .
2 ـ خ : الى احصائهم من قتل سبيل .
3 ـ ... وليس على اللعين الاّ قميص واحد ـ سربله اللّه سرابيل جهنّم ! ـ فقيل إنّه قد صرع في المعركة . وقد أمرت بالتفتيش عليه . وأرجو ذلك . على أنّه ان كان قد هرب ... (زيادة من سيرة جوذر ص 46) .
4 ـ ما بين[ ]تتمّة من سيرة جوذر ، ص 46 .

VI

كِتابُ المنصُور إلى كتامة يلومهم على التخاذل ويُحرّضهم على الانكفاء إليه (1)

عيون ... خ ، 191 ، ط ، 256 .

وكان الأولياء قد اجتمعوا إلى الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، وهو في الخندق أيّام عسكره ، وقوّة عدوّه الدجّال ، وعظيم

1 ـ تاريخ هذه الرسالة المثبت في أخرها سابق لتاريخ الرسالة الماضية .

منكره . وسألوه عليه السلام أن يكتب إلى الكتاميّين الذين بقسطيلية مع الحسن بن علي (1) . وغيرهم من سائر كتامة . يأمرهم بالقدوم عليه . فكتب الامام عليه السلام . في شهر ذي القعدة من سنة أربع وثلاثين . ما هذا نصّه (2) :

« باسم الله الرحمان الرحيم .

خ 191) من الأمير إسماعيل وليّ عهد المسلمين . ابن أمير المؤمنين . إلى كافّة كتامة .

سلام على من اتّبع الهدى . وآثر الآخرة على الأولى . فانّا نحمد الله الذي لا اله إلاّ هو . ونسأله أن يصلّيَ على محمد عبده ورسوله وعلى عترته الأبرار . الطّيبين الأخيار .

أما بعد . فانّ كتابنا هذا اليكم . بعد نزولنا بالقيروان . بجيوشنا المنصورة من أوليائنا وعبيدنا . وقد أعزّ الله نصرنا . وأتمّ وعده لنا . وأعزّ أولياءنا . وأذلّ أعداءنا . وأظفرنا . ومكّن لنا البلاد . وقمع بنا جميع العباد . طوعا وكرها . والمنّة والشكر لله ربّ العالمين .

وقد تتابعَتْ اليكم . معاشرَ كتامة . كتبُنا ورسلنا . نحضكم على ما فيه رضى سيّدكم ومولاكم ومولانا أمير المؤمنين (3) . المقرونِ رضاه برضى الله ربّ العالمين . فتربّصتم . وتثاقلتم إلى الأرض . ورضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . وبالعاجلة من الآجلة . فِعلَ الذين أصمّتهمُ الدنيا وأعمتْهُم . ولا يعرفون معروفا فيُبصرونه . ولا منكرا فيرفعونه . تبذلون أنفسكم وأموالكم على حميّة الجاهلية التي معها خُسران الدنيا والاخرة . وقد أعرضتُمْ عن الجهاد . الذي أمركم الله به . صفحًا . وزهدتم في الثواب . وأمنتم العقاب . كأنّكم لم تسمعوا وعد الله تعالى ووعيده . ولا تُليت عليكم آياته . ولا قامت عليكم حجته . « كلاّ بَلْ رَانَ علىَ قُلوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ(4)» . يَا أشباهَ الرّجال ولا رجال(5)! رضيتُم بالعار فهل لكم صبرٌ على النار ؟

واعلموا أنّي لا أكتب اليكم كتابا بعد هذا . وأنّي لم أكتب اليكم [هذا الكتاب إلاّ بسؤال منْ قبلنا من أوليائنا الذين جاهدوا وصبروا . وإلحاحهم وضَرَعهم . وطلبِهم منّا الإعذار اليكم . وتأكيدَ الحجة عليكم . رجاءً منهم أن تُنيبوا إلى ربّكم . وتراجعوا التوبةَ التي هي أولى بكم . وتسارعوا الى قضاء ما افترضَه الله عليكم . من الجهاد الذي فيه تمحيص الذنوب . ومحوُ العيوب . وتفريجُ الكروب . وأنفذْنا مع كتابنا هذا رجالا تأكيدا للحجّة عليكم . وقطعا لمعاذيركم . فان تتوبوا وتُنيبوا . تجدوا الله توّابا رحيما . وان تتولّوا يُغنِهمُ الله عنكم . ويستبدِلْ قوما غيرَكم . ثم لا يكونوا أمثالكم .

والسلام على من اتبع الهدى . وآثر الآخرة على الأولى . وكُتب يوم الأربعاء لليلة بقيت من ذي القعدة . سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . وصلى الله على النبي محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين . وسلّم. »

وأنفذ الإمام عليه السلام . هذا الكتاب مع نذير بن محمد الكتامي . ومع جماعة من الكتاميّين . وسيّرَ معهم جماعة من العبيد . وقدّم على العبيد عبد الله بن جبر . فلما وصل الكتاب الى كتامة تحرّكوا مع الحسن بن علي في جيوش وتواردوا اليه الى قسطيلية من بلاد كتامة .

1 ـ الحسن بن علي الكلبي أبو الغنائم : أحد القواد الفاطميّين . وأمير صقليّة بعد مقتل أبي يزيد إلى سنة 354 / 965 . وليس من كتامة خلافا لما في سيرة جوذر (تعليق 76) .

2 ـ خ : فصّه .

3 ـ يكتم المنصور وفاة القائم . وقد مات يوم 13 شوّال 334 . أي منذ شهر ونصف تقريبا قبل هذه الرّسالة .

4 ـ المطففون . 14 .

5 ـ من خطبة لعلي بن أبي طالب في أصحابه .

VII

خطبة عيد الفطر (الأحد 1 شوال 335) بقلعة الحجارة في جبال كيانة (1)

عيون .. خ 210 ـ ط 281 .

باسم الله الرحمان الرحيم

« الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ » (2) . إلاها معبودا ، وربا محمودا ، لا نتخذ من دونه إلاها ، ولا نشرك به شيئا .

الحمد لله الذي « يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (3) » .

الله اكبر . الله اكبر . لا إلاه الا الله .

والله اكبر . ولله الحمد . « سُبْحَانَ رَبِّنَا ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (4) » .

« سُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (5) » . « سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (6) » .

الحمد لله أولا قديما لم يزل ، وآخرا باقيا لم يحل ، وعالما حكيما لم يجهل ، وجوادا كريما لا يبخل ، وسعت رحمته كلّ شيء فلا يقنط منها الاّ الضالّون ، وفطر بريّته لعبادته لا يستنكف عنها إلاّ الخاسرون ، وثبتت حجّته بحسن دلالته ، فلا ينكرها إلاّ الجاحدون . خشعت له النفوس بتعظيمها ، وأذعنت له القلوب بخشوعها ، وانحسرت الأبصار دونه عن مرامها ، وسلّمت لعزه القوى بعجزها . وشهدت له العقول بفطرتها انه كما وصف نفسه حيٌّ قيومٌ لا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ ، ليس كمثله شيءٌ ، لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ (7) » جلّ ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه ، وعزّ بهاؤه وعلا علاؤه .

وأشهد أن لا إله الاّ هو وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله المصطفى ، وأمينه المرتضى ، أرسله بالنور الساطع والبرهان / القاطع الى جميع بريّته شاهدا لمن كان قبله (خ 210) من الرسل ومصدّقا لما بين يديه من الكتب ، ودليلا على الله وداعيا اليه على حين فترة من الرسل ، وانقطاع من الوحي وطموس من الحق وضلال من الخلق ، فبلّغ عن الله رسالته ، وصدع بأمره ، ودعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة وجاهد [في سبيل الله (8)] الله حقّ جهاده ، وأدّى الأمانة الى عباده ، وعبد ربّه حتى أتاه اليقين ، صلّ الله عليه في الأولين والآخرين ، وعلى آله الطّيّبين الأوصياء المنتخبين ، الكرام المهديّين .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي لا غناء بكم عنه ، ولا موئل لكم دونه ، في ممات ولا محيى ، ولا آخرة ولا دنيا ، وابتذال أنفسكم فيما يحبه ويرضى ، ويقربكم إليه زُلفى .

---

1 ـ كيانة : قلعة أو مجموعة قلع في جبال المعاضيد بين المسيلة وسطيف بالجزائر .
2 ـ الأنعام ، 1 .
3 ـ الحجّ ، 65 .
4 ـ الاسراء ، 108 .
5 ـ الروم ، 17 ـ 18 .
6 ـ الصّافّات ، 180 ـ 182 .
7 ـ الأنعام ، 103 .
8 ـ الزيادة من المطبوع ، ص 282 .

ألا أنّ هذا يومٌ جعلـه اللـه لكم عيدا ومنسَكا (خ 211) انقضى فيه الصوم ، ودخلت به أشهر الحج . فحاسبوا أنفسكم رحمكم الله . فمن ذكر خيرا فليحمد الله وليزدد . ومن ذكر تقصيرا فليستَعْتِبْ ، او سوءا فليَتُبْ ، فإن الله تعالى « يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (1) » .

وقد فرض الله عليكم زكاة فطرتكم ، وجرت به سنة نبيكم سيّد الأنبياء صلىّ الله عليه وعلى آله . فليؤد كلّ امرىء منكم عن عياله ذكورهم وإناثهم ، صغيرهم وكبيرهم ، صاعا من بُرٍّ أو صاعا من شعير أو صاعا من طعامه ، لا يأكل من شيء ويؤدي من آخر ، فإنّ ذلك محرّم عليه وغير مجزٍ عنه .

عصَمنا اللـه وإيّاكم بالتقـوى ، وأستعملنـا وإيّاكم فيما يُحِبُّ ويرضى ، وجعل الآخرة خيرا لنا ولكم من الأولى .

الخطبة الثانية :

بسم الله الرّحمان الرحيم

الحمد لله المتوحّد بربُوبيّته ، المتفرّد بوحدانيّته ، الأوّل القديم الحيّ القيّوم ، أحمده بمحامِدِهِ كُلّها ، على أصغرِ نعمه وأجلها ، حمدًا يُوجِبُ حمدًا على حَمْد ، للتوفيق منه والرشد .

وأشهد ان لا إلاه إلاّ اللـه وحـده ، لا شريك له ، إخلاصا لتوحيده ، وأعترافا بربوبيّته .

وأشهد أنّ محمدا عبدُه أنتجبه ، ورسولُ أبتعثه ، بالوحي نُبُوَّتَه ، ونطق البرهان بحقيقة رسالته ، صلىّ اللـه عليه ، وأعلى ذكرَه ، وسلَّم ، وكرّم .

أيها الناس ، إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، ثم ثنّى بملائكته ، فقال : « إنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (2) . اللهمّ صلّ على محمّد عبدك ورسولك ، صلاةً تامّة باقية ، تزيده كرامة إلى كرامته / ، وشرفا إلى شرفه . وصلّ على جميع أصحاب أهل الكِسَاء (3) ، الطاهرين الازكياء : عليّ أمير المؤمنين ، وفاطمـة الزهراء سيدةِ نساءِ العالمين ، والحسن والحسين ، الأكرمَيْنِ الأبرَّيْنِ ، وعلى الأئمّة المهديّين من ذُرّيّة الحسين ، أعلامِ الهدى ، وبُدور الدّجى ، وساداتِ الورى ، أولياءِ الرحمانِ ، وحُجج الأزْمَانِ ، ودعائمِ الايمان .

اللهم صلّ على وارثِ كلّ مجد وثناء ، وفضل وعلا ، عبدك المرتضى ، ووليّك المصطفى ، وخليفتك العدل الرضى ، عبد اللـه أبي محمّد الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين ، الذي استضاءت بنوره الآفـاق ، وعمّ به الاشراق ، شمس الـورى ، وبـدر الدّجى ، وكاشف الضيا ، والمحي لما درس من معالم الهـدى ، بأفضل صلواتك التامّات ، وبركاتك الناميات ، وكراماتك الباقيات .

اللهم وصلّ على وليّ عهده في حياته ، وخليفته بعـد وفاتـه ، والمنتجب المجتبى ، المكرّم المرتضى ، محمّد أبي القاسم الإمام القائم بأمر الله ، ابن المهديّ بالله أمير المؤمنين ، حامل حجّة الجبّار ، ووليّ الأبرار ، وسيف الله البتّار ، ووارث سيف جدّه ذي الفقار ، صلاة تفضـل صلاة المصلّين ، رافعـة في علّيين ، خالـدة في الغابرين ، باقية الى يوم الدين .

اللهم إنّي عبـدك ووليّك أنعمت عليّ فأعظمت ، وأفضلت فأجزلت ، ورفعتني وكرّمت ، بما أفضيت إليّ من خلافـة الآبـاء الأكرمين ، الأئمّة المهديّين ، ونصبتني علما للدين وأقمتني إماما للمؤمنين ، (4) اللّهم فأتمم عليّ نعمتك ، كما أتممتها من قبل على الآباء

1 ـ الشورى ، 25 .

2 ـ الأحزاب ، 56 .

3 ـ أهل الكساء : هم عليّ وفاطمة والسبطان الحسن والحسين الذين تقدّم بهم الرسول (ص) الى المباهلة مع نصارى نجران . وكلمة « أصحاب » هنا كأنّما زائدة ، إذ المقصود هم أهل الكساء . هذا وإن الحسن بن عليّ قليل الذكر عند الأئمّة الاسماعيليّين لأنهم ينحدرون من الحسين .

4 ـ يقول صاحب العيون (ص 284) إنّ المنصور بقوله هذا : أقمتني اماما للمؤمنين ، قد أعلن عن وفاة أبيه القائم « إذ لا يكون إمام ولا خليفة الا بعد انقضاء عمر والده » . والقول بأنّه لا يكون إمامان في زمن واحد معروف عندهم . وقد تعرّض له القاضي النّعمان كثيرا في المجالس (انظر الفهرس التفصيلي) .

والأجداد ، الأكرام الأمجاد ، حملة علمك ، وخزّان وحيك ، وأمنائك على خلقك ، وصفوتك من عبادك ، وخيرتك من آل نبيّك ، الذين جمعت لهم شرف الدارين ، وفضل المقامين .

اللهم ، وأعنّي على رعاية عهدهم ، وإنجاز وعدهم(1) ، وقضاء دَينهم ، وتمام أمرهم، وإحياء ذكرهم ، وإعزاز أوليائهم ، وإذلال أعدائهم ، واجمع بيني وبينهم ، اللهم ، في مستقرّ رحمتك ، وقرار جنّتك ، ومجاورة نبيّك ، مع النبيّين ، والصدّيقين ، والشّهداء ، والصّالحين ، آمين يا ربّ العالمين .

اللهمّ إنّ تغرّبي في البلاد (2) ، وهجري للمهاد ، لقضاء ما فرضته عليّ من الجهاد في سبيلك ، ونُصرة دينك ، وتخصين أمّةِ رسولك .

اللهمّ ، وَأَفْتَحْ لي فتحا مُبينا يَسيرا ، وأجعل لي من لدُنْك على عدوّي الذي هو عدوُّك سلطانا نَصيرا ، إنّك على كلّ شيء قدير .

اللهمّ ، أغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ولمن هو لاحقٌ بهم من بعدهم غيرَ مُلحِدٍ في أسمائك ، ولا مُعادٍ لأوليائك ؟ / ، ولا مُوال لأعدائك ، (خ 212) وأكمِلْ أجرهم ، وسلّم لهم أديانَهم ، حتى يَلْقَوْك مُوفين بعهدهم ، مستوْجبين لثوابك ، إنّك أنتَ الغفورُ الرحيم « إنّ اللّه يَأْمُرُ بالعَدْلِ وَالاحْسَانِ ، وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى ، وَيَنْهَى عن الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْي ، يَعِظُكُمْ لعَلّكُمْ تذكّرون »(3) ، والحمد لله ربّ العالمين .

1 – لعلّه يعني بالوعد ، إعلاء كلمة آل البيت على كامل دار الاسلام .

2 – أي ملاحقته غربا لأبي يزيد في جبال كيانة .

3 – النحل ، 90

VIII

خطبة للمنصور أثناء حصاره لأبي يزيد في جبل كيانة في يوم النحر من سنة 335هـ

ط 289 ، خ 217

باسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله المتوحّد بالربوبية ، المتفرّد بالوحدانية ، المتعزّز بالقدرة والبقاء ، المتجبّر بالعظمة والكبرياء ، الأوّل بلا غاية ، والآخر بلا نهاية ، المتعالي عن تشبيه الجاهلين ، وتحديد الواصفين ، وتكييف الناعتين ، ودرك أبصار الناظرين .

وأشهد أن لا إله الا الله وحده ، لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أكرمه بالنبوّة ، واصطفاه بالرسالة ، وحباه بالفضيلة ، وابتعثه بالنور ساطعا ، وبالحقّ صادعا ، وبالهدى آمرا ، وعن الكفر زاجرا ، وعلى الأنبياء مهيمنا ، ولما جاؤوا به مصدّقا ، فبلّغ الرسالة ، وهدى من الضلالة ، وأنقذ من الهلكة ، وأفهم معالم الدين وفرائضه ، وبينّ حدود الدين وشرائعه ، وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده ، حتى أتاه اليقين ، صلىّ الله عليه في الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين الطاهرين الاكرمين ، الأئمة المهديين ، الكرام الأبرّين .

أوصيكم عباد الله بما أوصيتُ به نفسي قبلكم من تقوى الله ومراقبته ، والعمل بما يرضيه ، ويقرّبنا وإيّاكم اليه ، ففي تقواه رضاه ، وبرضاه الفوز بالجنّة ، والنجاة من النار . « وَمَنْ زُحْزِحَ

عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ » (1) . « وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ » (2) .

ألا وإن يومكم هذا يوم حرام ، من شهر حرام ، يعظم على الأيّام ، يوم الحجّ الأكبر ، امتحن الله تبارك وتعالى فيه إبراهيم خليله ، وفدى فيه من الذبح ولده صلوات الله عليهما ، وافترض على كافّة أهل الاسلام الحجّ الى بيته الحرام ، الذي جعله مثابة للناس وأمنا . فتقربوا الى الله تعالى فيه بما أمركم به ، وأفضل ما (خ 217) أنتم مقرّبوه ، إناث الابل ، وإناث البقر ، وفحول الضأن/(3) ، واجتنبوا المريض من الحيوان ، ومعايب العيون والآذان (4) ، والمشوّه منها بالزيادة في خلقه والنقصان ، فانها غير مقبولة منكم ، بذلك جرت سنّة نبيّكم ، صلىّ الله عليه وسلّم وعلى آله الأئمة من ولده الأطهار الأبرار عليهم أفضل السلام ، « لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »(5).

تقبّل الله منّا ومنكم ، وكتب لنا ولكم حجّ بيته الحرام(6) ، والوصول الى مشاهده العظام ، ومواقفه الكرام ، بإعزاز نصرنا ، وتمام أمرنا ، وإنجاز متقدّم وعده لنا ، إنّه لا يخلف الميعاد ولا يعجزه ما أراد .

1 ـ آل عمران ، 185 .

2 ـ الحديد ، 20 .

3 ـ « ذهب مالك الى أنّ الأفضل في الضحايا الكباش ثمّ البقر ثمّ الابل ، بعكس الأمر عنده في الهدايا . وقد قيل عنه : الابل ثمّ البقر ، ثمّ الكباش » (القاضي ابن رشد : بداية المجتهد ج 1 ص 416) .

« وعن جعفر بن محمد (جعفر الصادق) : أفضل الضحايا الاناث من الابل ، ثمّ الذكور منها ، ثمّ الاناث من البقر ، ثمّ الذكور منها ، ثم الفحول من الضان ثمّ الموجأ منها (أي الخصّي) ثم النعاج ، ثم الفحل من المعز ، ثمّ الاناث منها (القاضي النعمان : دعائم الاسلام ، ج 2 ص 183 رقم 665) .

فكلام المنصور موافق للفقه الجعفري ، وليس مخالفا للفقه المالكي .

4 ـ « أجمع العلماء على اجتناب العرجاء البيّن عرجها ، والمريضة البيّن مرضها ، والعجفاء التي لا تنقى (أي التي لا مخّ في عظامها) والعوراء البيّن عورها ... (بداية المجتهد ص 417) .

« ... وخرّج أبو داود أنّ النبيّ نهى عن أعصب الأذن والقرن » (بداية المجتهد ص 419) .

« وعن عليّ (ع) أنّه نهى عن الأضحية المكسورة القرن ، والعرجاء البيّن عرجها ، والمهزولة البيّن هزالها ، والمقطوعة الأذن أو المصطلمة ... » (دعائم الاسلام ، ج 2 ، ص 984 رقم 668)

5 ـ الحج ، 37

6 ـ لم يحج احد من الخلفاء الفاطميّين ، بشهادة المقريزي في كتاب « الذهب المسبوك في من حجّ من الخلفاء والملوك (القاهرة 1955) .

الخطبة الثانية

باسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله المبدىء المعيد ، الكريم المجيد ، الفعّال لما يريد ، خالق الخلق ، وباسط الرزق ، ومنزل القطر ، ومدبّر الأمر ، وارث السموات والأرض وما عليها ، واليه ترجعون .

الله اكبر . الله اكبر . لا إله الا الله ، والله اكبر . الله أكبر . ولله الحمد .

أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّدا عبده المصطفى ، ورسوله المرتضى ، وأمينه على ما أوحى ، والمنقذ من الضلالة والردى ، صلى الله عليه وعلى آله الكرام ، المهديّين الأئمة الطاهرين : عليّ أمير المؤمنين ، وسيّد الوصيّين ، وخيرة المسلمين ، وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين ، والحسن والحسين ،

والأئمة من ولد الحسين الطاهرين (1) ، بقية رسول الله وثماره ، ووارثيه وحججه على العباد من جبال الدين ، وسادات العالمين ، وأولياء المؤمنين ، وعلى الإمام المرتضى والوليّ المصطفى ، عبد الله أبي محمد الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين ، وارث فضل الأئمة المهديّين من آبائه الخلفاء الراشدين ، وصفوة الصفوة من الأوّلين منهم والآخرين ، الذي قامت به دولة المؤمنين ، وبسيفه ذلّت رقاب المنافقين وعاد (2) الاسلام غصنا ناضرا ، والدين مضيئا ، والحقّ مشرقا زاهرا باهرا ، وأحيى به الله من الدين ما اندرس ، ومن الحقّ ما التبس ، وجمع الله له شرف الدنيا وفخرها ، وآتاه فضل الآخرة وذخرها ، صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وحنانه .

اللهم وصلّ على وليّ عهده ، وباب مجده ، وخليفته من بعده ، المتقلّد الامامة ، المتوّج بالكرامة ، عبد الله أبي القاسم القائم بأمر الله ابن المهديّ بالله أمير المؤمنين سليل خير النبيّين ، وبقية الماضين ، ونجيب الأئمة المهديين ، صلاة تزيده بها كرامة (خ 218) وعلا وشرفا ، سامية القدر ، عالية الفخر ، نامية الذكر ، باقية على الدهر .

اللّهم وكما قلدتني خلافتك التي كرّمتها وشرّفتها ، وحظرتها وحرّمتها ، ولعنت من غير أهلها مدّعيها (3) ، وأخزيت مناوئيها ، وقصرّت أيدي المتطاولين إليها ، واخترت لها الواحد بعد الواحد من آبائي المهديّين ، الكرام المصطفَين ، الخلفاء الراشدين ، ثم أورثتني مقامهم (4) ، وأحييت بي ذكرهم ، وأتممت بي أمرهم ، وقفيت بي آثارهم ، ونصبتني لما نصبتهم ، من الاحتجاج بنا على خلقك ، والقيام بأمرك ، ونصرة دينك ، واعزاز ملّة رسولك ، ونصرتني وأظهرتني وظفرتني بأمرك ، وأعززت بي الأمة ، وكثّرتهم بعد القلّة ، وجمعتهم بعد الفرقة ، وكشفت عنهم مذلة الفتنة ، ودياجير الظلمة ، بدولتي التي أعززتها ونصرتها ، وأيامي التي آثرتها فاخترتها ، وسيوفي التي أمضيتها على الدجّال وحزبه ، والنفاق وأهله ، فجعلتهم بها حصيدا خامدين ، فأصبح الحق مشرقا ، والباطل زاهقا ، فضلا منك عليّ ، ونعمة جدّدتها إلى نعم قبلها أسبغتها عليّ وأجزلتها ، اللّهم فألهمني شكر نعمتك ، ووفقني للعمل بما يرضيك عنّي ، ويزلفني لديك ، ويقربني إليك ، فإنه لا حول ولا قوّة الاّ بك ، عليك توكلت ، واليك أنيب ، وأمري اليك فوّضت ، وبك اعتصمت ، صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي للّه ربّ العالمين ، اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، وتقبل أعمالهم ، وزن سعيهم ، واهدهم ، وارأف بهم ، انك أنت الرؤوف الرحيم .

1 ـ لا ننسى ان الفاطميين هم سلالة الحسين . اما ابناء الحسن ، فهم ادراسة المغرب ، ولم يكونوا شيعة بالمعنى المتعارف ، بل كثيرا ما حالفوا الأمويّين بالاندلس ، وقد صفح المعزّ عن زلاّتهم هذه . انظر المجالس ص 483 .

2 ـ خ : وأعاد

3 ـ يقصد بني أمية ثم بني العباس

4 ـ « بويع للمنصور في شوال سنة 334 » (المقريزي : اتعاظ الحنفاء ص 129) . وقد رأينا في النص 7 المنصور يعلن عن وفاة أبيه ، في خطبة عيد الفطر يوم غرة شوال 334 .

IX

رسالة المنصور إلى قدّام الصّقلبي عامله على المنصورية والقيروان بعد الظفر بأبي يزيد في أواخر المحرم سنة 336 هـ (1)

المصدر : عيون .. ط 298 خ ، 224

(خ 224) باسم الله الرحمان الرحيم ، وبه نستعين ،

من الأمير إسماعيل وليّ عهد المسلمين(2)، وابن أمير المؤمنين ، الى قدّام .

سلام عليك . فإنا نحمد الله الذي لا إلاه الا هو، ونسأله ان يصليّ على محمد عبده ورسوله ، صلىّ الله عليه ، وعلى عترته الأطهار الطيبين ، الأخيار الطاهرين .

[ط 298] الله أكبر ، الله أكبر . لا إلاه الا الله .

والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد والشكر ، ربّ العالمين الذي نصر عبده ، وأنجز وعده ، وتفرّد بالمنن على عبده ، السابغات الكاملات ، فأظهرني تبارك وتعالى متوّجا بعزّه ، رافلا في حلل كرامته ، مبوّءا من الفخر ذراه ، ومن المجد أعلاه . « وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ » (3) وظن العباد « بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَ (3) ، فجلا بيَ الظلام ، وأنقذ بيَ الأنام ، وثبّت بيَ الاسلام ، وجمع بي الأمّة بعد الفرقة ، وآمنهم بعد الخوف ، وأعزّهم بعد الذّل ، وحقن بي الدماء ، وسكّن بي الدهماء ، وعمّر الخلاء . وأيّدني من نصره وإعزازه بما اعترف لي به المؤمن المساعد والكافر المعاند ، لقصر طَوْل المخلوقين وقوّتهم عن بلوغ شيء ممّا أملوه ، ودرك قليل حاولوه ، فضلا عن هذه النعم الجليلة ، والمنن الجميلة التي قصرت الآمال ، وغُضّتِ الأبصار ، وانقطعت الأطماع عن دَرْك بعضها ، فأصارها عزّ وجلّ إليّ كلّها ، ورآني أهلا لها ، وتوحّد بالنعمة عليّ ، ولم يجعل لمخلوق عليّ منّة ، تشريفا لعبده ، ابن محمد رسوله ، على ملوك الدنيا وعبيد الهوى ، الذين لها يسعون ، / وعليها يتناجزون ، وبعارها ينقلبون .

فلم أزل منذ انتصبت للجهاد في سبيله ، وأبرزت نحري دون دينه ، باذلا نفسي ، متعبا جسمي ، مستصغرا كلّ عظيم ، ركّابا لكل هول ، متعرّفا من الله أجلّ الصنع ، وأكمل التوفيق في كلّ وجه أمّمته ، ورأي رأيته ، وموقف حرب وقفته ، إلى ان أتمّ الله عليّ النعمة ، وأكمل المنّة بالامكان من عدوّ الله الخاسر أبي يزيد ذليلا أسيرا بعد حرب كانت بيننا وبينه ثلاثة أيام متوالية ، لم يكن قبلها مثلها أبدا .

بدأناه بالزحف يوم الخميس لثمان بقين من المحرّم عند طلوع الشمس ، فقاتلناه قتالا شديدا الى بعد العصر ، ثم عاودناه القتال

1 ـ قدّم المؤلف لهذه الرسالة بوصف مفصّل لوقائع هذه الأيام الثلاثة الحاسمة، في لهجة ملحمية خطابية . ويبدو ان التفاصيل منقولة عن رسالة المنصور . فلذلك لم نر ضرورة لنقل تلك المقدمة الطويلة .

2 ـ يلقب المنصور نفسه بـ« ولي العهد » ، مع أنه انتصب خليفة لأبيه منذ أول شوال سنة 334 (النص السابع) . ولعله ينتظر المبايعة العلنية من رعاياه بالقيروان والمهدية

3 ـ الاحزاب ، 10 .

يوم الجمعة بأهول من القتال الأول وأصعب ، الى بعد العصر أيضا . وصابحناه يوم السبت (1) فأيقنوا بالهلاك ، واستماتوا ، واشتد القتال في وعر شديد ، فجعلوا يلقون علينا الصخور العظيمة ، لا تمرّ بفارس ولا راجل الا طحنته وأصارته رميا . فلم يزل القتال من أول النهار الى ضاحيته ، وكلّ الناس وملّوا ، ولهثت الخيول من حرّ يسقط أطيار الجوّ . وتقطّع الأولياء جراحا ، وأثخنوا بالحجارة ، وهابوا الاقدام وكاعوا .

فأغضبني ذلك وزجرتُهم وأوعدتهم ، وتقدّمتُ اليهم ومعي مطحنة (2) فيها أكثر من ثلاثة آلاف فارس ، ونَيِّفٌ على عشرة آلاف راجل . ورأى العدوّ إقدامي عليهم ، فأيقنوا بالموت ، وانهزموا بين يديّ ، حتى اذا توسّطت الوعر الشديد الهائل البهيم ، ظنّوا أنهم قد ظفروا فيها دبّروه . وحملوا عليّ حملة رجل واحد ، وارتعد لها كلّ من معي وأسلموني .

فقصدني الفَسَقَةُ وتعاوروني بالسيوف والرماح والحجارة ، وثار عجاج مظلم طبّق الأرض . فوصلوا اليّ حتى تجاذبوا ردائي فمزّقوه وقُبِضَت ركابي ، ورُميتُ في تلك الحملة برمح أخذته في دَرَقَتي عند صدري . وأثخنوا فرسي بضرب صدره وناصيته بالحجارة ، ومار بي يمينا وشمالا ، فوثقت بالله ربّا ، / وطبت بالشهادة في سبيله نفسا ، وقلت : يا نفس ، حبّذا والله موقفٌ عشتُ بعده عزيزا حميدا ، أو رحت منه شهيدا سعيدا الى لقاء جدّي رسول الله (صلع) . فوالله ما كَنَيْتُ عنهم عنانا ./

وإني لمنفصل في غلالة ورداء ودَرَقة ، وما هو الاّ أن تجلّى الغبار ، ورأوني في وجوههم ، فانهزموا وولّوا الأدبار وأتّبعتهم وحدي في وعر لا مسلك للخيول فيه . ورآني الأولياء فاستيقنوا بسلامتي ، فعطفوا عطفة واحدة ، وصحت بهم وحرّضتهم فاستأسدوا عليهم واجتززنا منهم في تلك المعركة زهاء أربعين رأسا ، وافترقوا في هزيمتهم يمينا وشمالا ، وملكتُ القلعة بالسيف قهرا ، وعنوة وقسرا .

وانحجز اللعين أبو يزيد وولده وغزاته وأصحابه وثقاته في قصر أوّلي في ذرى القلعة أشبه شيء بعُرف الديك . فأحاطت به الجيوش من كل ناحية رميا بالحجارة ، وطعنا بالرماح ، ورشقا بالسهام ، وإشعالا بالنار في أبواب القصر . والفَسَقة مصرّون على كفرهم وبغيهم وغيّهم . فكتبت لهم في ذلك المقام كتابا منشورا بأمانهم إن هم خرجوا اليّ وأسلموا اللعين . وعرفت أنّ جهلهم وعماهم يحملهم على كفر النعمة ، وإنّ بكفر النعم اجتلابَ النقم . وأردت بذلك الاستظهار بالحجة عليهم عند الله تعالى ذكره . فأخذوا الكتاب فمزّقوه(3) . فأول من مدّ يده الى تمزيقه ، أصابه سهم في نحره خرّ منه ميّتا .

وتمادَوْا على الاصرار واستماتوا ، وألحّ الأولياء في قتالهم ، وهم من ذلك القصر في حصن منيع لا يرام ، الى الظلام . فأمرت بإيقاد المشاعل وبت ليلتي كلّها ساهرا ، وبنودُنا خافقة ، وطبولنا هادرة ، ورجالنا على الركب ، وسيوفُهم على عواتقهم .

فلما كان آخر الليل حمل اللعين وأصحابه عن ذلك القصر حملة واحدة كالخنازير ، فاختلط الناس . فقُتل في تلك الحملة من (خ 225) الفسقة من قُتل ونجا من نجا . وكان ممّن قتل أبو عمّار الأعمى (4) ، ويدرس المزاتي ، وجعفر المعروف بالناظر . ونجا من نجا منهم مترامِيا بنفسه من أعلى القلعة الى وعر شديد هائل . وأخذنا (ط 299) منهم أسيرا فعرّفني أنّ اللعين خرج من القلعة هاربا . فلم أصدّقه ، وأمرت الأولياء بالثبات على مصافّهم وتعبيتهم حول ذلك القصر .

ولم أزل قائما حتى لاح ضياء الفجر ، واذا اللعين قد جرح في تلك الحملة ، فحمله ثلاثة من أصحابه حتى خلّصوه من المعركة ، ثم

---

1 ـ 24 محرم 336 .

2 ـ خ : المطحية . ومن معاني الطحن سحق العدو ومحقه

3 ـ ذكر القاضي النعمان هذا الكتاب في المجالس ، ص 492 .

4 ـ ابو عمار : هو صاحب أبي يزيد الأول وشيخه ودخيله وواعظه .

ولَّوْا وأسلموه . فذهب لينزل من القلعة فسقط . ثم قام ليلحق بأصحابه فسقط مسقطة / أخرى أوهَنَتْ جسده كله [خ 226] ورأسه ، فلم يستطع / حراكا ولا براحا ، فبقي ملقى [ط 300] على ضفّة الوادي ، فأتينا به أسيرا بحمد الله ومنّته ، وصنعه وعونه عند صلاة الفجر من يوم الأحد لخمس بقين من المحرّم (1) .

ورأيت من سوء حاله وما أصاره الله اليه من الذل وأحلّه من النقمة ، ما في بعضه شفاء للغيظ ، وابراد للغليل . فحمدت الله وشكرته . وتوثّقت من اللعين ، وأمرت بمداواة جراحه والرفق به الى ان أصل به المهديّة ان شاء الله .

فاحمد الله أنت ، ومَنْ قِبَلَكَ من رعايانا ، وأكثروا معاشر العباد من الشكر لله ، وتصدّقوا الى الله بالصدقات ، وعتق الرقاب من أطيب أموالكم وأزكاها وأحلها مُكْسبا ، واذكروا ما كنتم فيه أمس وما أصبحتم فيه اليومَ من العزّ بعد الذلّ والأمن بعد الخوف ، والطمأنينة بعد الرَّوْع ، والاجتماع بعد الفُرقة ، والدَّعة بعد شدّة المحنة بعدوّ الله وعدوّ رسوله ودينه ، يُسمّيكم مشركين ، ويحكم في المسلمين بحكم فرعون .

فاحمدوا الله على ما صرف عنكم ، وعلى ما وهب لكم ، مما جعل رأينا فيكم ، ونويانا اليكم من الاحسان عليكم والى قربكم (2) ، والدفاع عنكم ، وتحصين حرماتكم ، وحقن دمائكم ، متحمّلا في ذلك ما لم يتحمّله قطّ ملك غيري ، وأهوالا لم يقاسها أحد غيري ، لم أرد بذلك من المخلوقين جزاء ولا شكورا ، إلاّ القربة الى الله تعالى ذكره ، والزلفى لديه ، والرّغبة عنده .

فله الحمد على إنجاح سعيي ، وتبليغي أملي ، وإياه أسأل وإليه أرغب في العزم على أداء شكره ، وتوفيقي لما يرضيه ، حسبي الله ونعم الوكيل ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب يوم الأحد لخمس بقين من المحرّم سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة ، والحمد لله ربّ العالمين .

1 ـ سنة 336 ، وفي نهاية أبي يزيد روايات ، منها التي تقول انه مات في الوقعة .

2 ـ في هذه الجملة غموض .

كتاب المنصور إلى عامله بالمنصورية بعد وقعة ماواس في أول رمضان سنة 336هـ

المصدر : عيون الاخبار : ط 320 ـ خ 243

بسم الله الرحمان الرحيم

تقدم كتابُ أمير المؤمنين لتعريفك حالَ اللعين بن اللعين (1) ، وأنه ، لمّا اتصل به خروج أمير المؤمنين من المنصوريّة ، استولى عليه من شدّة الرُّغبِ والرُّهبِ / ما ولىّ له هاربا من قصور [ط 320] قفصة على وجهه الى قفار الأرض ومفاوزها ، متعمّقا فيها ، مترِوّعا من موضع إلى موضع ، لا يستقِرّ به قرار ، في ليل ولا نهار ، ومعوّلا على النجاة بالجِدّ في الفرار ، وتولية الأدبار . فقد باء بغضبٍ من الله وخزيه ، وضربت عليه الذلة والمسكنة يحسب كل صيحة عليه

1 ـ هو فضل بن مخلد بن كيداد ، الذي واصل الثورة بعد مقتل أبيه صاحب الحمار

لفرط الخِيفة ، وأنّ الأرض تخطفه ، والسماء تدمغه ، مقدّرا ، لجهله وذهاب عقله ، أنّ العساكر المنصورة لا تقصِدُه بها لقلّة الماء .

فنهض أميرُ المؤمنين ، مستعينا / بالله ، واثقا بنصره ، معتمدا على معونته في إهلاك اللعين بن اللعين ، وجميع حزبه الأخسرين . فنزل بموضع يعرف بوَرْبَغِين من عمل قفصة ، فوجد أهله من بني يفرن وكلالة وبرواتة ، وبني شدّاد ، وبني وريمت ، قد هربوا منه وضَوَوْا (1) الى أمثالهم من ذوي الفسوق والمروق . فقدّم اليهم أمير المؤمنين الجيوشَ المؤيّدة ، لصدّهم (2) في طريقهم ، والانتقام لدين الله منهم ، فتسنّموا في غد يومهم اليهم والى بني يفرن أهل بيت اللعين ، وبني واسين في الجبل المعروف بجبل تارشوان من عمل قسطيلية ، والجبل المعروف بأياش من عمل الزاب ، وأوقعوا بهم فيها ، وأنزلوا ما كان لهم بها من الأموال والأثاث والمتاع والأغنام والأنعام ، وأضرموا خصوصهم نارا وهدموا الحِصنَ المعروف بتامقرا ، وقصر الفاسق بشر بن منصور المكناسي بعمل الزاب ، واحتَوَوْا على ما كان بها من مذخور أطعمة قبائل الفسقةِ مكناسةِ بني مولاب ، ومزرعة أهل بيت فلاح من أجناد المخذول (3) بشر بن منصور ، وبني مناوة من بني مغراوة ، فجاسوا خلال ديارهم ودوّخوهم .

والتجأ الفسقة الى أهل بيوتاتهم بالمدينة المعروفة بماواس من أعمال الزاب ، واجتمعوا اليها من كلّ أوْبٍ ، متظافرين على الغواية ، مستعدّينَ شاكي الأسلحة وأصناف العُدّة ، واثقين بكثرة أعدادِهم وعَتادهم ، وقوّة شوكتهم وبأسهم ، ووعورة مدينتهم وحَصَانتها ، وشموخ بُنيانها وعِظَم خَنْدَقها الهائل ، المعجب منظره ، المؤيس من رامه ، مقدّرين أنّها مانعتُهم وعاصمتُهم ، ودافعةٌ بأسَ الله عنهم ، ولم يعلَموا أنّ ذلك من استدراج اللهِ لهم ، لما يريد من الانتقام منهم .

فألفاهم أمير المؤمنين مُصرّين على ضلالتهم ، منهمكين في غَيِّهم وعَمايَتهم ، متهوّرين في غوايتهم ، غامطِينَ نعمة ربِّهم ، مُرتكبين مساخِطه ، متعرّضين لحلول (4) قَوَارِع سطواته ، قد استحكم غضبُ الله عليهم ، وأذن (5) الله بهلاكهم وتعجيل أرواحهم الى أليم عذابه وشديد عقابه ، بما احتقبوا من الآثام وارتكبوا من الاجرام ، وما الله للعبيد بظلاّم .

(خ 243 / ط 321)

فقدّم اليهم أمير المؤمنين الأعذار والأنذار ، والتخويف والتحذير ، تأكيدا لحجة الله عزّ وجلّ عليهم ، ومظاهرة لمنّه عندهم ، ليُنيبوا الى أرشادهم ويبصروا حظّهم فلم يزدهم ذلك الاّ عنودا وإصرارا ، وعُتُوًّا واستكبارا . /

(خ 244)

فأنهض الأميرَ أبا تميم (6) ، مدّ الله في عمره وأعزّه ، لحربهم فصمد إليهم جَلْدا مُشمّرا في ذات ربّه ، وما يُزلِفُ لديه ويُحظيه عنده ، فاستبشر الأولياءُ والعبيد به ، وبادروا الى حسن السمع والطاعة له ، والقبول عنه ، والمسارعة الى مناجزة الكفرة الفجرة ، بأنفُس حميّةٍ وقلوب حَنِقة ، ونيّاتٍ خالصةٍ وعزائمَ نافذة وبصائرَ ثاقبة ، واثقين من الله الكريم بالعون والتأييد والتمكين ، في إعزاز الدين والمسلمين ، وإذلال المنافقين والمشاقّين .

واستقدموا الى الفَسَقَةِ فوجدوهم جادّينَ في باطلهم مُبلِسِينَ على كُفرانهم ، مستبسلين بحلول النّفاق بهم ، غيرَ مستبقين على أنفسهم ، راكنين الى الموت ، مستريحين اليه متهافتين عليه تهافُتَ الفَراش في النار ، فناجزوهم القتالَ ، ودَعَوْهُم للنزال ، وشمّرت الحرب عن ساقها وأذاقتهم مرارةَ مذاقها .

1 ـ ضوى اليه : انضمّ اليه ولجأ .

2 ـ خ : وصمدهم

3 ـ خ : والمخذول

4 ـ خ : بحلول

5 ـ خ : وأذان .

6 ـ وهو ولي العهد ، الذي يصبح المعز لدين الله .

وولج الأميرُ أبو تميم أعزّ الله نصرَه وأدام عزّه اليهم من أضيق (خ 245) المسالك راجلا مصطبرا ، ومتوكّلا على الله محتسبا ، متأمّلا لأحوال الأولياء ، راعيا لعوراتهم . وضمّ الى نفسه أهلَ البأس والمراس بالحروب ، والبصرَ بموارد الاقحام ، ومصادر الاحجام . وسأل أهلَ المعرفة بوعر المدينة من أي ناحية تمكُن الفرصةُ فيها ، واهتبال الغِرّة منها ، وحرّض الأولياء على مكافحة عدوّ الله وعدوّهم ، ووقّفهُم على ما لهم بالاجتهاد في الجهاد من جزيل الثّوابِ وكريم المآب . فصدقوهُم المقارعةَ طعْنًا بالرماح وضربًا بالسيوف ، ورشقا بالسّهام ، ورميا بالحجارة حتى ساوروهم بمعقلهم وأنزلوهم منه عنوة [322 و] قَهْرا ، وغلبة وقسرًا / ، وأدركوهم في كل مهرب ، وأخذوهم بكل نفق [و] مرقب ، وقتلوهم شرّ قتلة وأنكاها .

وأضرموا أعراش المدينة نارا ، وألحقوا أعالي جدرانها بحضيضها ، وأحلّ الله (تع) بهم من الغِيَرَ والعبر ، ما جعله الله لخليفته في عباده ، وحجّته على عباده (1) آيةً واضحة ودلالةً لائحة على اختصاصه بالفضيلة التي لم يُؤتِها سواه ، وعرّف به ذوي الحِجى والنّهى مواقعَ النّعمة والنّقمة ، ودواعي أسباب السعادة والشقوة . واهتدى له ذوو البصيرة فسعدوا ، واتّعظ به أولو الشكّ فرشدوا .

واحتوى الأولياءُ من ديار الكفّار الفجّار من أصناف الأموال النفيسة ، والأمتعة الجمّة وكثرة الكُراع والابل ، والبقر والغنم ، والطعام . ما يطول ذكرُه ، ويعظُم قدره عن وصف حدّه .

وآب الأمير أبو تميم تمّم الله أمرَه / وأعزّ نصره بالجيوش المظفّرة الى مركزهم أفضلَ أوبة وأرضاها لله ، لم يمسَسْهُم سُوءٌ ولا كَلْمٌ . ولله الحمد على ذلك خالصا دائما ، والشكرُ خالدا زائدا سرمدا .

[و] أمر أمير المؤمنين بعد ذلك بما أفضل اللهُ به وأسبَغ ، وتطوّل فأوسع ، وبعث برؤوس مقدّمي الفسَقة ومذكوريهم وذوي التقدّم منهم ، وكتب أسماءَهم في رِقاع عليها ، لتطوف بها في المحافل فيما قِبَلَكَ ، وتُوَجّهَها الى جَوْذَر (2) لينشرها في ما قِبله ، ويعاين خواصُّ الأولياء وعوامُّ الرعيّة من جميل صنع الله ، ومنائح (3) إحسانه ، وفواضلِ امتنانه ما يُسَرُّون به ، ويعرِفُون بقدر نعمة الله فيه ، ويقابلُونها بحقّهَا ، ويسعَوْن بشكرها واستدرار معادها ، فاعمَلْ به .

وكتاب أمير المؤمنين من ماواس ، وهو راحل الى قسطيلية للانصراف منها الى دار ملكه اذ قد زال اللعين بن المخذول من مهامِهِ الرمال وغوامض التلال الى حيث غاب شخصُه واستتر أثَرُهُ ، ولم يُعرَفْ خبره ، والله طالبه حيث كان مهربه ، ومنتقم منه بعظيم ذنوبه عاجلا بحوله وقوّته .

وكتب يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، والصلاة والسلام على محمد النبيّ وآله .

1 ـ أي المنصور

2 ـ الأستاذ جوذر هو كبير مماليك الخلفاء الفاطميين ومستودع سرّهم ، ونائبهم في السهر على الدولة عند غيابهم . وهو ـ هنا ـ مقيم بالمهدية . ونجد جانبا من أخباره ودلائل حظوته عند الأئمة في الترجمة الموسومة باسمه : سيرة الاستاذ جوذر ، المطبوعة بالقاهرة حوالي سنة 1947 ، والمنقولة الى الفرنسية سنة 1958 بالجزائر .

3 ـ المنيحة هي في الأصل الناقةُ التي يُمنح وَبَرُها ولبنُها ووَلَدُها لأحدٍ ، واللفظة تعني العطية والهبة عامّة .

خطبة المنصور بالمهدية في عيد الفطر
يوم الخميس ١ شوال 336هـ

المصدر: عيون .. ط 324 ـ خ 246.
سيرة الأستاذ جوذر، ص 55

باسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله شكرا لأنعمه التي لا يحصى لها عدد، وتعريضا للمزيد من فضله الذي لا ينفد. ولا إله الا الله إخلاصا للتوحيد. والله أكبر إجلالا لذكر الله تعالى العلي المجيد. سبحان الله المستشهدة (1) آياته على / قدرته، المتمنعة (1) من الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن العقول تحديده، ذي الكبرياء والعزة، والجلال والقدرة، والسناء والعظمة، له السماوات العلى والأرضون السفلى، وما فوقها وما تحت الثرى، كل خاضع لعظمته، متذلل لعزته، متصرف بمشيئته، واقع تحت قدرته.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اختاره وارتضاه، وانتخبه واصطفاه، وكرمه وأصفاه، وبعثه بالهدى ودين الحق، الذي تعبد به من في السماوات من الملائكة المقربين، ومن في أرضه من الثقلين. فاضطلع عليه السلام بما حمل، وبلغ ما به أرسل، صادعا بأمر ربه صابرا على البأساء والضراء في جنبه، إلى أن أظهر الله دينه على الأديان، وأزهق بحقه أباطيل الأوثان. صلى الله عليه وآله وسلم، وشرف وكرم.

عباد الله،

أوصيكم بتقوى الله وطاعته، وخشية الله ومراقبته، والتقرب الى/ الله بما يرضيه، فانه بما في قلوبكم عليم، وبأعمالكم بصير، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه في السماوات والأرض مثقال ذرة. ولا ينجي من سخطه، ويوصل الى رحمته إلا طاعته. «من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما» (2)

(خ 246) ألا وإن الله (عج) جعل يومكم هذا عيدا عظيما على الأيام، ختم به شهرا مفضلا على الشهور، وافتتح به أيام شهور الحج الى البيت العتيق الذي كرمه وعظمه، وجعله قبلة الصلوات، ومحل البركات، ومنزل الرحمات، ومثابة للناس وأمنا، ومنارا للدين وعلما. فتقربوا الى الله في يومكم هذا بأداء فطرتكم التي هي زكاة صومكم، وسنة نبيكم سيد الأنبياء صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كل أمرىء منكم عن كل واحد من أهله ذكورهم وإناثهم، صغيرهم وكبيرهم، صاعا من بر، أو صاعا من شعير، أو صاعا من تمر، من طعام أهليكم لا من غيره، فليس بمقبول إلا ذاك. وأكثروا من الدعاء، واستشعروا الحذر والرجاء. «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، ولتنظر نفس ما قدمت لغد» (3) فقريب والله، كأن قد (4).

وإنه عز وجل لم يهملكم إهمال الهمج، ولم يجعل عليكم في الدين [ط324]

1 ـ خ: المستشهد ـ الممتنع.
2 ـ الأحزاب، 71.
3 ـ الحشر، 18.

4 ـ كأن قد حل، لشدة قربه، انظر قول النابغة:
أفد الترحل، غير أن ركابنا
لما تزل برحالنا، وكأن قد

من حرج ، ولا عذرا بعد إيضاح المنهج ، وتأكيد الحجج ، برسوله وأئمّة الهدى من ذرّيته ، عليه وعليهم أفضل سلام الله ورحمته . وفّقنا وإياكم لما يرضيه ويُزلف لديه ، ويقرّبنا إليه ، فانّا له وبه ، وصلوات الله أوّلا وآخرا على محمد خاتَم النبيّين ، وسيّد المرسلين ، وعلى آله الطّيبين الطاهرين الأئمة المهديّين الـذين بالحـقّ / (خ 247) قضَوا ويقضَون ، وبه عدَلوا ويعدِلون .

الخطبة الثانية

باسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والعاقبةُ للمتّقين ، والصلوات الغاديات الرائحات الناميات الزاكياتُ الباقيات على محمد وآله الطاهرين الطّيبين الأئمّة المهديّين السادة الأكرمين الطاهرين الأبرَين . حمدا حمدا ، شكرا شكرا ، أنجزتَ وعدك ، ونصرتَ عبدك ، على كُره الكافرين ، وصَغار الماكرين الأخسرين الأفجرين ، / (ط325) أحزابِ الدّجال اللعين ، المغضوب عليهم الضالّين ، الأنجاس الأرجاسِ ، الأذِلّين الأتعاسِ ، الأشقياء الأخزياء ، الملعونين في الأرض والسماء .

حمدا حمدا ، وشكرا لك شكرا ، عَوْدًا وَبدْءًا ، لا مكافئا نعماءك ، ولا مجازيا آلاءك ، معترفا بالعجز عن الشكر ، ولو بكلّ لسان طولَ الدهر .

سلام الله وصلواته ورحمته وبركاته وتحياته وزكاته عليكُما يا أميرَيِ المؤمنين ، يا خليفتَيْ ربّ العالمين ، يا ابنَي الهداة المهـديّين ، يا أبتاه ! يا جدّاه . (1) يا ابنَيّ محمد رسول الله سلامُ مُسلِّم لله فيما قضاه عليّ من فقدكما ، صابرا على ما امتحنني الله به بعدَكُما ، أوانَ الحسرة ، وشَرْق (2) العَبرة عليك يا أبتاه يا محمداه ، يا أبا القاسِماه ، يا جَبلاه ! واشَوْقاه ! واألَماه ! وخالِق الأرض والسماء ، (خ 248) باعث الموتى ومميت الأحياء ، ما أنا في رَيْب من اختيار الله تبارك وتعالى لك ، ونقلِك الى دار كرامته ومستقر رحمته التي بوّأها محمدا رسولَه عليه السلام جدّك ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أباك ، وفاطمة الزهراء البتولَ أمّك ، وآباءك الطاهرين المهديّين الأبرار .

لكنّ لوعة المحزون باعثةٌ للشجون ، مبكيةٌ للعيون . فإنا لله وإنّا اليه راجعون ، وله مسلّمون ، وعلى كلّ حال تصرّفُ بنا حامِدُونَ ، ولنعمائِه شاكرُونَ .

فقد أعظم الله (عج) النّعمة ، وضاعف المنّة بما ربط على قلبي من الصبر ، ثم أكرمني به من العزّ والنصر الذي أرسى به قواعد الاسلام ، ونوّر به قلوب المؤمنين بعد الظلام ، وبعد انقطـاع الرجاء ، لتطاول مدّة البلاء ، بالفتنة العظمى وأهوالها ، وَبَلْبَالـها ، وزلزالها ، ظلماءَ بهماءَ ، عمياءَ صمّاءَ ، جاهليّة جهلاءَ ، بدجّـال النفاق ، وأحزابه المُرّاق ، أعداءِ الدّين ، وأنصار إبليسَ اللعين ، أمهلهمُ الله استدراجا ، وأملى لهم فزادوا في الغيّ لَجاجا ، ليميزَ الله الخبيثَ من الطيّب ، وليرى أولو (3) الألباب مصداقَ وعد الله في الكتاب : « ألم ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ، وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ / مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ

1 ـ شرق العبرة ، اي جهتها ومكانها .

2 ـ المنصور ابن القائم وحفيد المهدي ، وفي قوله هذا اثبـات للبنوة الجسمانية التي وقع في صحتها خوض كثير . أنظر التعليق 62 من سيرة الاستاذ جوذر ص 168 ، وكذلك المجالس والمسايرات ص 410 ـ 411 في التعليقات .

3 ـ خ : أولي .

الّذين صَدَقوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ »(1)، وعدا من الله لا يُخلفه وحكما لا يبدِّله ، في الأولين من عباده / والآخرين ، إلى يوم الدين ، فكانت بحمد الله ونعمته على أعدائنا فتنةٌ أصمّتهم وأَعْمَتهم ، وأضلّتهم وأردتهم ، وأتعستهم وأركستهم ، و أذلّتهم وأخزتهم ، ولنا ولأوليائنا محنة أكسبتنا أجرا وذخرا ، وأعقبتنا عزّا وفخرا ، كان وجهها شتيما ، وعقباها كريما ، لما أراد الله (عج) من تجديد دولتنا وإعزازنا ، واظهار نعمته علينا ، وتكفّله بنصرنا ، وتمحيص أوليائنا ، وتمحيق أعدائنا ، حتى إذا انتهت منتهاها ، وبلغت أقصى مداها ورجع الشيطان خاسرا ، ونطق هادرا ، وأذكى ناره ، وأدام إصراره ، وآسف الله جبّاره(2)، أذن الله بالنقمة فيه بتسليط عبده ووليّه عليه ، فجلىّ الله ظلمها ، ونوّر بُهُمَهَا ، وكشف غمّتها(3)، وصرف لأواءها ، بي وعلى يديّ ، كرامة من الله خصّني بها ، وفضيلة حباني بشرفها ، ونعمةً لي ذخرها ، وعليّ قصرها ، ووصل بحديثها قديم النعمة على آبائي الطاهرين ، وسالف منته على اجدادي الأئمّة المهديّين .

شهَرت دون ذلك السيوف فكسرها ، ودلفت إلى الزحوف فهزمها ، وتظاهرت عليّ جنود الكفرة فخذلها ، وطمحت العيون نحوي فطمسها ، ورُفعت الرؤوس فنكسها ، وشمخت الأنوف فأرغمها ، وصُعّرت الخدودُ فأضرعها ، وأبى جلّ جلاله إلا إتمام وعدي وأمري ، وإعزاز نصري ، وإظهاري وإظفاري ، وتأييدي وإعلائي ، انجازا لوعده محمّدا عليه السلام باعزاز ملّته ، وإعلاء حجّته ونصر أئمّة الهدى من ذرّيته . فأمضى قضاءه قادرا ، وكبت أعداءه قاهرا ، لا معقّب لحكمه ، ولا رادّ لأمره ولا شريك في الحمد له .

يا أهل دعوتنا ، يا أنصار دولتنا ، يا كتامة .

احمدوا الله واشكروه على ما خصّكم به (4)من نعمه ، وجسيم [ط 326] مننه ، وفضّلكم به على كافّة الخلق ، في غرب وشرق ، بدأكم عزّ وجلّ بالنعمة العظمى ، ثم شفعكم بالمنّة الكبرى ، ووالى بينهما عليكم من سوابغ النّعماء بما لا يحصى بصركم ، والناس عميان ، وعلّمكم ، والخلق جهّال ، وهداكم ، والعباد ضلاّل ، إلى دينه ، ونصرة حقّه وطاعة وليّه ، علم الهدى وسراج / الدجى ، [ط 327] وقطب الدين ، وحبله المتين ، فأرقاكم بالصبر الى نصرته ، والسعي في طاعته ، والتفيّء بظلّ دولته ، والاستنارة بضياء حكمته ، حتى اذا قضى الله زلزال البلاد ، واختبار العباد ، جلّل الأرضَ الظلامُ ، وزلزل الأقدام ، وعظمت الخطوب ، / واشتدّت (خ 249) الكروب ، ويئست القلوب ، عصمكم الله ، وهدى قلوبكم ، وثبّت أقدامكم ، الى أن جلاها الله عنكم خاصّة ، وعن العباد كافّة بنا وعلى أيدينا ، فكانت عليكم نعمة ، وعلى العباد حجّة ، فانجلت عنكم والله بيض الوجوه ، موفين بعهد الله ، معتصمين بحبله .

اللّهم إني أصبحت راضيا عن كتامة(5)لاعتصامهم بحبلك ، وصبرهم على البأساء والضرّاء في جنبك ، تعبّدا لنا ، واعترافا بفضلنا ، وأداء لما افترضه الله على العباد لنا ، وتوسّلا إليك بطاعتنا .

اللهم فارْضَ عنهم ، وضاعف حسناتهم ، وامْحُ سيّئاتهم ، واحشُرهم في زُمرة نبيّك الذي دانوا به ، ووليّك الذي والَوْه وأبْقِ نعمتك عندهم ، وأتمّها عليهم ، وأكْمِلْ حسناتك اليهم ، وخلّد العزَّ في أعقابهم ، وأجْزِلْ ثوابهم ، واهدِهم ! وطهِّرْ قلوبهم ، إنك سميعُ الدعاء قريبٌ مجيبٌ .

---

1 ـ العنكبوت ، 1 ـ 2

2 ـ « فلما آسفونا انتقمنا منهم (الزخرف ، 55)

3 ـ خ : غمارها

4 ـ خصكم الله به

5 ـ بعد أن لا مهم على تقاعسهم في محاربة أبي يزيد (أنظر النص 6) .

١ عيون الاخبار ٤

السبع الخامس من عيون الاخبار في ذكر النبي المصطفى المختار وصحبته الكرام المنتجبين الاطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفار

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله على عميم نعمائه ومتوالي الائه المان على خلقه بجعلو اصفيائه وظهور اوليائه وصلى الله على خير رسله وخاتم انبيائه محمد رسول الله الى كافة العالمين من جميع ابنائه وعلى علي وصيه المخصوص بنصره واخائه وعلى الائمة الطاهرين من المصطفين من ابنائه من علي بقيتهم صاحب العصر والاوان المفروض اكيد ولائه ذكر ما جاء من البشارات والاشارات بظهور امير المؤمنين ابي محمد عبد الله المهدي بالله صلوات الله عليه وانتشار الدعوة واعلام بعض ما كان من الاخبار في ايامه

اما ما جاء من البشارات بظهور الامام المهدي بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ابائه الطاهرين وابنائه الاكرمين فمن ذلك ما جاء عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلعم يقول ابشروا بالمهدي فانه يبعث على اختلاف من الناس